

النص الكامل

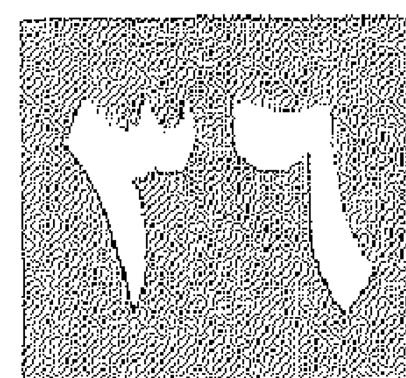
الطبعة القانونية الأولى والوحيدة باللغة العربية

أغاثا كريستي

إبْزيم الحِذاء



الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers



إبْزيم الحِذَاء

هذه هي الترجمة القانونية الوحيدة لهذا الكتاب
وهي تضم النص الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٤٠ بعنوان

One, Two, Buckle My Shoe

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: agatha@al-ajyal.com

الطبعة الثالثة

٢٠٠٤

أغاثا كريستي

إبْزيم الحِذاء

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٤٠

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

تنفيذ الغلاف: عروة مؤمن ديرانية



الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الناشر

لماذا هذه الطبعة؟

عِندما أعلنّا -في مؤسسة الأجيال للترجمة والنشر- عن عزمنا على تقديم ترجمة جديدة لأعمال الروائية الفذّة، أغاثا كريستي، تساءل كثيرون بدهشة واستغراب: "لماذا تُجهدون أنفسكم وتتكلفون كثيراً من الجهد والعناء وكثيراً من المال لإعادة ترجمة هذه الروايات التي تُرجمت إلى اللغة العربية من قديم وتداولها الناس لعشرات السنين؟".

ولكن الحقيقة (التي ربما بدت غريبة) أن الترجمة القديمة ذاتها هي الجواب عن هذا السؤال؛ إذ إن فيها من الأخطاء والنقائص ما لا يصلح معه الحال أو يستقيم بغير إعادة الترجمة وإعداد طبعة جديدة. وأول تلك النقائص، وإن بدت غيرَ ذات أهمية للقارئ العربي ظاهراً، أن أياً من الترجمات القديمة لم تكن «شرعية» بالمعنى القانوني؛ أي أن الذين نفّذوها ونشروها لم يحصلوا على الإذن بطباعتها ولم يدفعوا شيئاً مقابل حقوق النشر، وبالتالي لم يهتموا بتجويدها أو إتقانها بقدر ما اهتموا بالربح العاجل والكسب السريع.

من هنا جاءت تلك الطبعات القديمة حافلة بالعيوب، حتى لا يكاد يصحُّ لمن قرأها أن يقول إنه -فعلاً- قرأ شيئاً من كتابات أغاثا كريستي. وإليكم جملة من تلك العيوب:

(١) في الترجمة نقص واسع وحذف كثير، يكاد يذهب -في بعض الأحيان- بثلث النص الأصلي. وما ندري ما الذي حمل المترجمين الأوائل على اقتراف هذا الخطأ المتعمَّد: أهو لتقليص حجم الروايات وتوفير نفقات الطباعة على الناشر، أم لتيسير القراءة على القارئ حتى لا يملّ من قراءة رواية طويلة؟ ولكن مَن قال إن قراءة ما حُذف يبعث على الملل؟ الحقيقة أن ما وقع من حذف وتقليص واختصار قد أربك القارئ إذ غيّبَ عنه بعض التفصيلات الهامة، كما فوّتَ عليه الاستمتاع بكثيرٍ من «اللمسات الساحرة» من الأدب الفذّ لأغاثا كريستي.

(٢) في الترجمات القديمة أخطاء كثيرة لأنها -بجملتها- نتاج عمل فردي متسرع هدفه الربح العاجل كما أسلفنا، وهذه الأخطاء (وكثير منها ساذج مضحك) أفسدت استمتاع القارئ بمتابعة القصة وكانت -أحياناً- عقبةً في طريق فهمه لحَبْكَة الأحداث وعقدة الرواية.

(٣) فضلاً عن أخطاء الترجمة، حفلت تلك الطبعات القديمة بما لا يكاد يُحصى من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية وجاءت على غير نَسَقٍ في طبيعة ترجمتها وأسلوب كتابتها، حتى لتجد أن اسْمَي بَطَلَيْ أغاثا الشهيرين، هيركيول بوارو والكابتن هيسْتِنْغز، قد كُتبا بأشكال متنوعة وصور متباينة خلال الروايات،

وكأنهما مجموعة من الأشخاص المختلفين!

(٤) أما الطباعة فمأساة لا تقلّ حجماً عن مأساة الترجمة وتكاد تنافسها في السوء والرداءة! امتلأت الروايات بالأخطاء المطبعية التي لم يحفل بتصحيحها أحد، وصُفّت أسوأ صف ثم طُبعت على أسوأ ورق. وما زال أولئك «الناشرون...» يصوّرون طبعة عن طبعة حتى صارت مقاطعُ كاملةٌ منها مطموسةً مستعصيةً على القراءة لا تكاد تبين حروفها وألفاظها.

(٥) ثم اجتهد «الناشرون...» فوضعوا لهذه الروايات أغلفة يظنّ معها من يراها أنها ليست سوى قصص فاضحة ماجنة، فكان أن أعرض عنها كثير من الناس الذين ظنوا أن صور أغلفتها تعبير عن محتواها، وزهد في هذا الأدب الرفيع كثير من المتأدبين.

(٦) وأباح هؤلاء «المترجمون...» لأنفسهم أن يتدخلوا في عناوين الروايات وتبويبها وترتيبها؛ فمسخوا العناوين الأصلية واستبدلوا بها ما ظنّوه أكثر إثارة أو أدعى لجذب القرّاء. واعتدوا على تبويب الروايات فأدخلوا بعض فصولها في بعض، وعلى ترتيب مجموعات القصص القصيرة فبعثروا ما كان منتظماً وشتتوا ما كان مجتمعاً. كل ذلك بغير سبب واضح ولا تعليل مفهوم.

(٧) وأخيراً، كان العدوان الأكبر على أغاثا كريستي بأن نحلوا لها ما ليس -أصلاً- من كتابتها. وذلك أن الناشرين لمّا رأوا إقبال الناس على ما حمل اسمها قد طمعوا في مزيد من البيع ومزيد من الربح، فجاؤوا بروايات لا يُعرف مؤلفوها فألحقوها بها ونسبوها إليها، حتى بلغ ما نُشر في السوق باسمها مئة وبضع

عشرة رواية، رغم أن كل ما كتبته من روايات بوليسية (وهي لها كتابات أخرى لم تُترجَم بعد إلى العربية، كما سيأتي في ترجمتها الموجزة) ليست سوى ثمانين رواية لا غيرا

فما الذي فعلناه نحن؟

اتصلنا بأصحاب الحقوق (ورثة المؤلفة) فعقدنا معهم اتفاقاً ووقّعنا عقداً ينصّ على الحقّ الحصري لنا بالطبعة العربية عبر العالم، ودفعنا مبلغاً كبيراً من المال مقابل هذا الاتفاق. بعد ذلك بدأنا بمشوار الترجمة الطويل الذي استغرق نحواً من سبع سنوات من العمل الشاق الدؤوب، المتعب والممتع في آنٍ معاً، ونفذّنا العمل بالأسلوب التالي:

(١) الترجمة على مرحلتين: يُترجَم العمل -أولاً- بالكامل، ثم يُراجَع مراجعة كاملة شاملة وكأنه ترجمة جديدة يقوم بها مترجم آخر. وكلا العملين تولاه مترجمون محترفون أصحاب خبرة وكفاءة ودراية واسعة باللغتين، العربية والإنكليزية.

(٢) التحرير: وفي هذه المرحلة تمت المراجعة الكاملة والدقيقة لكل نص مترجَم؛ لغوياً، ونحوياً، وإملائياً. مع العناية بالتفقير والترقيم (وضع العلامات من نقطة وفاصلة وسواهما). وتولّى هذا العمل واحدٌ من أفضل المختصين في هذا المجال.

(٣) الصفّ والإخراج: وقد نُفّذ هذا العمل لدى أفضل مراكز الصف، وبُذل في الإخراج من الجهد غايته ليأتي على أفضل شكل ممكن. وكان أن وقع الاختيار على قَطْع الكتاب

بالشكل الذي يجده القارئ بين يديه بعد استقراءٍ لميولِ كثيرٍ من القرّاء وُجد فيه أن الغالبية منهم يفضّلون -للروايات- هذا الحجم مقابل الحجم الكبير للكتب العلمية وكتب التراث.

(٤) ثم كانت المراجَعة بعد المراجَعة للنصّ النهائي المصفوف للتأكد من سلامته من أي خطأ أو سهو. كل ذلك ابتغاءَ الوصول إلى غاية الاتقان والحصول على أفضل عملٍ ممكنٍ يطيقه الجهد البشري.

نعم، نحن لم نحقق كتباً عظيمة من كتب التراث أو نترجم أعظم روائع الأدب العالمي، ولكن المرء مطالَبٌ -إذا عمل- أن يتقن عمله؛ تلك واحدة من وصايا الشرع. ثم إن في أدب أغاثا كريستي من الجمال والرقيّ ما يستحق السعي إلى مثله -إذ يُترجَم- في النص المُعرَّب. وأخيراً، فإن القارئ العربي الذي سيدفع قيمة هذه الكتب مالاً من جيبه ثم يصرف لقراءتها ساعات من وقته جديرٌ بالحصول على الأفضل. وهذا هو -بالذات- ما سعينا إليه في نهاية المطاف. فهل وُفِّقنا؟

نرجو أن نكون، وأنت -عزيزنا القارئ- خير حَكَم.

الناشر

* * *

منهجنا في التحرير

أردنا لهذه الطبعة أن تخرج متميزةً في سلامة لغتها وصحة صياغتها وقوة أسلوبها، فبذلنا في تحريرها غاية الجهد وأقصى الاهتمام، واضطررنا -في سبيل ذلك- إلى مراجعة المادة المترجَمة مرةً بعد مرة، غيرَ عابئين بما نصرفه من وقت أو نبذله من طاقة، حتى وصلنا إلى ما نحسبه عملاً مقبولاً يرضى عنه القارئ ويُرضينا نحن عن أنفسنا.

وقد أحببنا أن نضع بين يدي القارئ هذه الملاحظات حول الأسلوب الذي اتبعناه في المراجعة والتحرير:

ففي اللغة: نَهَجنا اعتمادَ الفصاحة بلا تكلّف؛ فاعتمدنا من الألفاظ الدائرة على ألسنة الناس ما وافق العربية، وتجنبنا كل لفظ غريب. وفي هذا المقام كرّسنا ما اعتمده مجمع اللغة العربية ووافق عليه مما ورد في معجمه «الوسيط»، مثل «الشُّوْربة» (بضم الشين بلا واو بعدها اسماً للحساء) و«السَّلَطة» و«الكُشك»، ومثل قولهم: «سرَّحَ العامل» (بمعنى أخلاه وصرفه من عمله) و«أشَّرَ على الكتاب» (أي وضع عليه إشارة برأيه)، ومثل هذا كثير.

وقد تنبّهنا إلى بعض المفردات مما يُخلَط فيه بين المذكر

والمؤنث والمفرد والجمع، «فالمستشفى» مذكّر يُؤنَّث خطأً، و«الحماس» بالتذكير لفظ غير موجود في اللغة، بل هي «الحماسة» بالتأنيث، و«الشرطة» جمع مذكّر وليس مفرداً مؤنثاً كما يظن عامة الناس؛ في الوسيط: «الشرطة هم حَفَظة الأمن في البلاد، الواحد شُرْطيٌّ وشُرَطيٌّ». ومثل هذا الخلط -فيما يجري على أقلام الكُتّاب وألسنة الناس- أيضاً كثير.

وكذلك تنبّهنا إلى بعض ما درَجَ على الألسنة والأقلام من مفردات غير صحيحة، فأبدلنا بها ما صحَّ وسُمِعَ عن العرب في هذا المقام؛ مثل قولهم: «خجول» والصواب «خَجِلٌ»، وقولهم: «مُندهش» والصواب «دَهِشٌ» أو «مَدْهوش»، وقولهم: «خصّيصاً» والصواب «خصوصاً»، و«الجدّيّة» والصواب «الجِدّ»، ومنه: كان الأمر جِدّيّاً، وهو خطأ صوابه: كان الأمر جِدّاً، و«جاؤوا سويّةً» والصواب «جاؤوا معاً» لأن «سويّة» تعني الاستواء والعدل (كقولك: قسمت المال بينهم بالسوية)، و«المجوهرات»، وهو جمع غريب لم يُسمَع، والصحيح «الجواهر»، ومثل ذلك كثير.

وفي الإملاء: كتبنا «إذن» بالنون مطلقاً، عملت أو لم تعمل، وهو مذهب الأكثرين من أهل اللغة، وكان المبرّد يقول: "أشتهي أن أكوي يد مَن يكتب إذن بالألف؛ لأنها مثل أن ولن".

وفي بعض الألفاظ التي يجوز فيها الوصل والفصل (مثل: قلَّ ما) اخترنا الوصل مطلقاً فكتبناها: «قلّما» أسوةً بأمثالها؛ فقد اتفقوا على أن يكتبوا بالوصل «ممّا» (من ما) و«عمّا» (عن ما) و«إلاّ» (إن لا)، ومثلها: «إنّما» و«حيثما» و«كيفما»، إلخ.

واخترنا في لفظ «مئة» كتابتها من غير ألف، وهو رأيٌ لكثيرٍ من العلماء نقله السيوطي في «همع الهوامع» واعتمده عبد الغني الدقر في «معجم قواعد اللغة العربية»، قال: "وهو أقرب إلى الصواب". وفي عدد المئات (كثلاثمئة وخمسمئة، الخ) اخترنا كتابتها متصلةً غير منفصلة (لا كما يفعل بعضهم فيكتبونها: ثلاث مئة وخمس مئة، إلخ).

وحرصنا -في الطبع- على أن تُثبَت همزات القطع وتُحذَف همزات الوصل ،وهو الصحيح في الكتابة. وحرصنا على عدم الوقوع في الخطأ الذي يقع فيه كثيرٌ من الطابعين إذ يخلطون بين الألف المقصورة والياء المتطرفة في آخر الكلمة فينقطون الاثنتين أو يجردونهما كلتيهما من النقط، ومثل ذلك بالنسبة للتاء المربوطة والهاء المتطرفة. وحرصنا -أيضاً- على إثبات تنوين الفتح مطلقاً منعاً لالتباسه بالألف (كقولهم: "وجد مالا يفرح"، فهي بلا تنوين تفيد أنه لم يجد شيئاً يفرح، وبالتنوين تفيد أنه وجد من المال ما يفرح، فتأمّل الفرق!). وأثبتنا تنوين الضم والكسر في كل حالة خشينا فيها الالتباس.

وكذلك أثبتنا علامات الشَّكل الأصلية (الفتحة والضمة والكسرة والسكون) في كل حالة يُخشى فيها الالتباس؛ كالتفريق بين الفعل المبني للمجهول والمبني للمعلوم، وبين فعلَي المضارع والأمر، والمثنى وجمع المذكر السالم في حالَي النصب والجر، وغير ذلك. وحرصنا على إثبات الشَدّة -خصوصاً- في غير المواضع المدرَكة سليقةً؛ إذ هي دلالة على حرف محذوف.

أما علامات الترقيم (من نقطة وفاصلة وعلامة استفهام وغيرها)، فقد أوليناها كل عناية ممكنة؛ إذ هي -كما سمّاها بعض الأدباء- «علاماتٌ للتفهيم»، بها يتم المعنى ويَضِحُ المقصود. واتّبعنا في تحديد العلامات ومواضعها الأصولَ التي اعتمدها أهل البحث واللغة، وعلى رأسهم العلامة أحمد زكي باشا في كتابه القيّم «الترقيم وعلاماته في اللغة العربية» مع بعض التصرف بما يوافق الأصول الحديثة المتّبَعة في عالَم النشر في هذا العصر.

وأخيراً، نظرنا في كتابة الحروف الأجنبية التي ليس لأصواتها مقابل في لغتنا العربية، فوجدنا القوم قد اختلفوا فيها اختلافاً كبيراً. فأما الباء الشديدة (P) فقد كتبوها باء بثلاث نقاط، فاعتمدنا لها الباء العادية؛ إذ ليس من المتيسّر في الصف والطباعة توفير باء مثلثة، كما أن هذا الرسم غيرُ متفَقٍ عليه ولا هو معتمَد من جهة علمية ذات شأن كمجمع اللغة العربية. وكذلك فعلنا في الحرف (V) فكتبناه فاء عادية بنقطة واحدة. أما الحرف الذي أثار أكبر اضطراب فهو الحرف (G) الذي يسمّونه «جيماً مصرية». فلأجل نطق أهل مصر الجيم بهذا الصوت اعتمد له كثيرون صورة الجيم، ولكن لو تأمّلت مَخرَج هذا الحرف ومَخرَج الجيم لوجدتهما متباعدَين تباعداً بيّناً، ولوجدت أن ما يقاربه في لغتنا مَخرجاً (في النطق) هي الغين والقاف والكاف. وقد كان هذا الصوت يُكتَب -فيما نُقل قديماً عن الفارسية- كافاً فوقها خط، وهي صورة لم يُتّفَق عليها فماتت واندثرت. وأهل الخليج يكتبون -اليوم- هذا الصوت قافاً، ويكتبه آخرون غَيْناً، وهو ما اخترناه لما وجدنا من قوة الدليل عليه؛ وانظر كيف كتبوا أكثر ما عرّبوا من أسماء البلدان كذلك فقالوا: «البرتغال» و«غانا» و«الغابون» و«السنغال»

و«بلغاريا» و«غرينتش»، وأمثال ذلك كثير كثير. وهكذا كتبنا اسم مؤلفة هذه القصص «أغاثا» خلافاً لما كان شائعاً من كتابتها بالجيم. (واستثنينا من الكتابة بالغين فقط كلمة «إنكلترا» والنسبةَ إليها: «إنكليز» و«إنكليزية»؛ لشيوع كتابتها بالكاف بين المتعلمين وطلبة المدارس ولمناسَبة المخرج، فأثبتناها بالكاف كما هي هنا).

أما أكثر ما يربك فهو كتابة الحروف الصوتية الطويلة في الأسماء الأجنبية. ففي العربية ثلاثة أصوات طويلة لا غير: الألِف والواو والياء، أما في الإنكليزية فتوجد ثمانية أصوات طويلة: الألف المرقَّقة (كما في: cat)، والألف المفخَّمة (كما في: car)، والألف الممالة (كما في: care)، والواو المشبعة (كما في: boot)، والواو الممالة المرقَّقة (كما في: bone)، والواو الممالة المفخّمة (كما في: orange)، والياء المشبعة (كما في: me)، والياء الممالة (كما في: urgent). وقد قربنا -في الرسم العربي- كل أنواع الألف فكتبناها ألفاً، وكل أنواع الواو فكتبناها واواً، ونوعَي الياء فكتبناهما ياءً، ما عدا الألف الممالة التي اجتهدنا في كتابتها ياء (كما في Hastings، صاحب بوارو الشهير في كثير من الروايات، كتبناه هيستِنْغز).

هذا ما اجتهدنا فيه وذهبنا إليه، آملين أن يكون اجتهادنا صحيحاً وأن نكون قد هُدينا فيه إلى الصواب؛ فيكون العمل الذي نقدمه إلى قرائنا سليماً صحيحاً معافى من العيوب. والله المستعان.

المحرّر

* * *

المؤلّفة في سطور

تُعتبَر أغاثا كريستي أعظمَ مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَن كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبع منها بليونَيْ (ألفَيْ مليون) نسخة!

وُلدت أغاثا كريستي في بلدة توركي بجنوب إنكلترا عام ١٨٩٠، وتوفيت عام ١٩٧٦ وعمرها نحو خمسة وثمانين عاماً. لم تذهب أغاثا قطّ إلى المدرسة، بل تلقت تعليمها في البيت على يد أمها التي دفعتها إلى الكتابة وشجعتها عليها في وقت مبكر من حياتها، كما تخبرنا هي نفسها؛ فحينما كانت نزيلة فراشها تتعافى من مرضٍ ألمّ بها سألتها أمها: "لماذا لا تكتبين قصة؟". أجابت فوراً: "لا أظن أنني قادرة على ذلك"، فقالت أمها: "بلى، تستطيعين. جرّبي وسترَين". عندئذ كتبت أغاثا أول رواية لها وعنوانها «ثلوج على الصحراء»، وهي رواية رفضها الناشرون فلم تُنشر قط. أما الرواية الثانية «القضية الغامضة في ستايلز» (التي ظهر فيها بوارو للمرة الأولى) فقد أدخلتها إلى عالم الكتابة الرحيب،

وذلك حين نُشرت -أخيراً- بعدما رفضها ستة من الناشرين!

عاشت أغاثا طفولة سعيدة، إذ كانت صغرى ثلاثة أولاد لأبٍ مرِح مُحبٍّ للحياة وأم ذكية طموحة، وقد ظلّت -حتى آخر حياتها- تذكر بيتها الذي وُلدت ونشأت فيه بكثير من الشوق والحنين. ولكن هذه السعادة لم تَدُم؛ فقد توفي والدها وهي في الحادية عشرة مخلّفاً لأسرته مشكلات مادية لم تلبث أن أدخلت أغاثا في عالم المسؤولية في ظروف صعبة.

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى تطوعت أغاثا للعمل في أحد المستشفيات ممرّضةً تساعد جرحى الحرب. وفي هذا المستشفى عملت بتحضير الأدوية وتركيبها وتعرفت إلى السموم المختلفة، وهو الأمر الذي كانت له فائدة عظيمة في كتاباتها اللاحقة عن الجرائم.

وفي تلك الفترة، في عام ١٩١٤، تزوجت طيّاراً شاباً اسمه آرشيبالد كريستي، ولكنها انفصلت عنه عام ١٩٢٨ بعد موت والدتها بقليل. ولم تلبث أن تزوجت -مرة أخرى- عام ١٩٣٠ عالم الآثار الشهير السير ماكس مالُوانْ، وهو الذي أمضت برفقته سنوات من عمرها في المشرق (في العراق وسوريا ومصر) فجاءت أحداث عدد من رواياتها لتقع في هذه البلاد، مثل: «موت على النيل»، و«لقاء في بغداد»، و«جريمة في العراق». وحينما سافرت على متن قطار الشرق السريع خرجت بواحدة من أشهر رواياتها: «جريمة في قطار الشرق».

تحدثت أغاثا كريستي عن نفسها فقالت: "لو سُئلت عن

ميولي لأجبت بأنني أحب كل طعام جيد، وأكره الكحول وكل ما يدخل في صنعه الكحول. حاولت التدخين فوجدته بغيضاً ولم أجد ما يغريني بالتعلق به. أحب الأزهار، وأعشق البحر، وأهوى السفر ولا سيما في بلدان الشرق الأدنى. أحب المسرح وأكره الأفلام الناطقة إذ أعجز عن متابعتها، وأكره الإذاعة وضوضاءها، وأبغض المدن وازدحامها".

أما قصصها فتتميز بدقة حَبْكتها وترابط أحداثها ومنطقية تسلسلها، تغور فيها في أعماق النفوس البشرية محلِّلةً كوامنَها باحثةً عن دوافعها بعبقرية فذة وبصيرة نافذة. وهي قصص «نظيفة» بريئة من إثارة المشاعر والغرائز وليس فيها ما يُخجِل أو يَسوء. وقد حرصت على أن تقول لنا فيها دائماً: «لا بدّ أن ينتصر الخير»، و«الجريمة لا تفيد».

أشهر أبطالها هيركيول (هرقل) بوارو، والآنسة ماربل. أما بوارو فقد «وُلد» عام ١٩٢٠ في «القضية الغامضة في ستايلز»، وهي أول رواية نُشِرت لها، ثم استمرّ بالظهور في روايات لاحقة لمدة خمس وخمسين سنة حتى «قُتل» أخيراً عام ١٩٧٥ في روايتها «الستارة». وهو محقق بلجيكي وشرطي متقاعد أهمّ ما يميّزه ذكاؤه الخارق (الناتج عن «الخلايا الرمادية الصغيرة» في دماغه!) وشارباه العظيمان اللذان ليس لهما مثيل في الدنيا! وغالباً ما يرافقه في تحقيقاته صاحبه الشهير، الضابط المتقاعد، الكابتن هيستِنْغز، الذي يتميز بطبيعته الطيبة وذكائه المتواضع وحبه الكبير لبوارو.

وأما الآنسة ماربل فهي عانس عجوز ذات ذكاء بالغ وإدراك عجيب، وتتمتع بقدرة فذّة على الملاحظة والتحليل وفهم عميقٍ للنفس البشرية بحيث تكشف أسرار الجرائم مستفيدةً من شبكةٍ واسعةٍ من الأصدقاء والمعارف والعلاقات الاجتماعية الناجحة.

كتبت أغاثا كريستي من روايات وقصص الجريمة سبعاً وستين رواية طويلة وعشرات من القصص القصيرة التي نُشرت في ثلاث عشرة مجموعة، وبذلك يكون عدد ما نُشر لها من الأعمال البوليسية ثمانين كتاباً. كما كتبت ستّ روايات طويلة رومَنسية باسم مستعار هو «ماري ويستماكوت»، وست عشرة مسرحية أشهرها «مصيدة الفئران» التي تُعتبر أطول المسرحيات عرضاً في التاريخ؛ إذ ما زالت تُعرض في لندن (دون انقطاع تقريباً) منذ عام ١٩٣٠، أي لنحو ثلاثة أرباع القرن! أما سيرة حياتها التي كتبتها قبيل وفاتها فقد نُشرت بعد موتها بعام واحد، وسوف نقدّم ترجمتها إلى قرائنا (مع كتاب ذكرياتها الآخر «تعالي أخبريني كيف تعيشين» الذي نشرته عام ١٩٤٦ وسردت فيه ذكرياتها عن رحلاتها مع زوجها)، حيث ستكون هذه هي المرة الأولى التي يُترجم فيها هذان الكتابان إلى اللغة العربية.



إبْزيم الحِذَاء

الفصل الأول

لم يكن السيد مورلي في مزاج هادئ عند الإفطار. تذمر من المقانق وتساءل عن السبب الذي جعل القهوة بلون الطين السائل وقال إن الخبز والكعك المقدم على الطاولة بعضه أسوأ من بعض.

كان السيد مورلي رجلاً ضئيل الجسم عريض الفكين بارز الذقن. أما أخته التي كانت ترعى له البيت فكانت ذات جسم ضخم كأنها رياضية تحمل الأثقال. نظرت إلى أخيها نظرة تأمل وسألته إن كان ماء الحمام قد برد من جديد.

أجابها السيد مورلي بامتعاض قائلاً إن الماء لم يبرد، ثم ألقى نظرة على الجريدة وقال إن الحكومة تبدو وكأنها تعبر حالة انعدام الكفاءة وصولاً إلى حالة البلاهة الإيجابية!

ردّت الآنسة مورلي عليه بصوت خفيض عميق قائلة إن ذلك مخزٍ! وكونها امرأة؛ فقد كانت تجد دائماً أن كل حكومة تتولى السلطة هي حكومة مفيدة، ولذا أصرت على أخيها ليشرح لها لماذا يرى سياسة الحكومة الحالية غير حاسمة وغبية وحمقاء وانتحارية!

وعندما شرح السيد مورلي آراءه حول هذه النقاط تناول فنجاناً آخر من القهوة التي تذمر منها وأزاح عن كاهله سبب همومه وأحزانه. قال: هؤلاء الفتيات كلهن سواء! لا يوثق فيهن، أنانيات... لا يعتمد عليهن بأي شكل من الأشكال.

سألته الآنسة مورلي من باب الفضول: غلاديس؟

- لقد تلقيت منها الرسالة الآن. تقول إن عمتها أصيبت بسكتة، واضطرت للذهاب إلى سومرست.

قالت الآنسة مورلي: إنه أمر مزعج يا عزيزي، لكنه خارج عن إرادة الفتاة.

هز السيد مورلي رأسه باكتئاب وقال: كيف لي أن أعرف أن عمتها أصيبت حقاً بسكتة؟ كيف أعرف أن هذا الأمر ليس عملاً مدبراً بين الفتاة وذاك الشاب الخليع الذي تخرج معه؟ إن ذلك الشاب عديم الأخلاق لم أر مثله من قبل! ربما خططا ليخرجا معاً هذا اليوم.

- لا يا عزيزي، لا أظن أن غلاديس تفعل ذلك. لقد كنت تجد فيها دوماً فتاة مستقيمة.

- نعم، نعم.

- لقد كنت تقول عنها إنها فتاة ذكية حريصة على عملها.

- نعم، نعم يا جورجينا، لكن ذلك كان قبل أن يظهر هذا الشاب الخليع. لقد تغيرت كثيراً في الفترة الأخيرة... تغيرت تماماً. باتت شاردة الذهن، وقلقة، وعصبية.

- الفتيات يقعن في الحب يا هنري... لا يمكن منع ذلك.

ردّ عليها السيد مورلي بحدّة: لا ينبغي لها أن تدع الأمر يؤثر على عملها وكفاءتها كسكرتيرة لي. كما أنني -اليوم بالذات- مشغول إلى أبعد حد؛ لديّ كثير من المرضى المهمين. أمر يبعث على الضجر!

- لا بد أنه يثير الحنق يا هنري. على فكرة، كيف يعمل الولد الجديد؟

قال هنري مورلي عابساً: إنه أسوأ مَن عمل عندي! لا يستطيع كتابة اسم واحد بشكل صحيح، كما أنه فظ في معاملته مع المرضى. إذا لم يتحسن فسوف أطرده وأحضر آخر مكانه. لا أدري ما فائدة التعليم عندنا هذه الأيام. يبدو أنه يخرّج مجموعة من الحمقى الذين لا يستطيعون فهم شيء مما يقوله المرء، ناهيك عن تذكّره.

نظر إلى ساعته وقال: لا بد أن أذهب. وقتي هذا الصباح مليء بالمواعيد وتلك المرأة سينسبري سيل أسنانها تؤلمها. اقترحتُ عليها أن ترى رَيْلي لكنها لم تقبل.

قالت جورجينا من قبيل الإخلاص لأخيها: بالطبع لن تقبل.

- إن ريلي شخص قدير... قدير فعلاً. يملك شهادات عليا ويتبع أحدث الأساليب في عمله.

- يداه ترتعشان... أظن أنه يشرب.

ضحك أخوها وعاد إليه مزاجه الهادئ. قال: سآتي لتناول الشطائر في الواحدة والنصف كما هي العادة.

* * *

كان السيد أمبيريوتيس ينكش أسنانه بالعود ويبتسم لنفسه في فندق سافوي...كل شيء كان يسير على ما يرام.

كان قد نجح في عمله كالمعتاد، وكان يفكر في تلك الكلمات اللطيفة القليلة التي قالها لتلك المرأة الغبية وكيف لقي مقابلها خير جزاء. آه! حسناً... افعل خيراً وألقِهِ في البحر. كان دائماً طيب القلب وكريماً، وربما استطاع في المستقبل أن يكون أكثر كرماً. تراءت أمامه رؤى لأعمال خيرية: ديمتري الصغير، وذاك الطبيب المكافح في مطعمه الصغير... أية مفاجأة سارة بالنسبة لهما. نخز العود لسانه فجفل السيد أمبيريوتيس. تلاشت الرؤى الورديّة للمستقبل وحلت محلّها مخاوف المستقبل القريب. تحسس لسانه بلطف. أخرج دفتر الملاحظات من جيبه وقرأ: "الساعة الثانية عشرة في ٥٨ شارع الملكة شارلوت".

حاول أن يستعيد مزاجه السابق المرح، ولكن دون جدوى. انكمشت آفاقه كلها لتتلخص في ست كلمات لا غير: "٥٨ شارع الملكة شارلوت... الساعة الثانية عشرة".

* * *

في فندق غلينغوري كورت في جنوب كينسنغتن انتهى ميعاد

الإفطار، وفي قاعة الاستراحة كانت الآنسة سينسبري سيل جالسة تتحدث مع السيدة بوليثو. كانتا تجلسان إلى طاولتين متجاورتين في قاعة الطعام وتكونت بينهما صداقة بعد يوم واحد من وصول الآنسة سينسبري سيل إلى الفندق قبل أسبوع.

قالت الآنسة سينسبري سيل: لقد توقف الألم يا عزيزتي! لا يوجد أي ألم. ربما الأفضل أن أتصل...

قاطعتها السيدة بوليثو: لا تتحامقي يا عزيزتي. اذهبي إلى طبيب الأسنان وتخلصي من الألم.

كانت السيدة بوليثو امرأة طويلة القامة مسيطرة ذات صوت خفيض. أما الآنسة سينسبري سيل فكانت امرأة في الأربعين من عمرها تقريباً ذات شعر مصبوغ وملفوف إلى الأعلى دون ترتيب، وقد ارتدت ملابس لا شكل لها كملابس الفنانين، وكانت نظارتها تقع دوماً على أنفها، وكانت ثرثارة من الطراز الأول.

قالت بحزن: ولكنه حقاً لم يعد يؤلمني على الإطلاق.

- هراء. لقد أخبرتني بأنك لم تنامي منه الليلة الماضية.

- بلى، لم أنم فعلاً... ولكن ربما كان العصب قد مات الآن.

قالت السيدة بوليثو حازمة: هذا سبب أكثر وجاهة للذهاب إلى طبيب الأسنان. إننا نرغب جميعاً بتأجيل هذا الأمر، ولكنه جبن. الأفضل أن تحزمي أمرك وترتاحي منه!

تحرك شيء على شفاه الآنسة سينسبري سيل. أتراها كانت تهمهم متمردة: "صحيح، ولكنه ليس ضرسك أنت!"؟

ولكن كل ما قالته كان: أظن أنك على حق... كما أن السيد مورلي رجل حذر ولا يؤذي أحداً على الإطلاق.

* * *

انتهى اجتماع مجلس الإدارة ومرّ بهدوء. كان التقرير جيداً، وما كان ينبغي أن تثار أية ملاحظة تنافي ذلك. ومع ذلك شعر السيد روذرشتاين الحسّاس بأن في سلوك الرئيس شيئاً ما... مسحةً بسيطة جداً من الاختلاف. كان في ملاحظاته -أحياناً- شيء من القِصَر، شيء من المرارة... مما لم تكن مجريات الاجتماع تقتضيه.

ربما كان همّاً داخلياً؟ لكن روذرشتاين لم يستطع الربط بين الهموم الداخلية وبين أليستير بلانت؛ فهو لم يكن رجلاً عاطفياً. كان طبيعياً جداً... إنكليزياً جداً من حيث الجوهر.

كانت لديه -بالطبع- مشكلة الكبد. كان كبد السيد روذرشتاين يسبب له بعض المشكلات من وقت لآخر، لكنه لم يكن يعلم أبداً أن أليستير يشكو من كبده. كانت صحة أليستير سليمة كدماغه وخبرته المالية. لم تكن صحته من ذلك الطراز المتدفق المزعج أحياناً، بل مجرد صحة هادئة معافاة. ومع ذلك، كان في الأمر شيء ما. ففي مرة أو مرتين تحسس الرئيس وجهه بيديه، وكان يجلس ويده تسند ذقنه. لم يكن ذلك من عادته وطبعه، كما بدا أكثر من مرة شارد الذهن... نعم، شارد الذهن.

خرجوا من قاعة الاجتماعات ونزلوا الدرج. قال روذرشتاين: هل أوصلك بسيارتي؟

ابتسم أليستير بلانت وهز رأسه: سيارتي تنتظرني.

ثم نظر إلى ساعته وقال: "لن أعود إلى المدينة". وسكت قليلاً ثم قال: الواقع أن لديّ موعداً مع طبيب الأسنان.

لقد حُلّ اللغز!

* * *

ترجل هيركيول بوارو من سيارة الأجرة ودفع للسائق أجرته وقرع جرس المنزل رقم ٥٨ في شارع الملكة شارلوت.

بعد لحظات من الانتظار فتح له البابَ خادمٌ يلبس زيّاً خاصاً. كان النمش يغطي وجهه وكان أحمر الشعر وتبدو عليه علامات الجد.

قال هيركيول بوارو: هل السيد مورلي موجود؟

كان يأمل في قرارة نفسه بأن يكون السيد مورلي قد استُدعي إلى خارج عيادته أو أن يكون متوعكاً ولا يستطيع رؤية المرضى اليوم... لكنها آمال ذهبت أدراج الرياح؛ فقد تراجع الخادم إلى الوراء إشارة لهيركيول بوارو لكي يدخل. دخل بوارو وأغلق وراءه البابَ بهدوءِ مَن أسلم زمامه لقدرٍ محتوم.

قال الخادم: الاسم من فضلك؟

أعطاه بوارو الاسم، ففتح الصبي باباً من الناحية اليمنى من الصالة ليدخل بوارو قاعة الانتظار.

كانت الغرفة مؤثثة بأثاث يدل على ذوق رفيع وهادئ رآه بوارو -رغم ذلك- كئيباً لسبب ما. كانت هناك طاولة نظيفة وضعت عليها أوراق ومجلات بطريقة مرتبة، وفي جانب الغرفة منضدة عليها شمعدانان وطبق مزخرف، وعلى رف المدفأة ساعة برونزية ومزهريتان برونزيتان. كانت النوافذ مغطاة بستائر من المخمل الأزرق، أما الكراسي فكانت منجّدة بقماش أحمر عليه رسومات طيور وأزهار.

جلس على أحد الكراسي رجل ذو هيئة عسكرية وشارب كث وبشرة صفراء. نظر إلى بوارو كمَن ينظر إلى حشرة ضارة. بدا وكأنه يتمنى لو أنه كان يحمل معه بدلاً من مسدسه العسكري عبوة من مبيد الحشرات. أما بوارو فقد قال في نفسه وهو يرمقه بنظرات ازدراء: "الحقيقة أن من الإنكليز رجالاً على درجة من السخف والبشاعة بحيث يتمنى المرء لو أنهم ماتوا عند ولادتهم تخلصاً من هذا النكد".

وبعد أن حملق الرجل العسكري في بوارو طويلاً أخذ صحيفة التايمز عن الطاولة وأدار كرسيه حتى يتفادى النظر إلى بوارو وجلس يقرأ فيها.

أخذ بوارو مجلة بنتش الهزلية وتصفحها صفحة صفحة لكنه لم يجد فيها ما يستحق الضحك. دخل الخادم وقال: الكولونيل آرو بامبي؟

قام الرجل العسكري وتبع الخادم، أما بوارو فكان يفكر في احتمالات وجود اسم كهذا الاسم حقيقةً عندما فُتح الباب ليدخل منه شاب في الثلاثين من عمره تقريباً.

وبينما وقف الشاب بجانب الطاولة يتصفح بقلق أغلفة المجلات نظر بوارو إليه بطرف عينه. بدا شاباً كريهاً وخطراً وربما يكون مجرماً قاتلاً، أو هكذا اعتقد بوارو! على أية حال بدا قاتلاً أكثر من أي قاتل آخر اعتقله بوارو أثناء حياته المهنية.

فتح الخادم الباب وقال: السيد بيرو.

نهض بوارو مباشرة وقد خمن أنه المقصود. قاده الغلام إلى مؤخرة الصالة ثم إلى مصعد صغير صعد به إلى الطابق الثاني، وهناك سار فيه في ممر طويل وفتح باباً يؤدي إلى حجرة انتظار صغيرة وضرب باباً آخر وفتحه دون أن ينتظر إجابة ثم تراجع لكي يدخل منه بوارو.

دخل بوارو وهو يسمع صوت ماء جار وتقدم ليرى السيد مورلي وراء الباب يغسل يديه على مغسلة هناك.

* * *

في حياة أعظم الرجال لحظاتٌ مخزية معينة. ولقد قيل إنه لا يوجد بطل في عين خادمه، ويمكن أن يضاف إلى هذا القول أن قلة من الرجال فقط يكونون أبطالاً -حتى أمام أنفسهم- عند زيارتهم لأطباء الأسنان.

كان هيركيول بوارو يدرك هذه الحقيقة إدراكاً فظيعاً. كان رجلاً اعتاد على الثقة بنفسه. كان هو.. هيركيول بوارو.. المتفوق على الرجال الآخرين في كثير من الأمور. لكنه في هذه اللحظة عجز عن الشعور بالتفوق في أي شيء؛ فقد هبطت معنوياته إلى الصفر وبات مجرد رجل عادي جبان يخاف من كرسي طبيب الأسنان.

كان السيد مورلي قد انتهى من غسل يديه وبدأ يتحدث بأسلوبه الطبي المشجع: الجو اليوم ليس دافئاً كما يجب أن يكون عليه في هذا الوقت من السنة، أليس كذلك؟

ثم أدار الحديث بحنكة وصولاً للنقطة الحرجة... الكرسي! وبدأ يحرك مسند الرأس إلى أعلى وإلى أسفل. أخذ هيركيول بوارو نفساً عميقاً ثم ارتقى الكرسي وأرخى رأسه وسلّمه لأنامل السيد مورلي.

قال السيد مورلي بابتهاج فظيع: هكذا. أهذا مريح تماماً؟ متأكد؟

ردّ عليه بوارو بنبرة كئيبة قائلاً إن ذلك مريح تماماً، فقرّب السيد مورلي منه صينية الأدوات وأخذ مرآته الصغيرة وأمسك بإحدى الأدوات واستعد للقيام بعمله.

تشبث بوارو بذراعي الكرسي وأغلق عينيه وفتح فمه.

سأله السيد مورلي: هل توجد مشكلة معينة؟

أجاب بوارو عن ذلك السؤال وهو يفتح فمه محاولاً إخراج

الحروف رغم انفتاح الفم، ولكن الطبيب فهم منه عموماً أنه ليس في أضراسه مشكلة معينة. كانت تلك -في الحقيقة- زيارة الصيانة نصف السنوية التي يجريها بوارو لأسنانه بدافعٍ من تعلقه بالنظام والترتيب. وبالطبع يمكن أن لا يعمل الطبيب أي شيء... وربما تجاهل السيد مورلي ذلك الضرس الثاني من الخلف الذي تأتي منه تلك النخزات. قد يفوته ذلك، رغم أن هذا كان مستبعداً لأن السيد مورلي كان طبيب أسنان بارعاً جداً في عمله.

انتقل السيد مورلي من ضرس إلى آخر ببطء يضرب على كل ضرس بالمجس ويتحسسه ويطلق بعض التعليقات أثناء ذلك.

- هذه الحشوة تآكلت قليلاً... ومع ذلك لا تهم. اللثة جيدة لحسن الحظ.

سكت عندما وصل إلى ضرس اشتبه فيه. جسّه ثانيةً حتى تأكد من عدم وجود شيء، ثم انتقل إلى الأسنان السفلية. واحد... اثنان، على الثالث؟ لا...

فكر بوارو في نفسه مرتبكاً: "لقد رأى الكلب الأرنب!".

مضى الطبيب يقول: مشكلة صغيرة هنا. ألا يؤلمك هذا الضرس؟ أنا مدهوش.

ثم أكمل المجس عمله. وأخيراً تراجع السيد مورلي إلى الوراء وبدت عليه علامات الرضا.

- لا يوجد شيء خطير... مجرد حشوتين متآكلتين قليلاً وبعض

آثار من تسوس في ذلك الضرس العلوي. أظن أن باستطاعتنا إصلاح ذلك كله هذا الصباح.

- أدار أحد المفاتيح فخرج صوت رنين وطنين. أمسك السيد مورلي بالحفّارة وثبّت فيها إبرةً باهتمامِ مَن يحب ما يفعله، ثم قال باختصار: "أرشدني". وبدأ عمله الفظيع.

لم يكن من الضروري لبوارو أن ينبه الطبيب أو يرفع يده أو يئن أو حتى يصرخ لأن السيد مورلي كان يوقف المثقاب في اللحظة المناسبة ويطلب منه أن ينظف فمه ويضع قطعة من الشاش على الضرس ثم يختار إبرة جديدة ويواصل عمله.كانت محنة الحفارة تتمثل في الرعب أكثر مما تتمثل في الألم.

وحالما انتهى السيد مورلي من الحفر وبدأ بإعداد الحشوة بدأ حديثه ثانية: عليّ أن أقوم بهذا العمل بنفسي هذا الصباح. لقد جرى استدعاء الآنسة نيفيل. هل تذكر الآنسة نيفيل؟

أومأ بوارو بالإيجاب وهو غير صادق.

- استُدعيتْ إلى قريتها بسبب قريبة لها. أمور كهذه لا تحدث إلاّ في مثل هذا اليوم المزدحم... إنني متأخر في عملي هذا الصباح؛ فالمريض الذي قبلك جاء متأخراً. إنه أمر يثير أعصاب المرء ويفسد عليه صباحه كله. ثم عليّ أن أعالج مريضة طارئة لأنها تتألم. إنني أترك دائماً ربع ساعة في الصباح لمثل هذه الحالات الطارئة، ومع ذلك فهي تزيد حالة الارتباك عندي.

تأمل السيد مورلي مدفع المورتر الصغير في يَده وهو ينزل عن

كرسيه، ثم تابع حديثه: سأخبرك شيئاً كنت ألاحظه دائماً يا سيد بوارو. الناس الكبار... الشخصيات المهمة، يأتون دائماً في الموعد المحدد ولا يجعلونك تنتظرهم أبداً. الوزراء على سبيل المثال... إنهم دقيقون جداً في مواعيدهم، وكبار رجال المدينة مثلهم أيضاً. والآن هذا الصباح سيأتيني رجل مهم جداً... أليستير بلانت!

نطق السيد مورلي بالاسم بفرحة المنتصر، وغمغم بوارو بحشرجة مَن كان يمنعه من النطق ما حُشر في فمه من لفائف القطن، إضافة إلى تلك الأنبوبة الزجاجية التي تقرقر تحت لسانه.

أليستير بلانت... تلك هي الأسماء التي تخيف في هذه الأيام! لم تعد ألقاب الدوق أو اللورد أو حتى رؤساء الوزارات هي ما يهم، كلا، بل مجرد اسم أليستير بلانت دون أية إضافات، رجل لا يكاد يكون معروفاً للعامة، لا يكاد اسمه يظهر إلا في مناسبات قليلة وفي زوايا صغيرة بعيدة عن الأنظار في الصحف. إنه ليس بالرجل الاستعراضي الشهير. مجرد رجل إنكليزي هادئ لا شيء يميزه كان يرأس أكبر مؤسسة مصرفية في إنكلترا. رجل واسع الثروة كان يعيش حياة هادئة مغمورة دون أن يظهر على المسرح العام أو يلقي الخطابات، ومع ذلك فهو رجل ذو نفوذ عظيم.

حافظ صوت السيد مورلي على نبرة توقير وهو يقف فوق بوارو يضع الحشوة: دائماً يأتي في موعده بالضبط، وغالباً ما كان يطلب من سائقه العودة بالسيارة ثم يعود إلى مكتبه سيراً على الأقدام. إنه رجل لطيف هادئ ومتواضع، مولع بلعب الغولف ومغرم بحديقته،

لا يمكن أن يتبادر إلى ذهنك أنه ذلك الرجل الذي يستطيع شراء نصف أوروبا بماله! إنه مثلي ومثلك تماماً!

ظهر الاستياء على بوارو لهذا الجمع العفوي بينه وبين الطبيب. صحيح أن السيد مورلي كان طبيب أسنان جيداً، ولكن يوجد أطباء أسنان آخرون جيدون غيره في لندن. أما هيركيول بوارو فلا يوجد منه إلا واحد فقط!

قال السيد مورلي: "تمضمض من فضلك". ثم أكمل الطبيب حديثه بعد أن شرع في معالجة الضرس الثاني: إن حالته تشكل إجابة على رجالٍ كهتلر وموسوليني ومن سار على دربهم. نحن لا نحدث ضجة أو زوبعة عندنا... انظر إلى مدى الديمقراطية التي تسمح بظهور الإبداع الفردي. إن رجلاً فرنسياً مثلك معتاد بالطبع على مثل ذلك.

- آه... أنا لست... فرهسياً... أنا بلييكي.

قال السيد مورلي بحزم: اهدأ، اهدأ. لن تستطيع الكلام وفمك مفتوح! يجب تجفيف حفرة السن تماماً.

نفخ هواء ساخناً في فجوة السن دون رحمة وأكمل يقول: لم أكن أعرف أنك بلجيكي... هذا مثير جداً. أنا لا أتذكر أسماء ولكن من الملفت للنظر أنني لا أنسى وجهاً أبداً. على سبيل المثال، أحد المرضى عندي بالأمس... كنت قد رأيته من قبل، وعندما ذُكر لي اسمه لم أتذكره أبداً، لكنني قلت في نفسي على الفور: "أين قابلتك من قبل؟". إلى الآن لم أتذكر أين رأيته، لكني سأتذكر... إنني واثق من هذا. تمضمضْ مرة أخرى من فضلك.

انتهت المضمضة فأمعن السيد مورلي النظر في فم مريضه.

- حسناً، أظن أن الأمور تبدو جيدة الآن. أغلق فمك... بهدوء. هل أنت مرتاح تماماً؟ ألا تشعر بالحشوة على الإطلاق؟ افتح ثانية من فضلك، نعم... الحال يبدو جيداً.

نزل بوارو عن كرسيه وقد أصبح رجلاً حراً.

وداعاً يا سيد بوارو، أرجو أن لا تكون قد كشفت أي مجرم في بيتي؟

قال بوارو مبتسماً: قبل أن أصعد إلى هذه الغرفة كان كل واحد يبدو لي مجرماً، أما الآن فربما اختلف الحال!

- آه، نعم... فرق كبير بين قبل وبعد. ومع ذلك فإننا -معشر أطباء الأسنان- لم نعد بتلك الفظاعة التي كنا عليها من قبل! هل أضرب الجرس ليطلبوا لك المصعد؟

- لا، لا، سأنزل مشياً.

- كما تشاء. المصعد بجانب الدرج.

سمع بوارو صوت صنبور المياه بعدما خرج وأغلق الباب وراءه. ثم نزل درجتي السلم، وعندما وصل إلى المنعطف الأخير من الدرج رأى الكولونيل الإنكلو-هندي وهو خارج. ورأى بوارو أنه لم يكن رجلاً سيئ المنظر، بل ربما كان صياداً ماهراً قتل الكثير من النمور. إنه مَعْلم نموذجي من معالم الإمبراطورية.

ذهب إلى قاعة الانتظار ليأخذ قبعته وعصاه اللتين تركهما هنالك.

كان الشاب القلق المتململ ما زال موجوداً مما أدهش بوارو قليلاً، وكان في القاعة مريض آخر؛ رجل يقرأ مجلة.

تفحص بوارو الشاب بمزاجه الجديد اللطيف الذي خرج به من عند الطبيب: ما زال يبدو في نظره شديد القسوة... وكأنه يريد ارتكاب جريمة قتل، لكنه ليس قاتلاً حقيقة... أو هكذا أحسّ بوارو. لا شك أن هذا الشاب سرعان ما سينزل الدرج وقد انتهت محنته، سعيداً ومبتسماً لا يتمنى المرض لأحد.

دخل الخادم وقال بحزم ووضوح: السيد بلانت.

وضع الرجل الجالس المجلة على الطاولة ونهض. كان رجلاً متوسط الطول متوسط العمر لا بالسمين ولا بالنحيل، حسن الهيئة هادئاً. وخرج على إثر الخادم.

إنه واحد من أغنى الرجال في إنكلترا وأكثرهم نفوذاً، ومع ذلك توجب عليه الذهاب إلى طبيب الأسنان كأي شخص آخر، ولا شك أنه شعر بنفس الخشية التي يشعر بها كل الناس إزاء طبيب الأسنان.

أخذ هيركيول بوارو قبعته وعصاه (وهذه الأفكار تجول في باله) ثم ذهب إلى الباب الآخر. ألقى نظرة إلى الوراء فأحس بأن ذلك الشاب يعاني من ألم فظيع في أسنانه دون شك. وفي الصالة توقف بوارو أمام المرآة ليعدل شاربه الذي أفسدته حركات السيد مورلي. كان قد أكمل تواً تنشيط شاربه وشعر بالرضا عندما نزل المصعد مرة أخرى وخرج منه الخادم يصفر بصوت صاخب، وعندما رأى بوارو سكت فوراً وجاء ليفتح له الباب الخارجي.

جاءت سيارة أجرة ووقفت أمام المنزل وظهرت منها قدمٌ نظر إليها بوارو باهتمام شديد: كاحل دقيق وجورب من نوعية جيدة، ولكن الحذاء لم يعجبه؛ كان جلدياً جديداً ذا إبزيم معدني كبير لامع. وهزّ رأسه أسفاً. غير أنيق... ذوق سوقي جداً!

خرجت السيدة من سيارة الأجرة، لكن قدمها الأخرى علقت بالباب وهي تخرج فانتُزع الإبزيم منها ووقع على الرصيف محدثاً رنيناً، فقفز بوارو بشهامة ورفعه عن الأرض وأعاده لصاحبته وهو ينحني.

للأسف! إنها أقرب للخمسين منها للأربعين. تضع نظارة، ولها شعرٌ أصفر رمادي غير مصفوف، وثيابها غير مناسبة من تلك الأقمشة الخضراء التي تقبض النفس. وشكرته فسقطت نظارتها على الأرض ثم أسقطت حقيبتها أيضاً.

رفعهما بوارو وقد فارقته شهامته إلا بقية من أدب وأعطاهما لها، وانصرفت صاعدة درجات المنزل رقم ٥٨ في شارع الملك شارلوت.

قطع بوارو التعليقات المستاءة لسائق السيارة إزاء هوان الإكرامية التي حصل عليها: أأنت فارغ؟

قال سائق السيارة عابساً: نعم، فارغ.

قال بوارو: وأنا كذلك... فارغ القلب من الهم!

رأى بوارو نظرات الارتياب على وجه سائق سيارة الأجرة فسارع إلى القول: لا يا صديقي، لست ثملاً. كل ما في الأمر أنني

كنت عند طبيب الأسنان، ولن يلزمني الذهاب إليه مرة أخرى إلا بعد ستة أشهر، وهي فكرة جميلة تسعد المرء.

* * *

الفصل الثاني

كانت الساعة الثالثة إلاّ ربعاً عندما رنّ جرس الهاتف.

كان بوارو جالساً على كرسي هزاز يهضم -سعيداً- وجبة غداء فاخرة. لم يتحرك عندما رنّ الهاتف بل انتظر جورج الوفي حتى يأتي ويرد على المكالمة. عندما سمع جورج يقول: "لحظة واحدة من فضلك يا سيدي" قال: من هذا؟

- إنه رئيس المفتشين جاب يا سيدي.

- آها؟

رفع بوارو السماعة وقربها إلى أذنه قائلاً: أهلاً يا صديقي. كيف تسير الأمور؟

- أهذا أنت يا بوارو؟

- بالطبع.

- سمعت أنك ذهبت إلى طبيب الأسنان هذا الصباح. هل هذا صحيح؟

همس بوارو: سكوتلانديارد تعرف كل شيء!

- عند رجل يدعى مورلي في المنزل رقم ٥٨ بشارع الملكة شارلوت؟

تغيرت نبرة صوت بوارو: نعم. لماذا؟

- هل كانت زيارة حقيقية؟ أقصد: ألم تذهب لتخيفه أو لأي شيء من هذا القبيل؟

- أبداً بالتأكيد. لقد حشا لي ثلاثة أضراس إن كان ذلك يهمك.

- كيف رأيته؟ هل كان يتصرف كالمعتاد؟

- أعتقد ذلك، نعم. لماذا؟

كان صوت جاب فظاً. قال: لأنه بعد قليل من مغادرتك... أطلق النار على نفسه!

- ماذا؟!

قال جاب بحدة: هل هذا يدهشك؟

- بصراحة، نعم.

- لستُ راضياً عن هذا شخصياً... أودُّ الحديث معك. لا أظنك ترغب في المجيء؟

- أين أنت؟

- شارع الملكة شارلوت.

- سآتيك على الفور.

* * *

فتح شرطيٌّ باب المنزل رقم ٥٨، وقال باحترام: السيد بوارو؟

- نعم، أنا.

- رئيس المفتشين في الطابق العلوي. الطابق الثاني، هل تعرفه؟

- كنت هناك هذا الصباح.

كان في الغرفة ثلاثة رجال. عندما دخل بوارو رفع جاب بصره وقال: إنني سعيد لرؤيتك يا بوارو. كنّا على وشك رفع الجثة. هل تريد رؤيته أولاً؟

كان رجلٌ يحمل آلة تصوير جاثياً على ركبتيه ويلتقط صوراً للجثة، وعندما تقدم بوارو نهض الرجل وابتعد. كانت الجثة ممددة قرب المدفأة.

بدا السيد مورلي في موته كما كان يبدو في حياته، ولكن كانت أسفلَ صدغه الأيمن مباشرةً فتحةٌ صغيرة مسودة، وقد أُلقي مسدس صغير على الأرض بجانب يده اليمنى الممدودة.

هز بوارو رأسه بهدوء.

قال جاب: حسناً، يمكنكم رفعه الآن.

أخذوا جثة الميت معهم، وتخلّف جاب وبوارو في الغرفة.

قال جاب: قمنا بجميع الإجراءات الروتينية؛ بصمات الأصابع، وما إلى ذلك.

جلس بوارو وقال: حدثني.

زمّ جاب شفتيه وقال: ربما كان قد انتحر... أطلق النار على نفسه فعلاً. لا توجد على المسدس إلاّ بصمات أصابعه، لكني لست مقتنعاً تماماً.

- وما هي اعتراضاتك؟

- بدايةً لا يبدو وجود أي سبب يدعوه للانتحار. كان في صحة جيدة، وصاحب دخل جيد، ولم يُعرف عنه أنه كان يعاني من أي مشكلات أو أي قلق. لم يكن متورطاً في علاقة مع امرأة، على الأقل...

ثم صحّح جاب نفسه حذراً: على الأقل حسب علمنا لم يكن متقلب المزاج أو مكتئباً أو على غير طبيعته. هذا هو -جزئياً- سبب اهتمامي بسماع تفصيلات زيارتك. فأنت رأيته هذا الصباح، ولا أعرف إن كنت قد لاحظت عليه شيئاً.

هز بوارو رأسه نافياً: لا شيء على الإطلاق.. كان طبيعياً للغاية.

- إذن فهذا يجعل الحادث غريباً، أليس كذلك؟ على أية حال

لا يمكن للمرء أن يصدق أن رجلاً يمكن أن يقتل نفسه في خضم ساعات العمل. لماذا لا ينتظر حتى المساء؟ هذا هو الأمر الطبيعي.

وافقه بوارو، ثم قال: متى وقعت المأساة؟

- لا نعرف بالضبط. يبدو أن أحداً لم يسمع صوت الطلقة، لكني لا أظن أنهم كانوا سيسمعونها؛ إذ يفصل هذه الغرفة عن الممر بابان حوافهما مبطنة لكتم الضوضاء والصراخ الذي يصدر عن المرضى الجالسين على كرسي العلاج.

- محتمل جداً. المرضى يصدرون أحياناً الكثير من الإزعاج.

- تماماً. كما توجد حركة مرور مزدحمة خارج العيادة في الشارع، ولذلك من غير المحتمل سماع شيء من تلك الجهة.

- متى عُثر على الجثة؟

- في حدود الواحدة والنصف. عثر عليها الخادم ألفريد بيغز، وهو ليس بالصبي الذكي أبداً. يبدو أن مريضة السيد مورلي التي كان موعدها في الساعة الثانية عشرة والنصف أحدثت ضجة كبيرة بسبب انتظارها، وفي الساعة الواحدة وعشر دقائق جاء الخادم وضرب الباب. لم يرد أحد فلم يجرؤ الخادم على الدخول. كان قد ناله من السيد مورلي بعض التوبيخ من قبل وكان خائفاً من ارتكاب أي خطأ. نزل مرة أخرى وخرجت المريضة غاضبة في الساعة الواحدة والربع. أنا لا ألومها؛ فقد ظلت تنتظر ثلاثة أرباع الساعة وكانت تريد تناول الغداء.

- من تكون هذه المريضة؟

ابتسم جاب وقال: وفقَ كلام الغلام فإن اسمها الآنسة شيرتي، ولكن اسمها في دفتر المواعيد هو كيربي.

- ما هو النظام الذي كان متبعاً لإدخال المرضى على الطبيب؟

- عندما يكون السيد مورلي مستعداً لمريضه التالي يضغط على زر الجرس الموجود هناك فيأتي الخادم ومعه المريض.

- ومتى ضغط مورلي على الزر آخر مرة؟

- في الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق، فجاء الخادم ومعه المريض الذي كان ينتظر، وهو السيد أمبيريوتيس من فندق سافوي حسبما هو مكتوب في دفتر المواعيد.

ارتسمت على شفتي بوارو ابتسامة خفيفة وقال متمتماً: ترى ماذا كان من شأن الخادم أن يفعل بهذا الاسم!

- لا بد أنه سيقلبه رأساً على عقب. سنسأله الآن إن كنت راغباً بالضحك.

قال بوارو: ومتى غادر السيد أمبيريوتيس هذا؟

- الغلام لم يرافقه إلى الخارج ولذلك فهو لا يعلم. كثير من المرضى ينزلون الدرج دون قرع الجرس طلباً للمصعد ويخرجون دون علم الخادم.

أومأ بوارو موافقاً.

أكمل جاب حديثه: لكني اتصلت بفندق سافوي. كان السيد أمبيريوتيس دقيقاً في كلامه، وقد قال إنه نظر إلى ساعته عندما أغلق الباب الخارجي للعيادة وكانت الساعة وقتها تشير إلى الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة.

- ألم يستطع أن يخبرك بأي شيء مهم؟

- لم يفعل؛ كل ما قاله هو أن الطبيب كان يبدو طبيعياً تماماً وهادئاً.

- جيد. إذن هذا واضح تماماً: بين الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة والواحدة والنصف حدث شيء ما، ويُفترض أن ذلك حدث قريباً من الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة.

- تماماً؛ لأنه...

- لأن من شأنه -لو كان الأمر غير ذلك- أن يضغط على الجرس طلباً للمريض التالي.

- بالضبط، إن التقرير الطبي يتفق مع هذه الحقيقة. لقد فحص الطبيب الشرعي الجثة في الساعة الثانية والثلث. لم يلزم الطبيب نفسه بموعد محدد لوقوع الجريمة. إنهم لا يفعلون ذلك الآن أبداً... يقولون بوجود الكثير من الحالات الخاصة والشاذة. لكن مورلي لا يمكن أن يكون قد قُتل بعد الساعة الواحدة كما يقول الطبيب الشرعي. ربما قبل ذلك بوقت كبير... لكنه لم يحدد الوقت بالضبط.

قال بوارو متأملاً: إذن كان طبيبنا القتيل إنساناً مبتهجاً مهذباً ومقتدراً في عمله في الساعة الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وبعد ذلك؟ يأس... وبؤس... وانتحار؟

قال جاب: هذا مثير... لا بد أن تعترف بأنه أمر مثير.

- ليست «مثير» هي الكلمة المناسبة.

- أعرف أنها ليست كذلك، لكنه شيء لا بد من قوله. إنه غريب، ربما تحب استخدام هذه الكلمة أكثر.

- هل كان المسدس مسدسه.

- لا، لم يكن لديه مسدس. لم يحمل مسدساً أبداً، وكما تقول أخته لم يكن في البيت أي مسدس. معظم الناس يحتفظون بمسدسات في بيوتهم، ربما اشترى واحداً إن كان قد قرر الانتحار، وإذا كان الأمر كذلك فسوف نعرفه عما قريب.

سأله بوارو: هل يوجد شيء آخر يقلقك؟

مسح جاب أنفه وقال: لدينا الطريقة التي كان ممدداً بها. لا أقول إن القتيل لا يمكن أن يقع على الأرض، ولكن وضعه على الأرض لم يكن -على نحو ما- وضعاً صحيحاً! كما أن على السجاد أثراً ما، وكأن شيئاً سُحب عليه.

- إذن فهذا يوحي بشيء دون شك.

- نعم، إلاّ إذا كان ذلك الولد المعتوه. أظن أنه ربما حاول تحريك مورلي عندما وجده. إنه ينكر ذلك بالطبع، ولكنه كان خائفاً.

إنه من النوع الغبي الذي يتدخل في كل شيء ويفسده ثم يكذب بطريقة تلقائية.

نظر بوارو إلى الغرفة حوله متأملاً. نظر إلى المغسلة وراء الباب، وإلى خزانة الملفات الطويلة على الجانب الآخر من الباب. نظر إلى كرسي العلاج والأجهزة التي تحيط فيه قرب النافذة، ثم إلى موقد النار، وأخيراً إلى حيث كان الجسد ممدداً. كان قرب المدفأة باب آخر.

كان جاب يتابع نظراته. قال: "إنه مكتب صغير"، ثم فتح الباب.

كان كما قال؛ غرفة صغيرة فيها مكتب وطاولة عليها مصباح يعمل بالنفط وطقم شاي وبعض الكراسي، ولم يكن هناك باب آخر.

أوضح جاب قائلاً: هنا تعمل سكرتيرته، الآنسة نيفيل. يبدو أنها قد خرجت اليوم.

نظر كل منهما للآخر، وقال بوارو: أذكر أنه أخبرني. هذه أيضاً... قد تكون نقطة ضد فكرة الانتحار، أليس كذلك؟

- تقصد أنها أُبعدت عن الطريق؟

سكت جاب قليلاً، ثم قال: إذا لم يكن انتحاراً فقد قُتل. ولكن لماذا؟ إن قتله مستبعد تماماً كانتحاره؛ إذ يبدو أنه كان رجلاً مسالماً هادئاً. مَنْذا يريد قتله؟

- من الذي بوسعه أن يقتله؟

- الإجابة عن ذلك تكاد تكون: أي شخص! أخته يمكن أن تكون قد نزلت من شقتهما في الأعلى وقتلته.. واحد من الخدم يمكن أن يأتي ويقتله.. شريكه في العيادة، ريلي، يمكن أنْ يكون قد قتله.. الولد ألفريد أيضاً ربما هو الذي قتله.. أحد المرضى يمكن أن يقتله.

سكت قليلاً ثم قال: وأمبيريوتيس يمكن أن يكون هو القاتل، فهو الأسهل من بين الجميع.

أومأ بوارو وقال: ولكن -في هذه الحالة- علينا أن نعرف السبب؟

- بالضبط. لقد جئت ثانية إلى المشكلة الأصلية. لماذا؟ أمبيريوتيس يقيم في فندق سافوي. لماذا يأتي يوناني ويقتل طبيباً مسالماً؟

هز بوارو كتفيه مستهجناً وقال: يبدو أن الموت قد اختار الرجل الخطأ. اليوناني الغامض، والمصرفي الثري، ورجل التحري المشهور... أمر طبيعي أن يُقتل واحد من هؤلاء! لأن الأجانب الغامضين ربما كانوا متورطين في أعمال تجسس، ورجال البنوك الأغنياء لهم علاقات ويمكن أن يستفيد آخرون من موتهم، ورجال التحري المشهورين ربما شكلوا خطراً على المجرمين.

ردّ عليه جاب مكتئباً: بينما المسكين مورلي لم يكن خطراً على أحد.

- إني لأتساءل...

التفت جاب إليه فجأة وقال: ماذا تخبئ الآن؟

- لا شيء... ملاحظة عابرة فقط.

أعاد على مسامع جاب تلك الكلمات البسيطة العرضية التي قالها السيد مورلي عن تمييزه للوجوه وذكره لأحد المرضى مثالاً على ذلك.

بدا جاب مرتاباً وقال: أظن أن هذا ممكن، لكنه مستهجن قليلاً. قد يكون شخصاً أراد إبقاء هويته سراً. هل لاحظت أي واحد من المرضى الآخرين اليوم؟

قال بوارو: رأيت في قاعة الانتظار شاباً بدا مثل قاتل بالضبط!

قال جاب مرعوباً: ما هذا؟!

ابتسم بوارو وقال: يا صديقي، كان ذلك عندما وصلت إلى هذا المكان، وكنت عصبي المزاج وأتخيل أشياء. كان كل شيء يبدو لي شريراً؛ قاعة الانتظار، والمرضى، وحتى السجاد على الدرج. والواقع أنني أعتقد بأن ذلك الشاب كان يعاني من ألم شديد في أسنانه. كان ذلك كل ما في الأمر.

قال جاب: ربما كان ذلك صحيحاً، لكننا -مع ذلك- سندقق في مجرمك هذا. سوف ندقق في كل شخص سواء أكان الأمر انتحاراً أم غير ذلك. أظن أن أول عمل لنا هو مقابلة الآنسة مورلي مرة أخرى.

لم أتكلم معها كثيراً، كانت صدمة لها بالطبع لكنها ليست من النوع الذي ينهار. سنذهب ونراها الآن.

* * *

بدت جورجينا مورلي متجهمة مكتئبة وهي تستمع للرجلين وتجيب عن استفساراتهما. قالت بجزم وبتأكيد: إنه أمر غير قابل للتصديق أبداً بالنسبة لي. أخي ما كان لينتحر بأي حال!

سألها بوارو: هل تفكرين بأي احتمال آخر يا آنسة مورلي؟

قالت: "تقصد الجريمة؟". ترددت قليلاً ثم قالت ببطء: الحقيقة أن الاحتمال البديل يبدو مستحيلاً بدرجة قريبة مما يبدو به احتمال الانتحار.

- ولكن ليس مستحيلاً بنفس القدر كما يبدو؟

- لا؛ لأن... الحقيقة أنا أتحدث في الحالة الأولى عن أمر أعلمه تمام العلم؛ أعني حالة أخي العقلية. أنا أعلم أنه لم يعانِ من أي مشكلة عقلية، وأنا أعلم أنه ما كان يملك أي سبب، أي سبب على الإطلاق ليفرط بحياته.

- هل رأيتِه هذا الصباح قبل ذهابه إلى العمل؟

- نعم، على الإفطار.

- وهل كان عادياً تماماً؟ ألم يكن منزعجاً بأي شكل؟

- بلى، كان منزعجاً، ولكن ليس بالطريقة التي تعنيها. كان متضايقاً فقط.

- ولِمَ كان ذلك؟

- كان أمامه يوم مليء بالمواعيد والمرضى لكن سكرتيرته التي تساعده قد استدعيت إلى بيت أهلها.

- أتعنين الآنسة نيفيل؟

- نعم.

- ماذا كانت تعمل له في العادة؟

- كانت تقوم بجميع مراسلاته بالطبع، وتحفظ دفتر المواعيد وتنظم ملفات المرضى، كما كانت تقوم بتعقيم الأدوات وتُعدُّ الحشوات وتعطيها له أثناء عمله.

- هل تعمل معه منذ زمن طويل؟

- ثلاث سنوات. إنها فتاة موثوقة وكنا نحبها كثيراً أنا وأخي.

قال بوارو: أخوك أخبرني بأنها ذهبت بسبب مرض قريبة لها.

- نعم. استلمت برقية تقول إن عمتها أصيبت بسكتة، وذهبت إلى سومرست في قطار مبكر.

- وهل هذا ما ضايق أخاك كثيراً؟

- نـ... نعم.

كانت الآنسة مورلي مترددة في إجابتها قليلاً، ثم أكملت بسرعة: يجب... يجب ألا تظن أن أخي كان عديم الشعور. إنما ظن فقط... ظن...

- نعم آنسة مورلي؟

- ظن أنها ربما تهربت من الدوام عمداً. آه! أرجوك لا تُسِئ فهمي. أنا متأكدة من أن غلاديس لا تفعل مثل هذا الشيء أبداً. أخبرت هنري بذلك، لكن حقيقة الأمر أنها ارتبطت بشاب غير مناسب. وقد تضايق هنري من هذا كثيراً، وخطر له أن هذا الشاب ربما أقنعها بأن تأخذ يوم راحة.

- هل كان ذلك محتملاً؟

- لا ، أنا واثقة أنه ليس كذلك؛ غلاديس فتاة مستقيمة تماماً.

- لكنه أمر يمكن لشاب مثله أن يقترحه عليها؟

تأففت الآنسة مورلي وقالت: ممكن تماماً فيما أحسب.

- ماذا يعمل هذا الشاب؟ ما اسمه بالمناسبة؟

- فرانك كارتر. أظن أنه يعمل (أو كان يعمل) كاتباً في شركة تأمين. وقد فقد وظيفته قبل بضعة أسابيع، ويبدو أنه لم يستطع العثور على وظيفة أخرى. وقد قال هنري -وأظنه كان مصيباً- إن الشاب فاسد تماماً، وفي الواقع أقرضته غلاديس بعضاً من مدخراتها وانزعج هنري من ذلك كثيراً.

سأل جاب بحدة: هل حاول أخوك إقناعها بالابتعاد عنه؟

- نعم، فعل. أعرف هذا.

- إذن ربما حمل فرانك كارتر هذا ضغينة لأخيك.

ردت عليه بعنف: هراء... أن تقول بأن فرانك قتل هنري! لقد نصح هنري الفتاة بأن لا ترتبط بهذا الشاب بالتأكيد، لكنها لم تأخذ بنصيحته؛ إنها تحب فرانك حباً أعمى.

- هل تذكرين أحداً آخر كان يحقد على أخيك؟

هزت الآنسة مورلي رأسها نافية.

- هل كان على وفاق مع شريكه السيد ريلي؟

ردت الآنسة مورلي بحدة: كانت أفضل علاقة يمكن للمرء أن يأمل بإقامتها مع أيرلندي!

- ماذا تقصدين بهذا يا آنسة مورلي؟

- الأيرلنديون أصحاب طبع حاد ويستمتعون بأي شجار كان، وقد كان السيد ريلي يحب الجدال في المسائل السياسية.

- أهذا كل شيء؟

- هذا كل شيء. السيد ريلي رجل غير مُقنع في الكثير من الأمور، لكنه ماهر جداً في عمله... أو هكذا قال أخي.

ألحّ عليها جاب: كيف يكون غير مقنع؟

ترددت الآنسة مورلي ثم قالت بحدة: إنه يشرب كثيراً... ولكن أرجو أن لا يخرج هذا الكلام من بيننا.

- هل وقعت أي مشكلة بينه وبين أخيك بسبب هذه المسألة؟

- لمّح له هنري مرة أو مرتين. في طب الأسنان يحتاج الطبيب إلى يد ثابتة، كما أن رائحة الكحول لا توحي للمريض بالثقة.

أومأ جاب برأسه ثم قال: هل لك أن تحدثينا عن الوضع المالي لأخيك؟

- كان هنري يحصل على دخل عالٍ كما كان يدّخر مبلغاً معيناً، وقد كان لنا -نحن الاثنين- دخل صغير خاص تركه لنا والدنا.

قال جاب وهو يسعل قليلاً: هل تعرفين إن كان أخوك قد ترك وصية أم لا؟

- نعم، لقد ترك وصية، ويمكنني إخبارك بمحتوياتها. ترك مئة جنيه لغلاديس نيفيل والباقي تركه لي.

- نعم، هذا مفهوم. والآن...

ضرب أحدهم الباب بقوة وأطلّ ألفريد برأسه متمعناً في الرجلين الزائرين وهو يقول: إنها الآنسة نيفيل. لقد عادت، وهي بحالة فظيعة، وتريد أن تعرف إن كان بوسعها أن تدخل؟

أومأ جاب برأسه وقالت الآنسة مورلي: قل لها أن تأتي هنا يا ألفريد.

قال ألفريد: "حسناً"، ثم ذهب.

قالت الآنسة مورلي وهي تتنهد: هذا الولد محنة كبيرة!

* * *

كانت غلاديس نيفيل فتاة طويلة القامة بيضاء إلى حد الشحوب، في الثامنة والعشرين من عمرها تقريباً، ورغم أنها كانت متضايقة جداً إلا أنها أظهرت على الفور قدرة وذكاء.

أخذها جاب بعيداً عن الآنسة مورلي متظاهراً بأنه يريد رؤية أوراق السيد مورلي وذهبا إلى المكتب الصغير المجاور لغرفة العيادة. كررت أكثر من مرة: لا أصدق هذا! لا يمكنني التصديق بأن السيد مورلي يمكن أن يقوم بهذا العمل!

شددت كثيراً على أنه لم يكن يبدو متعباً أو قلقاً من أي شيء، فقال جاب: تم استدعاؤك اليوم يا آنسة نيفيل...

قاطعت قائلة: نعم، وكان الأمر كله مقلباً سخيفاً قذراً! فظيعٌ أن يعمد الناس إلى القيام بمثل هذه الأمور.

- ماذا تقصدين يا آنسة نيفيل؟

- لم يكن في عمتي أي شيء. إنها في أحسن حال، ولم تفهم سبب زيارتي لها عندما رأتني. كنت مسرورة -بالطبع- عندما رأيتها على تلك الحال، لكني فقدت صوابي.. إرسال برقية كهذه وإزعاجي.

- هل تحملين تلك البرقية يا آنسة؟

- أظن أنني رميتها في المحطة. كانت تقول: "عمتك أصيبت بسكتة الليلة الماضية، يرجى حضورك على الفور".

- هل أنت متأكدة تماماً...

سعل جاب قليلاً قبل أن يكمل: بأن صديقك، السيد كارتر، ليس هو الذي أرسل البرقية؟

- فرانك؟ لماذا؟ آه، فهمت. تقصد... عملاً مدبراً بيننا؟ لا يا حضرة المفتش، إننا لا نقوم بمثل هذا العمل.

بدا سخطها طبيعياً ووجد مشقة في تهدئتها، لكن سؤالاً منه عن المرضى المسجلين لهذا اليوم بالذات أعادها إلى طبيعتها من جديد.

- كلهم هنا في الدفتر. أظنك رأيته، وأنا أذكر معظمهم. الساعة العاشرة: السيدة سومز، وكانت الزيارة بخصوص طقم أسنانها الجديد. العاشرة والنصف: الليدي غرانت، وهي سيدة عجوز تعيش في لاوندز سكوير. الحادية عشرة: السيد هيركيول بوارو، يأتي بصفة منتظمة... آه، هذا هو بالطبع. أنا آسفة يا سيد بوارو، لكني منزعجة جداً. الحادية عشرة والنصف: السيد أليستير بلانت، الرجل المصرفي الذي تعرفونه. موعد قصير لأن السيد مورلي قد أعد له الحشوة في المرة الأخيرة. ثم الآنسة سينسبري سيل. اتصلت اتصالاً خاصاً وقالت إن ضرسها يؤلمها ولذلك أعطاها السيد مورلي موعداً، إنها ثرثارة لا تتوقف عن الكلام أبداً، كما أنها من النوع الذي يسبب المتاعب. ثم الساعة الثانية عشرة السيد أمبيريوتيس. كان مريضاً يأتي لأول مرة، وقد أخذ الموعد وهو في فندق سافوي... إن السيد مورلي يعالج كثيراً من الأجانب والأمريكان. ثم في الساعة الثانية عشرة والنصف الآنسة كيربي التي جاءت من ورذنغ.

سألها بوارو: كان هنا عندما وصلت رجل عسكري طويل، مَن يكون؟

- أظن أنه أحد مرضى السيد ريلي، هل أحضر لك قائمة بأسماء المرضى الذين زاروه؟

- شكراً لك يا آنسة نيفيل.

غابت بضع دقائق ثم عادت وهي تحمل دفتراً شبيهاً بدفتر السيد مورلي قرأت منه بصوت مرتفع: الساعة العاشرة: بيتي هيث، فتاة صغيرة في التاسعة مع عمرها. الحادية عشرة: الكولونيل أبِرْكرومبي.

تمتم بوارو: أبروكرومبي... إذن هذا هو!

- الحادية عشرة والنصف: السيد هوارد رايكز. الثانية عشرة: السيد بارنز. هؤلاء هم جميع المرضى الذين جاؤوا هذا الصباح، إذ ليس للسيد ريلي -بالطبع- مواعيد كثيرة كما هي الحال عند السيد مورلي.

- هل يمكنك أن تخبرينا أي شيء عن أي مريض من مرضى السيد ريلي؟

- الكولونيل أبركومبي مريض يتلقى العلاج منذ وقت طويل، وجميع أطفال السيدة هيث يأتون عند السيد ريلي. لا أعرف شيئاً عن السيد رايكز أو السيد بارنز، مع أنني أتخيل أنني سمعت باسمهما؛ فأنا أتولى الرد على كل المكالمات الهاتفية.

قال جاب: يمكننا أن نسأل السيد ريلي بأنفسنا؛ أريد رؤيته في أسرع وقت ممكن.

خرجت الآنسة نيفيل، فقال جاب لبوارو: جميع مرضى السيد مورلي من الزبائن القدامى ما عدا أمبيريوتيس، وسأذهب لأتحدث معه حديثاً مثيراً بعد قليل. إنه آخر شخص رأى السيد مورلي على قيد الحياة، ويجب أن نتأكد من أنه -عندما رآه آخر مرة- كان السيد مورلي حياً فعلاً.

قال بوارو ببطء وهو يهز رأسه: ما زال عليك إثبات الدافع.

قال جاب: "نعم. هذه هي المشكلة التي ستواجهنا، ولكن قد نحصل على معلومات عن أمبيريوتيس من سكوتلانديارد"، ثم أضاف بحدة: إنك غارق في التفكير يا بوارو!

- كنت أتساءل عن شيء ما.

- ما هو؟

قال بوارو بابتسامة خفيفة: لماذا رئيس المفتشين جاب؟

- ماذا؟

- قلت: "لماذا رئيس المفتشين جاب"؟ ضابط كبير في مثل مكانتك... هل يُستدعى عادة من أجل قضية انتحار؟

- الواقع أنني كنت في مكان قريب في ذلك الوقت؛ كنت في لافينهام في شارع ويغمور، وقعت هناك أعمال احتيال بارعة منظمة، وقد اتصلوا بي وأنا هناك حتى آتي هنا.

- ولكن لماذا اتصلوا بك؟

- آه، هذا بسيط. أليستير بلانت... حالما سمع المفتش المحلي بأنه كان موجوداً صباح اليوم هنا ذهب إلى سكوتلانديارد. إن السيد بلانت رجل نهتم به في هذا البلد.

- هل تقصد أن أناساً يريدون إزاحته عن الطريق؟

- بالتأكيد. الشيوعيون أولاً... وأفراد منظمة القمصان السود عندنا أيضاً. إن بلانت ومجموعته هم الذين يقفون خلف الحكومة الحالية ويدعمونها، ولو خُشي أدنى احتمال بوجود أي محاولة أو عمل يستهدف حياته هذا الصباح فإنهم سيطلبون إجراء تحقيق شامل.

أومأ بوارو برأسه: "هذا ما خمنته، وهذا هو الشعور الذي انتابني...". لوّح بيديه بطريقة معبرة وأكمل يقول: شعرت بأنه ربما كان في الأمر... تداخل من نوع معين، وأن الضحية الحقيقية كانت، أو أريد لها أن تكون، أليستير بلانت. أم أن هذه مجرد بداية... بداية حملة من نوع معين؟ إنني أشمُّ... أشمُّ رائحة أموال كبيرة في هذه القضية!

قال جاب: إنك تبالغ في افتراضاتك.

- إنني أقول بأن المسكين مورلي كان مجرد ضحية في هذه اللعبة. ربما كان يعرف شيئاً، ربما أخبر بلانت شيئاً، أو أنهم خافوا أن يخبر بلانت بشيء ما...

سكت بوارو عندما دخلت غلاديس نيفيل الغرفة، قالت: السيد

ريلي مشغول بعملية خلع ضرس، وهو سيفرغ بعد عشر دقائق تقريباً إن كان ذلك يناسبكما؟

قال جاب بأنه موعد مناسب، وقال بأنه يريد -في غضون ذلك- الحديث مرة أخرى مع الخادم ألفريد.

* * *

تقاسمت ألفريد مشاعر العصبية والمتعة والخوف المرعب من توجيه اللوم له عن أي شيء حديث! إذ لم يمض على عمله عند السيد مورلي إلا أسبوعان فقط اتسمت كل أعماله خلالهما بالخطأ بلا استثناء، وقد أضعف اللوم المتواصل ثقته بنفسه.

قال ألفريد رداً على أحد الأسئلة: ربما كان نزقاً بعض الشيء أكثر من المعتاد، لا شيء أكثر. ما كنت أظن أبداً أنه سيقتل نفسه.

تدخل بوارو قائلاً: يجب أن تخبرنا بكل ما يمكنك أن تتذكره عن هذا الصباح. إنك شاهد مهم جداً، وإن ما تتذكره قد يشكل خدمة هائلة لنا.

تورد وجه ألفريد باللون القرمزي وانفتح صدره. كان قد قدم لجاب من قبل سرداً مختصراً لأحداث الصباح، وقد اعتزم الآن أن يتوسع في الشرح؛ فقد تملكه شعور مريح بأهمية نفسه. قال: سأخبرك دون شك... اسألني ما بدا لك.

- أولاً: هل حدث أي شيء خارج المألوف هذا الصباح؟

فكر ألفريد دقيقة ثم قال حزيناً: لا، كل شيء كان كالمعتاد.

- هل جاء إلى المنزل أي غرباء؟

- لا يا سيدي.

- ولا حتى من بين المرضى؟

- أنا أعرف كل المرضى، ولم يأتِ أحد دون موعد إن كان هذا ما تعنيه. كلهم كانت أسماؤهم مسجلة في دفتر المواعيد.

أومأ جاب ثم سأله بوارو: هل كان بوسع أحد أن يدخل من الخارج؟

- لا، لا يمكن، يجب أن يكون معه مفتاح.

- لكن مغادرة المنزل كانت سهلة تماماً.

- نعم، فقط أدر مقبض الباب واخرج ثم ادفع الباب وراءك. كما قلت لكما فإن معظم المرضى كانوا يفعلون ذلك. إنهم كثيراً ما ينزلون الدرج بينما أكون في المصعد مع المريض التالي، هل فهمتني؟

- فهمت. أخبرنا الآن: مَن الذين جاؤوا اليوم بدءاً بأولهم؟ صفهم لنا إن كنت لا تتذكر أسماءهم.

- فكر ألفريد دقيقة ثم قال: سيدة مع فتاة صغيرة جاءتا إلى السيد ريلي، وامرأة تدعى السيدة سوب (أو اسم قريب من هذا) جاءت إلى السيد مورلي.

قال بوارو: حسناً، أكمل.

- ثم سيدة كبيرة أخرى... كانت مبهرَجة قليلاً وجاءت في سيارة ديملر، وحالما خرجت دخل رجل عسكري طويل، وبعده مباشرة جئت أنت.

وأشار إلى بوارو برأسه.

- صحيح.

- ثم جاء الأمريكي.

قال جاب بحدة: أمريكي؟!

- نعم يا سيدي، شاب كان أمريكياً دون شك.. يمكنك معرفة ذلك من كلامه. جاء مبكراً، قبل موعده الذي كان مقرراً في الساعة الحادية عشرة والنصف. والأنكى من ذلك أنه لم يلتزم بالموعد.

سأل جاب بحدة: كيف؟

- دخلت عليه عندما ضغط السيد ريلي على الجرس في الساعة الحادية عشرة والنصف. والواقع أن الجرس كان متأخراً، ربما كان في الثانية عشرة إلا ثلثاً... ولم يكن الشاب موجوداً! لا بد أنه جبن عن خوض التجربة وخرج.

ثم قال بلهجة العارف: إنهم يفعلون ذلك أحياناً.

قال بوارو: إذن لا بد أنه خرج بعدي مباشرة؟

- صحيح يا سيدي. أنت خرجت بعدما أخذتُ الرجل الأنيق الذي جاء بسيارة الرولز إلى الطبيب. كانت سيارة رائعة، السيد

بلانت... في الساعة الحادية عشرة والنصف. ثم نزلتُ ورافقتك إلى الخارج وأدخلت سيدة، الآنسة سوم بيري سيل (أو اسماً قريباً من هذا). ثم ذهبتُ إلى المطبخ لتناول فنجان من الشاي، وعندما كنت هناك قرع الجرس، جرس السيد ريلي، ولذلك صعدت... وكما قلت: كان الأمريكي قد فر، ذهبت وأخبرت السيد ريلي بأمره فراح يشتم ويسب كعادته.

قال بوارو: استمر.

- دعني أتذكر ما حدث بعد ذلك. آه، نعم، رن جرس السيد مورلي لطلب الآنسة سيل، وخرج ذلك الأنيق بينما كنت آخذ تلك الآنسة في المصعد. ثم نزلت ثانية وجاء رجلان؛ أحدهما ضئيل الجسم ذو صوت مضحك كالصرير (لا أذكر اسمه) كان قادماً للسيد ريلي، ورجل بدين أجنبي جاء للسيد مورلي.

لم تبق الآنسة سيل طويلاً، ليس أكثر من ربع ساعة، ورافقتها إلى الباب الخارجي ثم أخذت الرجل الأجنبي إلى الطبيب. وكنت قد أخذت ذلك الرجل الآخر إلى عيادة السيد ريلي حالما وصل.

قال جاب: ألم تر السيد أمبيريوتيس، ذلك الرجل الأجنبي، وهو يغادر؟

- لا أظن ذلك يا سيدي. لا بد أنه خرج بنفسه، كما أنني لم أرَ هذين الرجلين يخرجان.

- أين كنت ابتداء من الساعة الثانية عشرة؟

- كنت أجلس دائماً في المصعد أنتظر إلى أن يقرع أحدٌ جرس الباب الخارجي أو يقرع أحد الطبيبين جرسه.

قال بوارو: ربما كنت تقرأ؟

احمرّ وجه ألفريد وقال: ليس في هذا ضرر يا سيدي... ليس عندي عمل آخر أقوم به.

- صحيح، ماذا كنت تقرأ؟

- قصة اسمها «موت في الثانية عشرة إلا ربعاً». إنها قصة بوليسية أمريكية، قصة ممتازة؛ كلها عن القتلة والمحترفين.

ابتسم بوارو ابتسامة خفيفة وقال: هل كنت تسمع صوت الباب الخارجي عندما يغلق وأنت جالس مكانك؟

- تقصد أي شخص يخرج؟ لا أظن ذلك يا سيدي، ما أقصده أنني لا ألاحظ ذلك؛ فالمصعد في مؤخرة الصالة وهو يقع خلف زاوية. أما الأجراس فأسمعها لأن جرس الباب يقرع خلف المصعد تماماً، وكذلك جرسا الطبيبين... لا يمكن أن يقرع أي من تلك الأجراس دون أن أنتبه له.

أومأ بوارو، ثم تولى جاب الأسئلة: ماذا حدث بعد ذلك؟

قطب ألفريد جبينه في جهد فائق للتذكر، ثم قال: بقيت فقط السيدة الأخيرة، الآنسة شيرتي. انتظرت سماع جرس السيد مورلي ولكني لم أسمع شيئاً، وفي الساعة الواحدة أصبحت السيدة التي تنتظر نزِقة عصبية.

– ألم تفكر أن تذهب إلى السيد مورلي قبل ذلك لترى إن كان مستعداً أم لا؟

هز ألفريد رأسه بقوة وقال: لا أفعلها يا سيدي! ما كنت لأحلم بالقيام بمثل هذا التصرف؛ فبالنسبة لي كان الرجل الأخير ما زال موجوداً عنده. كان عليّ انتظار الجرس، ولو كنت عرفت أن السيد مورلي قد انتحر لكنت بالطبع...

هز ألفريد رأسه أسفاً. وسأله بوارو: هل كان من عادة الطبيب أن يقرع الجرس قبل نزول المريض أم بعد ذلك؟

– حسب الظروف. في العادة ينزل المريض الدرج ثم يقرع الطبيب الجرس. إذا قرع الزبون جرس المصعد فإن الجرس الآخر ينطلق أثناء وجودي مع المريض الخارج في المصعد، لكن ذلك لم يكن ثابتاً. أحياناً ينتظر السيد مورلي بضع دقائق قبل أن يقرع الجرس للمريض التالي، أما إذا كان في عجلة من أمره فإنه يقرعه حال خروج المريض من الغرفة.

– فهمت.

سكت بوارو قليلاً ثم أكمل: هل فوجئت بانتحار السيد مورلي يا ألفريد؟

– لقد صعقت. لم يكن من سبب يدعوه للانتحار حسب علمي... آه!

اتسعت عينا ألفريد ثم أضاف: أ... أم تراه قُتل؟

تدخل بوارو قبل أن يردّ عليه جاب: افترض أنه قُتل، فهل ستكون دهشتك أقل؟

- لا أدري يا سيدي. لا أفهم مَن عساه يرغب في قتل السيد مورلي، فقد كان رجلاً عادياً جداً يا سيدي. هل قتل حقاً؟

قال بوارو بهدوء: يجب أن نضع كل الاحتمالات في الحسبان. ولذلك قلت لك إنك ستكون شاهداً مهماً جداً وأنك يجب أن تحاول وتتذكر كل شيء حدث صباح هذا اليوم.

شدّد على كلماته وقطب ألفريد جبينه في محاولة جادة للتذكر.

- لا أستطيع أن أتذكر أي شيء آخر يا سيدي... لا أستطيع فعلاً.

كانت نبرة ألفريد حزينة. قال بوارو: جيد يا ألفريد، هل أنت واثق من عدم حضور أحد إلى المنزل هذا الصباح غير المرضى؟

- لم يأت غريب يا سيدي، إنما جاء صديق الآنسة نيفيل، وقد انزعج إذ لم يجدها هنا.

سأل جاب بحدة: متى كان ذلك؟

- بعد الثانية عشرة، وعندما أخبرتُه أن الآنسة نيفيل خرجت اليوم بدا منزعجاً جداً وقال إنه سينتظر حتى يرى السيد مورلي. قلت له إن السيد مورلي مشغول حتى ساعة الغداء لكنه قال إن ذلك لا يهم وقال إنه سينتظر.

سأله بوارو: وهل انتظر؟

لاحت نظرة ذعر في عيني ألفريد وقال: بالطبع لم أفكر في هذا أبداً! ذهب إلى قاعة الانتظار، لكنه لم يكن هناك فيما بعد. لا بد أنه مل الانتظار وفكر في العودة مرة أخرى.

* * *

عندما خرج ألفريد من الغرفة قال جاب بحدة: أتظن أنه كان من الحكمة أن نوحي لهذا الصبي بأن الأمر ينطوي على عملية قتل؟

رفع بوارو كتفيه بلامبالاة وقال: أظن ذلك، نعم. إنه سيتذكر أي شيء ذا مغزى يمكن أن يكون سمعه أو رآه عندما نعطيه مثل هذا الحافز، وسيكون متيقظاً تماماً لأي شيء يجري هنا.

- ولكننا -مع ذلك- لا نريد لهذا الأمر أن يصبح قيد التداول بهذه السرعة.

- لن يصبح كذلك يا صديقي. ألفريد يقرأ قصصاً بوليسية... إنه متيم بالجريمة، وأي شيء يقوله بهذا الخصوص سوف يُعزا إلى خياله الخصب.

- ربما كنت على حق يا بوارو. نريد أن نسمع الآن ما يمكن لريلي أن يقوله.

كانت عيادة السيد ريلي ومكتبه في الطابق الأول، وكانا

واسعين كعيادة الدكتور مورلي ومكتبه في الطابق الثاني لكن الضوء فيهما خافت أكثر ولم يكونا مجهزين تجهيزاً وافراً.

كان شريك السيد مورلي شاباً طويل القامة أسمر ذا غرة تتدلى على جبينه، وكان ذا صوت مريح وعينين حادتي الذكاء.

قال جاب بعد أن قدم نفسه: نأمُل -يا سيد ريلي- أن تستطيع إلقاء بعض الضوء على هذه المسألة.

رد عليه قائلاً: إذن فأنت مخطئ لأني لا أستطيع. كل ما أستطيع قوله هو أن هنري مورلي كان آخر شخص يمكن أن ينتحر، ربما أفعلها أنا لكنه لا يفعلها.

سأله بوارو: لماذا يمكن أن تفعلها أنت؟

- لأني أعيش في بحر من الهموم، منها -مثلاً- المتاعب المالية! لم أستطع حتى الآن التوفيق بين مصاريفي ودخلي، لكن مورلي كان رجلاً حذراً؛ فلن تجده مديناً ولا متاعب مالية يعاني منها.. أنا متأكد من ذلك.

قال جاب: علاقات عاطفية؟

- أتقصد مورلي؟ لم يكن يستمتع بالحياة أبداً. كان واقعاً تحت السيطرة التامة لأخته، مسكين!

واصل جاب سؤال ريلي عن تفصيلات تتعلق بالمرضى الذين رآهم هذا الصباح.

- أظنهم جميعاً موثوقون وفوق الشبهات؛ الصغيرة بيتي هيث

طفلة لطيفة وأنا أعالج جميع أفراد أسرتها، الكولونيل أبركومبي مريض قديم عندي أيضاً.

سأله جاب: ماذا عن السيد هاوارد رايكز؟

ابتسم ريلي ابتسامة عريضة وقال: ذلك الشاب الذي تركني وخرج؟ إنه لم يأت إليّ من قبل ولا أعرف عنه شيئاً، وقد اتصل بالهاتف وطلب موعداً خاصاً هذا الصباح.

- من أين اتصل بك؟

- من فندق هولبورن بالاس، أظن أنه أمريكي.

- هذا ما قاله ألفريد.

قال السيد ريلي: ألفريد يعرف؛ فهو من هواة الأفلام.

- ومريضك الآخر؟

- بارنز؟ رجل ضئيل الجسم غريب في دقته وانضباطه، موظف مدني متقاعد، يسكن في طريق إيلنغ.

سكت جاب قليلاً ثم قال: ماذا يمكنك أن تخبرنا عن الآنسة نيفيل؟

رفع السيد ريلي حاجبيه وقال: السكرتيرة الشقراء الجميلة؟ لم تكن له أية علاقة معها! علاقتها مع مورلي علاقة شريفة، أنا واثق من هذا.

قال جاب وقد احمر وجهه قليلاً: أنا لم أقل إنها كانت علاقة غير شريفة.

قال ريلي: غلطتي، أرجو المعذرة بسبب تسرعي. ظننت أنها قد تكون محاولة منك للربط وفق مبدأ «ابحث عن المرأة».

- هل تعرف عن خطيبها الشاب أي شيء؟ علمت أنه اسمه كارتر، فرانك كارتر.

قال ريلي: لم يكن مورلي يثق فيه كثيراً، وقد حاول حمل نيفيل على التخلي عنه.

- ربما أزعج ذلك كارتر؟

رد عليه ريلي مبتهجاً: "ربما أزعجه كثيراً". وسكت قليلاً ثم أضاف: أرجو المعذرة، هل تحقق في حادث انتحار أم جريمة قتل؟

قال جاب: إذا كانت جريمة قتل، فهل لديك ما يمكن قوله؟

- ليس أنا! كنت أفضل أن يكون القاتل جورجينا أخته، إنها امرأة قوية وتضبط أعصابها. ولكن جورجينا تتمتع -مع الأسف- باستقامة خلقية تامة. كنت أستطيع بالطبع التسلل بسهولة إلى الطابق الثاني ولكني أيضاً غير مستوعب لاحتمال انتحاره.

ثم أضاف بصوت مختلف: الواقع أنني أشعر بالأسف الشديد على ما حدث. يجب أن لا تحكم علي من خلال سلوكي، فهذه مجرد عصبية وارتباك، لقد أحببت مورلي كثيراً وسوف أفتقده.

* * *

وضع جاب سماعة الهاتف والتفت إلى بوارو بوجه عابس قائلاً: السيد أمبيريوتيس يشعر بالتعب ولا يريد رؤية أحد عصر هذا اليوم. ولكنه سوف يراني، كما أنه لن يهرب مني! وضعت رجلاً في فندق سافوي وهو على استعداد لمطاردته إن حاول الهروب.

قال بوارو متأملاً: أتعتقد أن أمبيريوتيس قتل مورلي؟

- لا أعرف. لكنه كان آخر شخص رآه حياً، وهو مريض جديد. وحسب روايته فإنه ترك مورلي على قيد الحياة وبصحة جيدة في الساعة الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة. قد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون. إن كان مورلي بخير وقتها فعلينا إعادة تنظيم الأحداث التي وقعت بعد ذلك. كانت خمس دقائق قد بقيت قبل حلول موعده التالي، فهل دخل شخص أثناء الدقائق الخمس هذه؟ لنقل أنه كارتر مثلاً؟ أو ريلي؟ ماذا حدث؟ ثق بأن مورلي كان مقتولاً في الساعة الثانية عشرة والنصف أو الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة على أبعد تقدير، وإلا لضرب الجرس أو اعتذر للآنسة كيربي لعدم استطاعته رؤيتها. لا، إمّا أنه كان مقتولاً أو أن شخصاً أخبره شيئاً قلب مزاجه رأساً على عقب فانتحر.

سكت، ثم قال: سوف أتحدث مع كل مريض رآه هذا الصباح. يوجد احتمال بأن يكون قد قال شيئاً لواحد منهم يمكن أن يضعنا على الطريق الصحيح.

نظر إلى ساعته وقال: السيد أليستير بلانت قال إن بإمكانه تخصيص بضع دقائق من وقته لي في الساعة الرابعة والربع. سنذهب إليه أولاً؛ فبيته في منطقة تشيلسي أمباركمنت، ثم بإمكاننا المرور

على تلك المرأة، سينسبري سيل، ونحن في طريقنا إلى أمبيريوتيس. أفضّل معرفة كل ما يمكن معرفته قبل معالجة أمر صديقنا اليوناني. بعد ذلك أريد الحديث قليلاً مع ذلك الأمريكي الذي بدا -كما تقول- «مثل قاتل».

هز بوارو رأسه وقال: لم يكن كذلك، بل كان يتألم من أسنانه.

- ومع ذلك سنرى السيد رايكز هذا، فأقل ما يقال عن تصرفه أنه كان غريباً. كما سنحقق في برقية الآنسة نيفيل وموضوع عمتها وصديقها الشاب. الواقع أننا سنحقق في كل شيء ومع كل شخص!

* * *

لم يكن أليستير بلانت شخصية كثيرة الظهور أمام العامة. ربما لأنه كان رجلاً هادئاً جداً ويحب العزلة، وربما لأنه عمل لسنوات طويلة في الظل وليس في واجهة الأحداث.

جاءت ريبكا سانسفيراتو (واسم عائلتها آرنهولت) إلى لندن خائبة الأمل وهي امرأة في الخامسة والأربعين من عمرها، وهي تنحدر من أسرة كانت -من كلا طرفيها- رمزاً للمال والثروة. كانت أمها وريثة عائلة روذرشتاين الأوربية، أما أبوها فكان رئيس بنك آرنهولت الأمريكي. وقد أصبحت ريبكا آرنهولت -نتيجةَ وفاة شقيقيها وابن عمها في حادث سقوط طائرة- الوريثة الوحيدة لهذه الثروة الضخمة، وتزوجت أرستقراطياً أوروبياً مشهوراً هو الأمير

فيليب دي سانسفيراتو. وبعد ثلاث سنوات حصلت على الطلاق وعلى حقها في رعاية طفلها من زواجها ذاك بعدما قضت سنتين من البؤس مع ذلك الشقي رغم أصله الرفيع، إذ كان غريب الأطوار شاذ السلوك، وبعد بضع سنوات من ذلك توفي طفلها. وبعد أن عانت الأمرين، التفتت ربيكا آرنهولت بذكائها الأكيد إلى عالم المال والاستثمار الذي كان يجري في دمائها، واشتركت مع والدها في عالم المصارف.

وبعد وفاته واصلت عملها لتكون شخصية مسيطرة وقوية في عالم المال بما تملكه من ثروات ضخمة. وجاءت إلى لندن، وذهب مستثمر صغير من سوق المال في لندن إلى فندق كلاريدج لرؤيتها من أجل بعض الوثائق، وبعد ستة أشهر صعق العالم بخبر زواج ربيكا سانسفيراتو بذلك الرجل الذي لم يكن سوى أليستير بلانت، وهو رجل يصغرها بعشرين عاماً تقريباً.

انتشرت -بالطبع- الملاحظات الساخرة المعتادة والنكات، وعلّق أصدقاء ربيكا بأنها كانت مغفلة لا يرجى شفاؤها في اختيارها للرجال! تزوجت سانسفيراتو أولاً... ثم هذا الشاب الصغير. وقيل إنه لم يتزوجها -بطبيعة الحال- إلا لمالها وإنها ستقع في مصيبة ثانية! ولكن زواجهما نجح، وهذا ما أدهش الجميع. فالناس الذين توقعوا أن ينفق أليستير بلانت أموالها على غيرها من النساء كانوا مخطئين؛ فقد ظل مخلصاً ومحباً لها دون ضجيج.

وحتى بعد وفاتها (بعد ذلك بعشر سنين) وبعد أن ورث ثروتها الواسعة التي كان يفترض بعدها أن ينطلق حراً، حتى بعد ذلك كله

لم يتزوج ثانية، وعاش حياة الهدوء والبساطة ذاتها. كانت عبقريته في أمور المال والاستثمار لا تقل عن عبقرية زوجته. كانت أفكاره ومعاملاته سليمة، واستقامته فوق الشبهات، وقد سيطر على مصالح عائلتي آرنهولت وروذرشتاين بقدراته الشخصية الفائقة.

لم يكن يختلط مع المجتمع إلا قليلاً. وكان يملك بيتاً في كِنْت وآخر في نورفولك حيث كان يقضي عطل نهاية الأسبوع، لا بحفلات صاخبة، بل مع أصدقاء قلائل محافظين وهادئين. كان مغرماً بلعب الغولف ويتقن اللعبة، وكان يهتم بالعمل في حديقة منزله.

هذا هو الرجل الذي كان رئيس المفتشين جاب وهيركيول بوارو ذاهبين إليه في سيارة أجرة قديمة.

كان «المنزل القوطي» -كما يُدعى بيته- مَعلماً مشهوراً في تلك المنطقة. كان المنزل من الداخل فاخراً ومؤثثاً أثاثاً غالياً رغم بساطته، ولم يكن عصرياً جداً ولكنه كان مريحاً إلى أبعد الحدود. ولم يترك أليستير بلانت ضيفيه ينتظران طويلاً، بل جاء لتحيتهما على الفور.

- رئيس المفتشين جاب؟

تقدم جاب وقدّم هيركيول بوارو. نظر بلانت إليه باهتمام وقال: أعرف اسمك بالطبع يا سيد بوارو. بالتأكيد، في مكان ما... قبل فترة وجيزة...

سكت وهو يقطب جبينه.

قال بوارو: صباح اليوم يا سيدي في قاعة الانتظار في عيادة السيد مورلي المسكين.

فارقت الدهشة أليستير بلانت. قال: "بالطبع، عرفت أنني رأيتك في مكان ما". ثم التفت إلى جاب وقال: ماذا يمكنني عمله لك؟ إنني آسف جداً لما سمعته عن مورلي المسكين.

- هل فوجئت يا سيد بلانت؟

- فوجئت كثيراً. لا أعرف عنه إلاّ القليل بالطبع، ولكنني ظننت أنه كان رجلاً أبعد ما يكون عن الانتحار.

- هل كان يبدو في صحة جيدة ومعنوياته عالية هذا الصباح؟

- أظن ذلك... نعم.

سكت أليستير بلانت وقال وهو يبتسم ابتسامة صبيانية: أريد أن أصارحك. إنني جبان جداً بخصوص الذهاب إلى طبيب الأسنان، كما أنني أكره تلك الحفّارة الكريهة التي يضعها الطبيب في فمي؛ لذلك لم ألاحظ حقاً الكثير من الأمور. لم ألحظ أي شيء عليه إلاّ بعد أن انتهى من عمله ونهضت لأذهب، لكن السيد مورلي كان يبدو طبيعياً للغاية وقتها؛ كان مبتهجاً ومشغولاً.

- هل تتردد عليه كثيراً؟

- أظنها كانت ثالث أو رابع زيارة. لم أكن أعاني كثيراً من أسناني حتى السنة الماضية. أظنها بدأت تتساقط.

سأله هيركيول بوارو: من الذي نصحك بالذهاب إلى السيد مورلي بداية؟

حاول بلانت أن يتذكر. قال: دعني أتذكر... شعرت بألم في

أضراسي، وقال لي شخص بأن مورلي في شارع الملكة شارلوت هو الطبيب الذي يمكنني الذهاب إليه. لا، لا أتذكر من هو ذلك الشخص، إني آسف.

قال بوارو: إذا تذكرت اسمه فأرجو أن تبلغنا به.

نظر أليستير بلانت إليه بفضول وقال: سأفعل... بالتأكيد. لماذا؟ هل هذا يهم؟

قال بوارو: لدي فكرة معينة وهي أن هذا الأمر ربما كان يهم كثيراً.

* * *

كانا ينزلان عتبات درج البيت عندما توقفت سيارة أمامه. كانت سيارة سباق من تلك السيارات التي يضطر المرء للخروج منها بصعوبة وعلى دفعات. بدت الشابة التي تخرج على دفعات من السيارة فتاة نحيلة جداً، واستطاعت -أخيراً- الخروج من السيارة عندما استدار الرجلان ليمضيا في الشارع.

وقفت الفتاة على الرصيف تنظر إليهما، ثم صاحت فجأة وبقوة: هاي!

لم يدرك الرجلان أنها كانت تخاطبهما فلم يلتفتا إليها فعادت الفتاة تنادي: هاي... هاي، أنتما!

توقفا واستدارا ناحيتها متسائلين فيما اتجهت الفتاة نحوهما. كانت مجرد يدين ورجلين؛ طويلة القامة بالغة النحافة، وكان الذكاء

والحيوية باديين على وجهها ليعوضا نقص الجمال عندها. كانت سمراء ذات بشرة سفعتها الشمس كثيراً.

قالت تخاطب بوارو: أعرف من أنت... أنت رجل التحري هيركيول بوارو!

كان صوتها دافئاً وخفيضاً وبه أثر لكنة أمريكية.

قال بوارو: في خدمتك يا آنسة.

نظرت إلى رفيقه، فقال بوارو: رئيس المفتشين، جاب.

اتسعت عيناها بتعبير كاد يبدو ذعراً وقالت بلهفة: ماذا كنتما تفعلان هنا؟ هل... هل حدث شيء للعم أليستير؟

قال بوارو بسرعة: ولماذا تظنين ذلك يا آنسة؟

- لم يحدث شيء؟ جيد.

أعاد جاب عليها سؤال بوارو: لماذا تعتقدين أن شيئاً قد حدث للسيد بلانت يا آنسة...؟

قالت الفتاة بصورة تلقائية: "أوليفيرا... جين أوليفيرا". ثم ضحكت ضحكة خفيفة لم تكن ذات معنى وقالت: وجود شرطة على عتبة البيت يوحي بوجود متفجرات في العلّية، أليس كذلك؟

نظرت إلى بوارو مباشرة: هل استدعاك بخصوص شيء؟

قال جاب: نحن الذين زرناه يا آنسة أوليفيرا لنرى إن كان يستطيع أن يلقي الضوء على قضية انتحار وقعت هذا الصباح.

قالت بحدة: انتحار؟ مَن؟ أين؟

- السيد مورلي، طبيب الأسنان في هذا المبنى.

- آه! آه!

حدّقت الفتاة أمامها وهي عابسة، ثم قالت فجأة: "آه، ما أسخف ذلك!". ثم استدارت وتركتهما بسرعة دون كلمة واحدة وصعدت درجات البيت القوطي وفتحت الباب بمفتاح كان معها ثم دخلت.

قال جاب وهو ينظر إليها: إنّ هذا لقول غريب.

قال بوارو بهدوء: مثير.

نظر جاب إلى ساعته وأشار إلى سيارة أجرة قريبة قائلاً: لدينا متسع من الوقت لزيارة الآنسة سينسبري سيل في طريقنا إلى فندق سافوي.

* * *

كانت الآنسة سينسبري سيل في البهو ذي الضوء الخافت في فندق غلينغوري كورت تشرب الشاي. دُهشت من قدوم ضابط شرطة بملابس مدنية ولكن دهشتها كانت دهشة سرور كما لاحظ الضابط، ولاحظ بوارو -آسفاً- بأنها لم تثبّت بعد إبزيم حذائها.

قالت الآنسة سينسبري سيل وهي تنظر حولها: حقاً أيها الضابط، أين يمكننا أن نختلي للحديث بمفردنا؟ الأمر صعب... إنه موعد تناول الشاي، لكنك ربما تود شرب فنجان من الشاي، أنت وصديقك.

قال جاب: أنا لا أريد يا سيدتي. أقدم لك السيد هيركيول بوارو.

- حقاً؟ إذن ربما... هل أنتما متأكدان أنكما لا تريدان شرب الشاي؟ لا. إذن فلنذهب إلى قاعة الاستقبال رغم أنها تكون مليئة في العادة... آه، يوجد مكان شاغر هناك، عند الزاوية... الناس يغادرون ذلك المقعد. هل نذهب إلى هناك؟

ذهبت إلى حيث توجد أريكة وكرسيان في مختلَى بعيد، ولحقها جاب وبوارو. رفع جاب وشاحاً ومنديلاً كانت الآنسة سينسبري سيل قد أسقطتهما على الأرض وهي في طريقها وأعادهما إليها. قالت: آه، شكراً لك... إنني مهملة. أرجوك أيها المفتش، بل رئيس المفتشين، أليس كذلك؟ تفضل اسألني ما بدا لك. أمر محزن كل هذا الذي حدث. مسكين... أتراه كان يعاني من شيء في عقله؟ إننا نعيش في زمن مليء بالهموم!

- هل رأيته قلقاً يا آنسة؟

- حسناً...

فكرت الآنسة سينسبري سيل قليلاً ثم قالت كارهة: لا أستطيع الجزم حقاً إن كان كذلك. ولكن ربما ما كنت لألحظ... في مثل تلك الظروف. فأنا جبانة؛ أخشى أطباء الأسنان.

ضحكت الآنسة سيل قليلاً وتحسست شعرها المنفوش.

- هل يمكنك إخبارنا من كان غيرك في قاعة الانتظار عندما كنت هناك؟

- دعني أتذكر... كان هناك شاب واحد فقط عندما دخلت. أظن أنه كان يتألم لأنه كان يتحدث مع نفسه ويبدو مخيفاً وهو يقلب صفحات إحدى المجلات دون تركيز، ثم قفز من مجلسه فجأة وخرج. لا بد أنه كان يعاني من ألم حاد في أسنانه.

- ألا تعرفين إن كان قد غادر مبنى العيادة عندما خرج من القاعة أم لم يغادر؟

- لا أعرف أي شيء عنه. أظن أنه شعر بعدم قدرته على الانتظار أكثر وبأنه لا بد أن يرى الطبيب. ولكن لا يمكن أن يكون قد ذهب إلى السيد مورلي لأن الخادم جاء وأخذني إلى السيد مورلي بعد ذلك ببضع دقائق فقط.

- هل مررت بقاعة الانتظار مرة أخرى وأنت في طريقك للخروج؟

- لا؛ لأنني كنت قد لبست قبعتي وسويت شعري في غرفة السيد مورلي.

أكملت الآنسة سينسبري سيل حديثها وقد تحمست أكثر: بعض الناس يخلعون قبعاتهم في قاعة الانتظار لكني لا أفعل ذلك أبداً. إحدى صديقاتي فعلت ذلك فحدثت معها واقعة محزنة جداً. كانت قبعة جديدة ووضعتها على أحد الكراسي بحذر وعندما نزلت من عند الطبيب وجدت أن أحد الأطفال جلس عليها وبعجها. لقد خربت... خربت تماماً!

قال بوارو بأدب: إنها مأساة.

- أنا ألوم الأم. يجب على الأمهات مراقبة أطفالهن... الأطفال الصغار لا يقصدون إحداث الأذى ولكن يجب أن يكونوا تحت المراقبة.

قال جاب: إذن فذلك الشاب هو المريض الوحيد الذي رأيته في العيادة.

- نزل رجلٌ الدرجَ وخرج بينما كنت صاعدة إلى عيادة السيد مورلي. آه! وأتذكر أن رجلاً شكله غريب جداً ويبدو أجنبياً خرج من العيادة عندما وصلت.

سعل جاب، وقال بوارو بشيء من الكرامة: ذاك هو أنا يا سيدتي.

حدقت إليه وقالت: يا إلهي! نعم، هذا صحيح! أرجو المعذرة... إن نظري قصير، والمكان هنا معتم جداً، أليس كذلك؟

ثم بدأت تخوض في حديث غير مترابط، قالت: وأنا التي أمدح نفسي لأن لديّ ذاكرة ممتازة للوجوه. لكن الضوء هنا خافت، أليس كذلك؟ أرجو أن تعذرني بسبب غلطتي الفظيعة هذه!

قام الرجلان بتهدئة السيدة، ثم سألها جاب: هل أنت واثقة تماماً من أن السيد مورلي لم يقل شيئاً... بأنه على سبيل المثال يتوقع مقابلة غير سارة هذا الصباح؟ شيء كهذا؟

- لا، أنا واثقة من أنه لم يقل شيئاً كهذا.

- ألم يذكر مريضاً اسمه أمبيريوتيس؟

- الحق أنه لم يقل شيئاً... أعني باستثناء الأشياء التي يقولها عادة أطباء الأسنان.

فكر بوارو في الكلمات التي يقولها الأطباء: تمضمض... افتح فمك أكثر من فضلك... والآن أغلقه بلطف.

ثم شرع جاب في خطوته التالية قائلاً إنه ربما توجّب على الآنسة سينسبري سيل أن تدلي بشهادتها في التحقيق. صرخت الآنسة سينسبري سيل صرخة رعب لأول وهلة ثم فهمت المغزى، وسألها جاب مجموعة من الأسئلة جعلتها تسرد له تاريخ حياتها. بدا أنها جاءت من الهند إلى إنكلترا قبل ستة أشهر، وقد عاشت في فنادق عديدة وبيوت مفروشة، وأخيراً جاءت إلى فندق غلينغوري كورت الذي أحبته كثيراً بسبب جوه الحميم. وفي الهند كانت معظم إقامتها في مدينة كلكتا حيث قامت بتدريس فن الإلقاء.

قالت: "اللغة الصافية والنطق الصحيح مهمان جداً أيها المفتش". ثم أضافت شامخة وبابتسامة متكلفة: عندما كنت فتاة صغيرة عملت في المسرح، آه! مجرد أدوار صغيرة في فرقة تمثيل ثانوية، لكني كنت أملك طموحات كبيرة. كنت أطمح للفرقة المحترفة، ثم ذهبت في جولة عالمية... مسرحيات شكسبير وبرنارد شو.

ثم تنهدت وقالت: مشكلتنا -نحن النساء- هي قلوبنا... إننا تحت رحمة قلوبنا. تزوجت زواجاً سريعاً متهوراً، ولكن، للأسف... انفصلنا على الفور تقريباً! لقد خُدعت خدعة مؤسفة،

وعدت فحملت اسمي قبل الزواج، وأعطتني صديقة لي بعض المال فافتتحت به مدرسة لتعليم فن الإلقاء. وقد ساعدت في تأسيس جمعية ناجحة جداً لمسرح الهواة، لا بد أن أريك بعض منشورات التعريف بمسرحياتنا.

كان جاب يدرك خطورة مثل هذا الأمر؛ ولذلك فقد آثر الهروب! وكانت آخر كلمات لاحقَتْه بها: وإذا ما ظهر اسمي في الصحف، أعني شاهدةً في التحقيق، فأرجو أن تتأكدوا من أنه مكتوب بشكل صحيح... «مابيل سينسبري سيل». وإذا ما أرادوا فيمكنهم ذكر أنني قد شاركت في مسرحية «كما تحبها» على مسرح أوكسفورد.

قال رئيس المفتشين جاب: "بالطبع، بالطبع"، ثم فر هارباً.

في سيارة الأجرة تنهد جاب ومسح جبينه وهو يقول: إذا لزم الأمر فإنه يتوجب علينا التحقق من هذه المرأة، إلا إذا كان هذا كله أكاذيب... لكني لا أظن ذلك.

هز بوارو رأسه نافياً وقال: الكذابون لا يتكلمون هذا الكلام المفصل أو كلاماً ليس له صلة بالموضوع.

أكمل جاب يقول: كنت أخشى أن ترفض حضور التحقيق. معظم العوانس اللاتي في عمر متوسط يفعلن ذلك، لكن كونها ممثلة يبرر سبب لهفتها وحماستها، فهي فرصة لتسليط الأضواء عليها!

قال بوارو: هل تريدها حقاً في التحقيق؟

- ربما لا. حسب الظروف.

سكت قليلاً ثم قال: إنني مقتنع أكثر من قبل -يا بوارو- بأنها ليست حادثة انتحار.

- وما هو الدافع؟

- هذا ما لا نعرفه الآن. افترض أن مورلي أغوى ذات مرة ابنة أمبيريوتيس؟

كان بوارو صامتاً. حاول أن يتخيل السيد مورلي وهو يقوم بدور غاوٍ لفتاة يونانية فاتنة العينين، لكنه فشل فشلاً مؤسفاً.

ذكر جاب بأن السيد ريلي قال إن شريكه لم يعش مباهج الحياة. قال بشيء من الغموض: "آه، أنت لا تعرف ما قد يحدث في رحلة!"، ثم أضاف راضياً: ستعرف أكثر أين نقف عندما نتحدث مع هذا الشخص.

دفعا أجرة السيارة ودخلا فندق سافوي. وسأل جاب عن السيد أمبيريوتيس. نظر الكاتب إليهما نظرات غريبة ثم قال: السيد أمبيريوتيس؟ أعتذر يا سيدي؛ لا أظنك تستطيع رؤيته.

قال جاب عابساً: "بل أستطيع أيها الشاب". ثم دفع صاحبه جانباً وتقدم مبرزاً هويته للشاب.

قال الكاتب: أنت لا تفهمني يا سيدي... لقد مات السيد أمبيريوتيس قبل نصف ساعة!

* * *

الفصل الثالث

بعد أربع وعشرين ساعة اتصل جاب ببوارو. كان يتحدث بنبرة مريرة: اتضح كل شيء... كل شيء!

- ماذا تقصد يا صديقي؟

- مورلي انتحر دون شك، لقد عرفنا الدافع.

- وما هو؟

- استلمت لتوي تقرير الطبيب الشرعي بخصوص وفاة أمبيريوتيس. لن أدخلك في متاهة العبارات الفنية المتخصصة، ولكنه -بلغةٍ مختصرة- مات نتيجةَ جرعةٍ زائدة من الأدرينالين والنوفوكين، وفهمت أنها أثرت على قلبه وانهار. عندما قال الرجل عصر أمس إنه يشعر بالتعب كان صادقاً. الأدرينالين والبروكين هما ما يحقنه أطباء الأسنان في لثة المرضى... مخدر موضعي. لقد أخطأ مورلي وأعطاه جرعة مضاعفة، وبعد مغادرة أمبيريوتيس للعيادة أدرك ما فعله ولم يستطع مواجهة العواقب فقتل نفسه.

سأله بوارو: بواسطة مسدس لم يكن معروفاً عنه اقتناؤه؟

- ربما كان يحتفظ بالمسدس. الأقارب لا يعرفون كل شيء... تُفاجئنا دوماً الأشياء التي لا يعرفونها!

- هذا صحيح، نعم.

- هذا ما حدث. إنه تفسير منطقي جداً للأمر كله.

- ولكن هذا التفسير لا يقنعني تماماً يا صديقي. صحيح أن المعروف عن المرضى أنهم يتأثرون سلبياً أحياناً من هذا التخدير الموضعي، وصحيح أن الحساسية تجاه الأدرينالين معروفة جيداً، وأنها إذا ما اجتمعت مع البروكين فإن بعض الآثار السُمّية تعقب تناول الجرعات الصغيرة، ولكن الطبيب أو طبيب الأسنان الذي يعطي مرضاه دواء لا يبلغ به الهم عادة درجة يقتل معها نفسه.

- نعم، لكنك تتحدث عن حالات يكون استخدام المخدر فيها عادياً. في هذه الحالة لا يقع أي لوم على الطبيب المعني؛ لأن الحساسية الموجودة في جسم المريض هي السبب في الوفاة، ولكن -في هذه الحالة- من الواضح جداً وجود جرعة زائدة. إنهم لم يعرفوا الكمية بالضبط حتى الآن؛ فمثل هذه التحاليل الكمية تستغرق أكثر من شهر، ولكن من الواضح أنها أكبر من الجرعة العادية، وهذا يعني أن مورلي قد أخطأ دون شك.

- حتى في هذه الحالة يبقى الأمر مجرد خطأ، ولا يعتبر مسألة جنائية.

- لا، لكنها ستسيء إلى سمعته المهنية. الواقع أنها ستدمر حياته العملية، فليس من شأن أحد أن يذهب إلى طبيب يحتمل أن

يطلق على مرضاه جرعات سموم قاتلة لمجرد أنه كان وقتها شارد الذهن قليلاً.

- كان ذلك تصرفاً غريباً منه... أعترف لك بذلك.

- هذه الأشياء تحدث. تحدث مع الأطباء، وتحدث مع الصيادلة. يبقون حذرين وحريصين سنوات عديدة، ثم... في لحظة واحدة من عدم الانتباه يحدث الضرر ويتعرض المساكين للمساءلة والعقاب. لقد كان مورلي رجلاً حساساً. في حالة الطبيب البشري يوجد -عادة- صيدلي يشاطره المسؤولية واللوم أو يتحملها عنه كلية، أما في هذه القضية فقد كان مورلي مسؤولاً وحده.

قال بوارو معترضاً: ألم يكن من شأنه أن يترك وراءه رسالة يبرر فيها ما فعله؟ يقول -مثلاً- إنه لم يستطع مواجهة العواقب؟ شيئاً من هذا؟ كلمة واحدة فقط لشقيقته؟

- لا شيء من ذلك. أظنه أدرك ما حدث فجأة، وفقد أعصابه فأقدم على الانتحار بأسرع طريقة.

لم يجب بوارو، فقال جاب: أعرفك جيداً أيها العجوز. بمجرد أن تدس أنفك في قضية قتل فإنك تريدها أن تكون قضية قتل فعلاً! أعترف بأنني المسؤول عن توريطك في هذه القضية هذه المرة. حسناً، لقد أخطأت... أعترف بهذا صراحة.

قال بوارو: ما زلت أرى احتمال وجود تفسير آخر.

- بل كثير من التفسيرات. لقد فكرت فيها، لكنها كلها غير

واقعية. دعنا نفترض أن أمبيريوتيس قتل مورلي وعاد إلى بيته حيث شعر بالندم فانتحر باستخدام دواء سرقه من عيادة مورلي. إن كنت تظن هذا محتملاً فإنني أراه أبعد ما يكون عن ذلك. لدينا الصحيفة الجنائية لأمبيريوتيس في سكوتلانديارد. إنها صحيفة مثيرة تماماً... بدأ حياته عاملاً صغيراً في أحد الفنادق في اليونان، ثم أقحم نفسه في السياسة. قام بأعمال تجسس في ألمانيا وفرنسا، وجمع مبالغ لا بأس بها من هذا العمل. لكنه لم يكن ليثرى بسرعة بهذه الطريقة ولذلك يعتقد أنه قام ببعض عمليات الابتزاز. إن رجلنا -السيد أمبيريوتيس هذا- لم يكن رجلاً نظيفاً. ذهب إلى الهند العام الماضي ويبدو أنه قام بابتزاز أحد الأمراء المحليين هناك. المشكلة في هذا الأمر هي أنه لم يكن ممكناً أبداً إثبات شيء عليه... إنه شخص مراوغ. ويوجد احتمال آخر: ربما كان يبتز مورلي على شيء معين، وعندما وجد مورلي فرصته الذهبية وضع له جرعة زائدة من الأدرينالين والنوفوكين على أمل أن لا تعتبر القضية لاحقاً إلا حادثاً عرضياً؛ حساسية من الأدرينالين أو شيئاً من هذا القبيل، ثم بعد أن رحل الرجل من عنده انتابت مورلي نوبة من ندم فقتل نفسه. هذا محتمل بالطبع لكني لا أتصور مورلي مجرماً مع سبق الإصرار. لا، إنني واثق تماماً أن الأمر ما قلته في البداية: خطأ حقيقي وقع فيه في يوم كثرت فيه مواعيد عمله. علينا أن نترك الأمر عند هذا الحد يا بوارو. لقد تحدثت مع المدعي العام، وقد اقتنع تماماً بذلك.

قال بوارو: فهمت، فهمت...

- أعرف ما تشعر به أيها العجوز، لكنك لا تستطيع العثور على

جريمة قتل لذيذة كل مرة! وداعاً، كل ما أستطيع قوله على سبيل الاعتذار هو العبارة القديمة: "أنا آسف لإزعاجك".

* * *

جلس هيركيول بوارو وراء مكتبه الحديث الأنيق.كان يحب الأثاث الحديث ويفضله على الموديلات القديمة؛ فقد كانت زواياه المربعة أفضل -بالنسبة له- من منحنيات وأقواس الموديلات القديمة.

كانت أمامه قطعة صغيرة مربعة من الورق عليها رؤوس أقلام صغيرة وبعض الملاحظات، وكانت مقابل بعض منها علامات استفهام.

كانت الملاحظة الأولى تقول: أمبيريوتيس؟ تجسس، موجود في إنكلترا لهذا الغرض؟ كان في الهند العام الماضي أثناء فترة أعمال الشغب والقلاقل، يمكن أن يكون عميلاً شيوعياً.

وكان في الصفحة فراغ جاء بعده العنوان التالي: فرانك كارتر؟ كان مورلي يراه شخصياً غير مُرضٍ، وقد طرد من وظيفته مؤخراً، لماذا؟

بعد ذلك جاء اسم أمامه علامة استفهام فقط: هوارد رايكز؟

وبعده جاءت عبارة بين قوسين: "ما أسخف ذلك!".

صار هيركيول بوارو يقلب تفكيره. كان عصفورٌ خارجَ النافذة

يحمل عوداً ليبني به عشه، وبدا بوارو -وهو جالس- مثل عصفور برأسه البيضاوي الذي أماله جانباً.

ثم كتب ملاحظة أخرى تحتها: السيد بارنز؟

توقف قليلاً، ثم كتب: مكتب مورلي؟ علامة على السجاد، احتمالات.

فكر في تلك الملاحظة التي أضافها لبعض الوقت، ثم نهض من مجلسه ونادى خادمه ليحضر له قبعته وعصاه وخرج.

* * *

بعد ثلاثة أرباع الساعة خرج هيركيول بوارو من محطة قطار الأنفاق في إيلنغ برودواي، وبعدها بخمس دقائق وصل إلى وجهته: المنزل رقم ٨٨ في شارع كاسل غاردنز. كان بيتاً صغيراً شبه منعزل، وأعجب هيركيول بوارو بدقة وجمال الحديقة التي أمامه، وتمتم مع نفسه: "حديقة متناسقة تماماً".

أُدخل بوارو إلى غرفة طعام صغيرة، وهناك سرعان ما جاءه السيد بارنز.

كان السيد بارنز رجلاً ضئيل الحجم أصلع الرأس تقريباً، ونظر إلى زائره من فوق نظارته بينما كان يحمل في يده اليسرى بطاقة بوارو التي أعطاها إلى الخادمة عندما فتحت له الباب. قال بنبرة فيها شيء من الرسمية: حسناً، حسناً، سيد بوارو؟ حصل لي الشرف بلقائك.

رد عليه بوارو معتذراً: أرجو المعذرة لزيارتي لك بهذه الطريقة غير الرسمية.

- إنها أفضل طريقة، والوقت أيضاً يبعث على الإعجاب.. السابعة إلا ربعاً؛ وقت معقول جداً في هذا الوقت من العام لصيد أي واحد في بيته.

ثم أشار بيده وقال: تفضل اجلس يا سيد بوارو. لا شك عندي بأننا سنتحدث طويلاً، أظن أنه بخصوص ما حدث في العيادة ٥٨ بشارع الملكة شارلوت؟

قال بوارو: ظنك في محله، ولكن لماذا افترضت هذا الأمر؟

- يا سيدي العزيز، لقد تقاعدت من العمل في وزارة الداخلية منذ فترة طويلة، لكني لم أفقد معلوماتي بعد. إن كان أمرٌ يستدعي السرية والتعتيم فمن الأفضل عدم استخدام الشرطة؛ لأن هذا يلفت الانتباه للأمر كله!

قال بوارو: أريد أن أسألك سؤالاً آخر، لماذا تفترض ذلك أمراً يستدعي السرية والتعتيم؟

- أليس كذلك؟ إذا لم يكن الأمر كذلك فإنني أرى أنه يجب أن يكون.

مال إلى الأمام ونقر ذراع الكرسي بنظارته ثم أضاف: في عمل المخابرات لا يهتم أحد بصيد الأسماك الصغيرة، بل يريدون الحيتان الكبرى في القمة... ولكن حتى تصل إلى تلك الحيتان عليك أن تحرص على عدم إثارة السمك الصغير.

- يبدو لي يا سيد بارنز أنك تعلم أكثر مما أعلم.

- لا أعرف شيئاً على الإطلاق، إنما أجمع اثنين على اثنين فقط.

- ومن يكون أحد الاثنين؟

قال السيد بارنز على الفور: أمبيريوتيس، لقد نسيتَ أنني جلست قبالته في قاعة الانتظار للحظات قليلة. إنه لا يعرفني، وقد كنت دائماً إنساناً قليل الأهمية، وهذا ليس سيئاً أحياناً... ولكن كنت أعرفه تماماً، ويمكنني أن أخمن الهدف من وجوده هنا.

- وما هو؟

- لمعت عينا السيد بارنز أكثر من قبل وقال: إننا في هذا البلد شعب متعِب جداً. نحن محافظون حتى النخاع، نشكو كثيراً ولكننا لا نريد -حقيقةً- تغيير حكومتنا الديمقراطية وتجريب صيغ أخرى جديدة. إن هذا ما يحطم فؤاد المحرض الأجنبي ذي الأغراض الشريرة الذي يعمل طوال الوقت دون تعب أو كلل! كل المشكلة -حسب رأيهم- هي أننا بلد يعيش حالة جيدة من التوازن الاقتصادي. وحتى تضايق إنكلترا.. تضايقها حقيقة.. ما عليك إلا أن تعبث بمواردها المالية. هذا ما يريدون الوصول إليه! ولا يمكنك تخريب مواردها المالية مع وجود رجال مثل أليستير بلانت في موقع المسؤولية.

سكت السيد بارنز قليلاً ثم أكمل: بلانت رجل مستقيم في حياته الخاصة، وهو يعيش ضمن دخله سواء كان دخله فلسين في

السنة أم عدة ملايين لا فرق. إنه من هذا النوع، وهو يعتقد بعدم وجود سبب يمنع البلد كله من أن يحذو حذوه في هذا المجال. لا داعي لعمل التجارب المكلفة، لا نفقات مجنونة على خطط إصلاحية، هذا هو السبب.

سكت قليلاً ثم أضاف: هذا هو السبب الذي يجعل أناساً معينين يقررون ضرورة رحيل بلانت.

- آه!

أومأ السيد بارنز برأسه وقال: نعم، أعرف ما أتكلم عنه. بعضهم أناس لطفاء قد تغرك مظاهرهم، مفعمون بالمثل العليا عن عالم أفضل. أما البعض الآخر فهم غير لطفاء، بل إنهم قذرون في الواقع؛ جرذان صغيرة ماكرة ينطقون بلكنة أجنبية. وتوجد مجموعة أخرى ذات نفوذ كبير. لكنهم جميعاً يحملون نفس الفكرة: ينبغي أن يرحل بلانت.

دفع كرسيه إلى الوراء قليلاً ثم سحبه إلى الأمام مرة أخرى: الفكرة هي إزالة النظام القديم، بما في ذلك المحافظون ورجال الأعمال الواقعيون الشكاكون. ربما كان هؤلاء الناس على حق... لا أعرف. ولكني أعرف شيئاً واحداً: يجب عليك أن توجد بديلاً للنظام القديم؛ شيء عملي مفيد وليس مجرد شيء يبدو مقبولاً في ظاهره. لا حاجة لأن نخوض في هذه المسألة. إننا نتعامل مع حقائق ملموسة وليس مع نظريات مجردة. إذا ما أزلت الأعمدة فإن المبنى سينهار، وبلانت هو أحد أعمدة الحال الراهن.

مال بجسمه إلى الأمام وقال: إنهم يلاحقون بلانت دون شك.

هذا ما أعرفه، وأعتقد أنهم كانوا على وشك القضاء عليه صباح الأمس. قد أكون مخطئاً، لكنه جُرّب من قبل... أقصد الأسلوب.

سكت قليلا ثم ذكر بعض الأسماء أخرى بهدوء وحذر؛ أحد رجال الصناعة ذوي النظرة الثاقبة والتقدمية، وقد مات من مرض غامض عرف في وقت متأخر، وسياسي شاب واعد أسَر قلوب العامة صرعته سيارة ومات.

قال السيد بارنز: إنه عمل سهل جداً. في الحالة الأولى أخفق طبيب التخدير في طريقة حقن المخدر في جسد المريض، وهو أمر يحدث. وفي الحالة الثانية أمٌّ قلقة على طفلها المريض كانت تقود السيارة بسرعة لتوصله إلى المستشفى، وبعد الكثير من الكلام العاطفي المبتذل قررت هيئة المحلفين أن الحادث لم يكن مقصوداً وأعفت المرأة من العقوبة! كل شيء بدا طبيعياً جداً، وسرعان ما تم نسيانه. ولكني سأخبرك أين هم هؤلاء الأشخاص الآن: طبيب التخدير أقام له مختبراً راقياً للأبحاث أنفق عليه مالاً كثيراً، أما الأم فهي تضع جميع أولادها في مدارس راقية جداً وتأخذهم لركوب الخيل في العطلات وتملك بيتاً جميلاً في الريف له حديقة واسعة وإسطبلات خيول.

أومأ ببطء ثم أضاف: يوجد في كل مهنة وطريق في الحياة من هو ضعيف أمام الإغراء. المشكلة في قضيتنا هو أن مورلي لم يكن من هذا النوع!

قال بوارو: أتظن أن الأمر كان كذلك؟

- نعم. ليس سهلاً الوصول إلى واحد من هؤلاء الرجال الكبار

لأنهم يخضعون لحماية كبيرة. حوادث السيارة عمل فيه مخاطرة ولا ينجح دائماً، ولكن المرء لا حول له ولا قوة إذا ما جلس على كرسي العلاج عند طبيب الأسنان.

خلع نظارته ومسح العدستين ثم لبسها مرة أخرى وقال: هذه هي نظريتي! ما كان مورلي ليرضى بهذا العمل. ولكنه كان يعرف الكثير، ولذلك كان عليهم التخلص منه.

سأله بوارو: تقول عليهم؟

- أقصد المنظمة التي تقف وراء هذا الأمر كله، ولكن شخصاً واحداً بالطبع هو الذي قام بهذه العملية.

- ومن هو؟

- أستطيع أن أخمن. لكنه مجرد تخمين، وقد أكون مخطئاً.

قال بوارو بهدوء: ريلي؟

- بالطبع، إنه الشخص الأكيد. ربما لم يطلبوا من مورلي -كما أظن- أن يقوم بالعمل بنفسه. لم يكن عليه إلاّ أن يحوّل بلانت إلى شريكه في اللحظة الأخيرة... مرض مفاجئ أو شيء كهذا. كان من شأن ريلي أن يقوم بالعمل الفعلي، ثم سيعتبر الأمر حادثاً مؤسفاً. وفاة رجل مصرفي مشهور... طبيب أسنان شاب بائس في المحكمة في هذه الحالة من البؤس والاهتياج يفقد شهرته. بعد ذلك يتخلى عن عيادة الأسنان ويستقر في مكان ما ليحصل على دخل كبير يصل إلى عدة آلاف من الجنيهات كل عام.

نظر السيد بارنز إلى بوارو وقال: "لا تظن أنني أتخيل... هذه

الأشياء تحدث". ثم أكمل وهو يضرب على كتاب على الطاولة قريباً منه: قرأت كثيراً من قصص التجسس هذه. بعضها خيالية، لكن الغريب أنها لم تعد خيالية أكثر مما يحدث حقيقة. إنني أخجل من رؤية أشياء أعرفها وقد طبعت في كتاب... لأن أحداً لن يصدقها لحظة واحدة!

قال بوارو: في نظريتك، ما علاقة أمبيريوتيس بالأمر؟

- لست متأكداً تماماً. أظن أنهم أرادوا له أن يتحمل مسؤولية ما حدث. لقد قام بلعبة مزدوجة أكثر من مرة، وأظن التهمة لُفقت ضده. ولكن هذا مجرد رأي فقط.

قال هيركيول بوارو بهدوء: لو سلمنا بصحة أفكارك، فماذا سيحدث بعد ذلك؟

- سيحاولون قتله ثانية. آه، نعم... سيحاولون مرة أخرى. الوقت قصير. بلانت له أناس يرعونه، وعليهم أن يضاعفوا من حذرهم. لن يكون الفاعل رجلاً يختبئ وراء شجرة ويحمل مسدساً... ليس بهذا الأسلوب الفج. أخبره أن يحذر من الناس المحترمين: الأقارب، والخدم القدامى، ومساعد الصيدلي الذي يحضّر له الدواء. إن مقتل أليستير بلانت يستحق ملايين عديدة من الأموال، وستدهش لمعرفة ما يمكن للناس أن يفعلوه مقابل... مقابل عدة آلاف من الجنيهات تُدفع كل عام!

- إلى هذا الحد؟

- ربما أكثر...

سكت بوارو لحظة ثم قال: لقد فكرت في ريلي من البداية.

قال السيد بارنز: هل يكون القاتل رجلاً غريباً؟

- ليس كذلك، لقد كانت على السجاد علامة وكأن الجثة سحبت عليه. ولو كان مورلي قد قتل بواسطة أحد المرضى فإنه قتل في غرفة العيادة، وبالتالي لا توجد حاجة لنقل الجثة. هذا هو السبب الذي جعلني أشك من البداية في أنه قتل في مكتبه المجاور وليس في غرفة العيادة، وهذا يعني أن القاتل ليس واحداً من المرضى ولكنه شخص من أهل بيته.

قال السيد بارنز بإعجاب: رائع.

نهض هيركيول بوارو ومدّ يده مصافحاً وقال: شكراً لك، لقد ساعدتني كثيراً.

* * *

في طريق عودة بوارو إلى البيت زار فندق غلينغوري كورت، ونتيجة لتلك الزيارة اتصل بجاب في وقت مبكر من صباح اليوم التالي.

- صباح الخير يا صديقي. التحقيق اليوم، أليس كذلك؟

- نعم، هل ستحضر؟

- لا أظن ذلك.

- لا أظن أنه يستحق حضورك.

- هل ستُستدعى الآنسة سينسبري سيل كشاهدة؟

- مابيل الرائعة؟ لا أتحمل أمثال هؤلاء النساء! لا، لن أستدعيها. لا حاجة لها.

- ألم تسمع منها شيئاً؟

- لا شيء، لماذا؟

قال بوارو: مجرد تساؤل لا أكثر. ربما كان يهمك أن تعلم بأن الآنسة سينسبري سيل خرجت من الفندق قبل العشاء الليلة قبل الماضية ولم تعد حتى الآن.

- ماذا؟ هل هربت؟

- هذا تفسير محتمل.

- ولكن لماذا تهرب؟ ليس عليها أي شيء كما تعلم؛ كانت صادقة تماما وفوق الشبهات. أرسلتُ برقية إلى كلكتا بخصوصها. كان ذلك قبل أن أعلم سبب وفاة أمبيريوتيس، وإلاّ لما أهمني أمرها، وقد وصلني الرد الليلة الماضية: كل شيء على ما يرام. كانت معروفة هناك لسنوات وكل ما قالته عن نفسها صحيح، إلاّ أنها لم تذكر بعض الأمور المتعلقة بزواجها. تزوجت بطالب هندي ثم وجدت أنه مرتبط بغيرها، لذلك تركته وأعادت اسمها كما كان قبل الزواج وانخرطت في الأعمال الخيرية، وكانت تدرّس فن الإلقاء وتساعد في مسرحيات للهواة. إنها -في الواقع- ممن أطلق عليهن وصف «النساء الفظيعات»، ولكنها فوق الشبهات بالتأكيد ولا علاقة لها

بأية جريمة قتل. والآن تقول بأنها هربت منّا! لا أستطيع فهم هذا. ربما تكون ضاقت ذرعاً بذلك الفندق... أنا شخصياً لم يعجبني.

قال بوارو: حقائبها ما تزال هناك... لم تأخذ معها شيئاً.

صاح جاب: متى ذهبت؟

- في الساعة السابعة إلاّ ربعاً تقريباً.

- وماذا عن العاملين في الفندق؟

- إنهم متضايقون جداً. مديرة الفندق تبدو بالغة الحيرة والقلق.

- لماذا لم يبلغوا الشرطة؟

- لسبب بسيط يا صديقي. لنفترض أن السيدة أرادت قضاء ليلة خارج الفندق (رغم أن هذا مستبعد بالنسبة لها) فإنها ستتضايق عند عودتها عندما تعلم أن الفندق استدعى الشرطة. السيدة هاريسون مديرة الفندق اتصلت بعدة مستشفيات للتأكد من عدم تعرضها لحادث معين، وعندما زرتها في الفندق كانت تفكر في إبلاغ الشرطة. ولكن يبدو أن ظهوري كان استجابة لدعائها؛ حمّلت نفسي المسؤولية عن كل شيء وأوضحت لها بأنني سأطلب مساعدة ضابط شرطة سري.

- أظن أن ضابط الشرطة السري الذي تقصده هو أنا؟

- ظنك صحيح.

- حسناً، سأقابلك في فندق غلينغوري كورت بعد جلسة التحقيق.

* * *

قال جاب شاكياً وهما ينتظران حضور المديرة: لماذا تختفي هذه المرأة؟

- إذن فأنت ترى بأنه عمل غريب؟

لم يكن لديهما وقت للمزيد؛ فقد وصلت السيدة هاريسون صاحبة الفندق. كانت السيدة هاريسون مهذارة وعلى وشك البكاء. كانت قلقة جداً على الآنسة سينسبري سيل، قالت: "ماذا يمكن أن يكون قد حدث لها؟". وبسرعة فكرت في كل الاحتمالات والمصائب. ربما فقدت ذاكرتها أو أصيبت بمرض فجائي أو حدث لها نزيف أو صرعها باص صغير أو تعرضت لسرقة واعتداء...

سكتت أخيراً لتأخذ نفساً ثم قالت هامسة: إنها امرأة لطيفة، ويبدو أنها كانت سعيدة ومرتاحة هنا.

بعد ذلك أخذتهما -بناء على طلب جاب- إلى غرفة النوم البسيطة التي تشغلها السيدة المفقودة. كل شيء كان مرتباً ومنظماً؛ الثياب معلقة في خزانة الحائط وفستان النوم مطوي على السرير، وفي الزاوية حقيبتان متواضعتان للآنسة سينسبري سيل، وكان صفّ من الأحذية تحت طاولة التسريحة. كانت الأحذية مختلفة الأشكال والأنواع للسهرة ولمشاوير النهار، ولاحظ بوارو أن أحذية السهرة كانت أصغر قياساً من الأحذية التي تلبسها في النهار. ربما كان ذلك

بسبب وجود مسمار في رجلها أو بسبب الخيلاء وحدها، وتساءل إن كانت الآنسة سينسبري سيل قد وجدت وقتاً لتخيط الإبزيم الذي سقط من حذائها قبل أن تخرج. كان يأمل ذلك؛ فقد كان ينزعج دائماً من عدم المبالاة في اللباس.

انشغل جاب بمعاينة بعض الرسائل الموجودة في أحد أدراج طاولة التسريحة، وفتح هيركيول بوارو بقوة أحد أدراج الخزانة فوجده مليئاً بالجوارب.

قال جاب: هل حصلت على أي شيء يا بوارو؟

رد بوارو بحزن وهو يحمل زوجاً من الجوارب: عشر بوصات من حرير لماع ورخيص الثمن.

- اترك تخمين قيمة تركة المرأة! لدينا هنا رسالتان من الهند وبعض الوصولات من منظمات خيرية، ولا توجد فواتير.. إن هذه السيدة جديرة بالاحترام.

قال بوارو حزيناً: لكن ذوقها في الثياب متواضع.

نقل جاب عنواناً مكتوباً على رسالة قديمة تعود لشهرين قائلاً: هؤلاء قد يعرفون شيئاً عنها. عنوانهم في طريق هامبستيد، ويبدو أنهم على علاقة وثيقة بها.

لم يبقَ ما يمكن الحصول عليه في الفندق باستثناء الحقيقة السلبية القائلة إن الآنسة سينسبري سيل لم تبدُ منفعلة أو قلقة عندما خرجت، ويبدو أنها كانت تعتزم العودة لأنها نادت السيدة بوليفر

في الصالة وقالت لها: بعد العشاء سأعلّمك لعبة الورق تلك التي حدثتك عنها.

إضافة إلى ذلك كان من العادات المتبعة في فندق غلينغوري كورت أن يقوم النزيل بإبلاغ الفندق إن كان يريد تناول الغداء أو العشاء في الخارج، لكن الآنسة سينسبري سيل لم تفعل، لذلك يبدو واضحاً أنها كانت تعتزم العودة لتناول العشاء الذي كان يقدم بين الساعة السابعة والنصف والثامنة والنصف. لكنها لم تعد، لقد خرجت إلى شارع كرومويل واختفت.

ذهب جاب وبوارو إلى العنوان الذي كان مكتوباً على الرسالة في غرب هامبستيد. كان بيتاً جميلاً وكان السيد آدم وزوجته طيبين ولهما عائلة كبيرة، عاشا في الهند عدة سنوات وتحدثا بحماسة شديدة عن الآنسة سينسبري سيل، ولكن لم يكن بإمكانهما مساعدة الرجلين؛ فهما لم يلتقيا بها في الفترة الأخيرة ومنذ شهر تقريباً، وكانت في ذلك الوقت تقيم في فندق قرب راسل سكوير. أعطت السيدة آدمز عنوان الفندق لبوارو وعنوان بعض أصدقاء الآنسة سينسبري سيل الذين كانوا يعيشون في ستريتهام.

ولكن عاد الرجلان من ذلك الفندق أيضاً بخفي حنين؛ فقد أقامت الآنسة سينسبري سيل في الفندق المذكور، لكن القوم هناك لا يتذكرونها كثيراً ولم يستطيعوا تقديم مساعدة لهما، وقالوا عنها إنها سيدة لطيفة وهادئة وعاشت في الخارج. كما أن أصدقاءها في ستريتهام لم يقدموا مساعدة تذكر؛ فهم لم يشاهدوا الآنسة سينسبري سيل منذ شباط الماضي.

بقي احتمالُ وقوع حادث، لكن ذلك الاحتمال استبعد هو الآخر، فلا يوجد أي مستشفى استقبل أية حالة طارئة قريبة من الوصف المعطى.

لقد تبخرت الآنسة سينسبري سيل في الهواء.

* * *

في صباح اليوم التالي ذهب بوارو إلى فندق هولبورن بالاس وسأل عن السيد هوارد رايكز. في هذه المرة لن يكن بوارو مدهوشاً إذا ما قيل له إن السيد هاوارد هايكز قد خرج هو الآخر في أمسية ما ولم يعد.

ولكن السيد هوارد هايكز كان موجوداً في الفندق وقيل له بأنه يتناول الإفطار، وقد بدا أن ظهور هيركيول بوارو عند طاولة الإفطار قد أشعر السيد هاوارد هايكز بالامتعاض. ورغم أنه لم يبدُ على تلك الدرجة من الإجرام التي خيلت لبوارو في أول لقاء له به في العيادة، إلا أن عبوسه ما زال مرعباً.

حدق إلى ضيفه الذي جاء دون دعوة وقال بفظاظة: ما الأمر؟

- أتسمح لي؟

سحب هيركيول بوارو كرسياً من طاولة أخرى، وقال السيد رايكز: لا تلق بالاً إليّ. اجلس وخذ راحتك!

استغل بوارو هذا الإذن وجلس وهو يبتسم.

قال السيد رايكز بفظاظة: حسناً، ماذا تريد؟

- هل تتذكرني يا سيد رايكز؟

- لم أرك في حياتي أبداً.

- أنت مخطئ في هذا؛ لقد جلست معي في نفس الغرفة لمدة خمس دقائق على الأقل قبل أقل من ثلاثة أيام.

- لا أستطيع أن أتذكر كل من أقابله في مكان أو حفلة معينة.

- لم تكن حفلة، كان ذلك في قاعة الانتظار عند طبيب الأسنان.

لمع في عيني الشاب بعض التأثر الخاطف الذي سرعان ما اختفى، تغيرت لهجته، ولم يعد شخصاً فاقداً للصبر أو غير مبال. أصبح حذراً فجأة، ونظر إلى بوارو وقال: حسناً؟

تفحصه بوارو جيداً قبل أن يرد عليه. أحس أن هذا الشاب خطير فعلاً: وجه نحيل شاحب وفك يوحي بالعدوانية وعينان تدلان على التطرف. كان يلبس ملابس غير مرتبة، بل تكاد تكون رثة، ويأكل بنهم غير مبالٍ وجده بوارو ذا مغزى.

لخص بوارو أوصافه في نفسه: "إنه ذئب له أفكاره الخاصة".

قال رايكز بجفاء: ماذا تقصد... بمجيئك بهذه الصورة؟

- أأنت مستاء من زيارتي؟

- أنا لا أعرف أصلاً من تكون.

- أرجو المعذرة.

أخرج بوارو بطاقته من جيبه وسلمها له. ومرة أخرى ظهر ذلك الانفعال الواضح على وجه السيد رايكز النحيل. لم يكن خوفاً، كان تعبيراً أكثر عدوانية من الخوف، وبعد ذلك جاء الغضب الصريح.

قذف بالبطاقة إلى صاحبها وقال: إذن هذا أنت؟ لقد سمعت عنك.

قال بوارو بتواضع: معظم الناس سمعوا عني.

- إذن فأنت تحرٍّ خاص؟ من النوع باهظ التكاليف الذي يستأجره الناس الذين لا يهتمون بدفع الأموال... عندما يستعدون لدفع مبالغ كبيرة من المال من أجل إنقاذ أنفسهم البائسة!

قال هيركيول بوارو: إذا لم تشرب قهوتك فسوف تبرد.

كان يتكلم بلطف وحسم.

حدق رايكز إليه قائلاً: أية حشرة أنت؟

- على أي حال فالقهوة في هذا البلد سيئة جداً.

وافقه السيد رايكز متحمساً: نعم، هي كذلك.

- لكنك إن تركتها تبرد كثيراً فإنها تصبح مستحيلة الشرب تماماً.

مال الشاب إلى الأمام وقال: ما الذي تريد الوصول إليه؟ ما هو غرضك من المجيء إلى هنا؟

رفع بوارو كتفيه بلا مبالاة وقال: أردت... رؤيتك.

- أحقاً؟

ضاقت عيناه من الغضب وقال: إن كنت تجري وراء المال فأنت جئت إلى الرجل غير المناسب. إن أمثالي لا يستطيعون شراء ما يريدونه، من الأولى أن تعود إلى الرجل الذي يدفع لك راتبك.

قال بوارو وهو يتنهد: لم يدفع لي أحد شيئاً... بعد.

- لا أحسبك صادقاً؟

- إنها الحقيقة. إنني أضيع كثيراً من الوقت الثمين دون مكافأة، لنقُل إن ذلك لمجرد إشباع فضولي.

- وأظن أنك كنت تشبع فضولك بالأمس عند طبيب الأسنان.

هز بوارو رأسه نافياً وقال: يبدو أنك تغاضيت عن السبب الطبيعي للتواجد في قاعة انتظار عيادة الطبيب؛ وهو الانتظار لمعالجة الأسنان.

قال السيد رايكز بنبرة تنم عن تكذيب وازدراء: إذن هذا هو سبب وجودك هناك؟ كنت تنتظر من أجل علاج أسنانك.

- بالتأكيد.

- أرجو أن تعذرني إذا قلت بأنني لا أصدقك.

- إذن هل لي بسؤالك يا سيد رايكز عن سبب تواجدك هناك؟

ابتسم السيد رايكز فجأة وقال: غلبتك في هذه... كنت أنتظر لمعالجة أسناني أيضاً!

- وهل كنت تعاني من ألم الأسنان؟

- هذا صحيح.

- لكنك خرجت دون معالجة أسنانك بالرغم من ذلك؟

- وماذا في ذلك؟ هذا شأني.

سكت قليلاً ثم قال بنبرة سريعة فظة: ما فائدة كل هذا الحديث المبتذل؟ أنت كنت هناك لحماية صيدك الثمين. حسناً، إنه بخير، أليس كذلك؟ لم يحدث شيء لصاحبك الثمين السيد أليستر بلانت، ليس لديك شيء عليّ.

قال بوارو: إلى أين ذهبت عندما خرجت فجأة من قاعة الانتظار؟

- غادرت مبنى العيادة بالطبع.

- آه!

قالها بوارو وهو يرفع بصره إلى السقف، ثم أضاف: ولكن أحداً لم يرك تخرج يا سيد رايكز.

- وهل يهم هذا؟

- ربما، تذكّر أن شخصاً قد مات بعد ذلك بوقت قصير.

قال رايكز دون مبالاة: آه، تقصد طبيب الأسنان.

كانت نبرة بوارو قاسية عندما قال: نعم، أقصد طبيب الأسنان.

نظر رايكز إليه وقال: أتحاول إلصاق التهمة بي؟ أهذه هي اللعبة؟ حسناً، لن تفلح فيها. لقد قرأت قبل قليل ما دار في جلسة التحقيق بالأمس: الطبيب المسكين قتل نفسه لأنه أخطأ في المخدر الموضعي فمات أحد مرضاه.

مضى بوارو دون التفات لكلام صاحبه: هل يمكنك إثبات أنك غادرت البيت كما تقول؟ هل من شخص يمكنه القول جازماً أين كنت بين الثانية عشرة والواحدة؟

رد عليه الآخر غاضباً: إذن فأنت تحاول فعلاً إلصاقها؟ أظن أن بلانت قد كلفك بذلك؟

تنهد بوارو وقال: أرجو المعذرة، لكن ذلك يبدو هاجساً استحوذ عليك.. هذا الإصرار على السيد أليستير بلانت. إنه لم يكلفني بشيء، ولم يسبق له أبداً أن كلفني بشيء. ليست سلامته هي التي تعنيني، بل يعنيني موت رجل كان يتقن المهنة التي اختارها.

هز رايكز رأسه وقال: أعتذر؛ لا أصدقك. أنت رجل تحرٍّ تعمل لحساب بلانت بلا شك.

اسود وجهه وهو يميل فوق الطاولة، ثم أكمل: لكنك لن

تستطيع إنقاذه؛ يجب أن يرحل، هو وكل ما يمثله! لا بد من وجود أسس جديدة. يجب أن يذهب النظام المالي القديم الفاسد... هذه الشبكة الحقيرة من رجال البنوك في جميع أنحاء العالم التي تشبه بيت العنكبوت، يجب إزالتهم من الوجود. أنا لا أحمل لبلانت أية أحقاد شخصية، لكنه من النوع الذي أكرهه. ذلك النوع الوسطي المعتدل الراضي بنفسه، إنه من النوع الذي لا يمكنك زحزحته من مكانه إلا إذا نسفته بالديناميت، إنه رجل يقول: "لا يمكنك تقويض أسس الحضارة". ألا تستطيع فعلاً؟ دعه ينظر ويَرَ! إنه عقبة في طريق التقدم ويجب إبعاده... لا يوجد مكان في العالم اليوم لرجال مثل بلانت، رجال رجعيين، رجال يريدون العيش كما كان يعيش آباؤهم... أو حتى كما كان يعيش أجدادهم! يوجد الكثير منهم هنا في إنكلترا، ولا بد لهم من أن يرحلوا. يجب أن يوجد عالم جديد، هل تفهمني؟ عالم جديد.

تنهد بوارو ثم نهض وقال: أرى يا سيد رايكز أنك صاحب مُثُل.

- وماذا في ذلك؟

- أكثر مثالية من أن تأبه بمقتل طبيب أسنان.

قال رايكز باحتقار: بماذا تهم وفاة طبيب بائس؟

قال بوارو: إنها لا تهمك، ولكنها تهمني. وهذا هو الفرق بيننا.

* * *

عاد بوارو إلى بيته فأبلغه جورج أن في انتظاره سيدة تريد رؤيته.

قال جورج: إنها... إنها عصبية المزاج قليلاً يا سيدي.

بما أن السيدة لم تقل اسمها راح بوارو يخمن، ولكن كان تخمينه خاطئاً لأن الشابة التي نهضت عن مقعدها منفعلةً عندما دخل بوارو عليها كانت سكرتيرة السيد مورلي، الآنسة غلاديس نيفيل.

- سيد بوارو، أنا آسفة على إزعاجك بهذه الطريقة. لا أعرف كيف تجرأت وجئت إلى هنا.. أرجو أن لا تعتبرها وقاحة مني. إنني لا أريد إضاعة وقتك؛ إذ أعرف ما يعني الوقت لرجل محترف مشغول مثلك، لكنني كنت حزينة جداً، وأرجو أن لا تعتبر الأمر إضاعة للوقت.

اقترح عليها بوارو -متأثراً بخبرته الطويلة مع الإنكليز- فنجاناً من الشاي، وكان رد فعل الآنسة نيفيل كما أمل بوارو تماماً. قالت: حسناً يا سيد بوارو، إن هذا لطف كبير منك. ورغم أنه لم يمر وقت طويل على تناول الإفطار، إلا أن المرء لا يستطيع الاستغناء عن فنجان الشاي بين الحين والآخر، أليس كذلك؟

أجابها بوارو (الذي كان يستطيع دوماً الاستغناء عن الشاي) بأن كلامها صحيح، وفي غضون وقت قصير كان يجلس مقابل زائرته وبينهما صينية الشاي.

قالت الآنسة نيفيل وقد بعث فيها فنجان الشاي الثقة من جديد:

أرجو أن تعذرني، ولكن الحقيقة هي أن التحقيق الذي جرى بالأمس ضايقني كثيراً.

قال بوارو بلطف: أنا واثق من هذا.

- لم تُطلب شهادتي، لكني شعرت بأن أحداً لا بد أن يرافق الآنسة مورلي. كان السيد ريلي هناك بالطبع، لكني أعني امرأة ترافقها، كما أن الآنسة مورلي لا تحب السيد ريلي. لذلك رأيت أن من واجبي الذهاب.

قال بوارو مشجعاً: كان ذلك لطفاً كبيراً منك.

- لا، إنما شعرت أن ذلك واجبي. لقد عملت مع السيد مورلي عدداً من السنوات، وكان الخبر صدمة كبيرة لي. وبالطبع زاد التحقيق الأمر سوءاً...

- أظن ذلك فعلاً.

مالت الآنسة نيفيل إلى الأمام بجدية وقالت: ولكن الأمر كله خطأ يا سيد بوارو. إنه خطأ فعلاً.

- ما هو الخطأ يا آنسة؟

- لا يمكن أن يحدث... ليس بالطريقة التي استنتجوها. أقصد إعطاء مريض جرعة زائدة من خلال حقنه باللثة.

- ألا ترين إمكانية ذلك؟

- إنني متأكدة من الأمر. صحيح أن المرضى يعانون من وقت

لآخر من آثار جانبية للمخدر، ولكن هذا يعود إلى بنيتهم الجسدية غير السليمة، إذ لا يكون عمل قلوبهم عادياً منتظماً. لكني متأكدة من أن الجرعة الزائدة شيء نادر جداً. إن الأطباء يعتادون على إعطاء الكمية المضادة المنتظمة من المخدر بحيث يصبح الأمر مسألة آلية تماماً... إنهم يعطون الجرعة الصحيحة بطريقة آلية.

أومأ بوارو برأسه موافقاً وقال: هذا ما فكرت فيه شخصياً، نعم.

- إنها جرعة موحدة ذات حجم محدد ومستقر. ليس الأمر مثل الصيدلي الذي يحضّر كميات مختلفة من المستحضرات أو الجرعات الكثيرة المختلفة مما يسمح بحدوث خطأ دون الانتباه له، وليس الأمر كالطبيب العام الذي يكتب كثيراً من الوصفات الطبية المختلفة لمرضاه. إن طبيب الأسنان ليس كذلك على الإطلاق.

سألها بوارو: ألم تطلبي السماح لك بالإدلاء بهذه الأقوال في جلسة التحقيق؟

هزت غلاديس نيفيل رأسها نافية، وصارت تعبث بأصابعها بارتياب ثم قالت أخيراً: كنت خائفة من... من جعل الأمور أسوأ. أعرف -بالطبع- أن السيد مورلي لا يمكن أن يفعل مثل هذا الشيء، ولكن ملاحظاتي هذه قد تجعل الناس يعتقدون أنه فعلها عامداً.

أومأ بوارو موافقاً، فقالت: هذا ما دعاني للحضور إليك يا سيد بوارو؛ لأن الأمر معك لن يكون رسمياً بأي شكل. لكني أرى أنه لا بد من إبلاغ شخص ما بأن... بأن هذا كله غير مقنع.

قال بوارو: لا أحد يريد أن يعرف.

حدقت إليه محتارة. قال بوارو: بودي أن أعرف المزيد عن تلك البرقية التي استلمتِها والتي طلبت منك السفر في ذلك اليوم.

- لا أعرف -صدقاً- ما الذي أقوله عنها يا سيد بوارو. إنها تبدو غريبة جداً، لا بد أن مرسلها كان شخصاً يعرف كل شيء عني... وعن عمتي؛ أين تعيش، وغير ذلك.

- نعم، يبدو الأمر وكأن واحداً من أصدقائك المقربين هو الذي بعثها، أو قد يكون شخصاً يعيش في البيت ويعرف عنك كل شيء.

- ليس من شأن أحد من أصدقائي أن يفعل ذلك يا سيد بوارو.

- ألا تشكّين في أي شخص؟

ترددت الفتاة، ثم قالت ببطء: في البداية -عندما علمت أن السيد مورلي قد انتحر- تساءلت إن كان هو الذي بعثها.

- تقصدين أنه كان يريد إبعادك من باب مراعاة مشاعرك؟

أومأت الفتاة بالإيجاب وقالت: ولكنها بدت فكرة غريبة حقاً. حتى لو كان يفكر في الانتحار في ذلك الصباح، فإن فكرة إبعادي غريبة جداً. صديقي فرانك تعامل بشكل سخيف مع الأمر في البداية، اتهمني بأنني أريد الخروج مع شخص آخر... وكأنني يمكن أن أفعلها.

- أيوجد شخص آخر؟

- لا بالطبع. لكن فرانك أصبح مختلفاً في الآونة الأخيرة... متقلب المزاج وشكاكاً. ربما لأنه فقد وظيفته ولم يستطع العثور على وظيفة جديدة؛ إن البطالة سيئة جداً لأي رجل، لقد قلقت على فرانك كثيراً.

- هل تضايق عندما علم بسفرك ذلك اليوم؟

- نعم. جاء ليخبرني بأنه حصل على وظيفة جديدة؛ وظيفة رائعة بعشرة جنيهات بالأسبوع. ولم يستطع الانتظار... أراد أن يعلمني بالأمر فوراً، وأظن أنه كان يريد أن يُعلم السيد مورلي أيضاً بالأمر لأنه تضايق كثيراً من عدم تقدير السيد مورلي له وكان يشك بأنه يحاول التأثير عليّ حتى أبتعد عنه.

- وهو ما كان صحيحاً، أليس كذلك؟

- نعم، كان صحيحاً إلى حد ما. لقد فقد فرانك كثيراً من الوظائف التي كان يعمل فيها، وربما لم يكن من النوع الذي يسميه الناس مستقراً، ولكن الأمور ستتغير الآن. أعتقد أن المرء يصنع كثيراً بالتأثير، ألا ترى ذلك؟ إذا أحس الرجل بأن المرأة تتوقع منه الكثير فإنه يحاول تحقيق ما تتوقعه منه.

تنهد بوارو لكنه لم يجادلها. لقد سمع مئات النساء يقلن مثل هذا الكلام معتقِداتٍ بالتأثير الشافي لحب المرأة على الرجل، لكنه رأى -متشائماً- أن فرص نجاح مثل هذا التأثير لا تتعدى حالة من كل ألف، واكتفى بالقول: بودّي لو أقابل صديقك هذا.

- أتمنى أن تقابله يا سيد بوارو، لكنه مشغول في الوقت الحالي طَوال أيام الأسبوع، حيث يذهب إلى الريف ويرتاح فقط في نهاية الأسبوع.

- نعم، في عمله الجديد. على فكرة ماذا يعمل؟

- لا أعرف بالضبط يا سيد بوارو. أظن أنه عمل يشبه عمل السكرتير في إحدى الدوائر الحكومية. أعرف أن عليّ إرسال الرسائل إلى عنوان فرانك في لندن ومن هناك يرسلونها له.

- هذا غريب بعض الشيء، أليس كذلك؟

- ظننت ذلك في البداية، لكن فرانك يقول إن ذلك يحدث كثيراً هذه الأيام.

نظر بوارو إليها لبعض الوقت دون أين يتكلم، ثم قال متأنياً: غداً عطلة نهاية الأسبوع، أليس كذلك؟ أرجو أن تشرفاني -أنتما الاثنين- بتناول الغداء معي في مطعم لوغان كورنر. أحب مناقشة هذا الحادث المؤسف معكما.

- أشكرك يا سيد بوارو. إنني... نعم، أنا واثقة من أننا نرغب بتناول الغداء معك.

* * *

كان فرانك كارتر شاباً متوسط الطول، أشقر الشعر، وكان منظره يوحي بالأناقة الرخيصة. كان يتحدث بطلاقة وسرعة، وعندما كان يحس بالضيق وبالحرج كانت عيناه تضيقان وتنتقلان من جانب

لآخر بشيء من التململ. كان يميل إلى الشك مع أثر ضئيل من العدائية.

- لم أكن أعرف أننا سنسعد بتناول الغداء معك يا سيد بوارو؛ غلاديس لم تخبرني عن هذا شيئاً.

نظر إليها وهو يتكلم نظرات تدل على انزعاجه.

قال بوارو مبتسماً: لم يتم ترتيب ذلك إلاّ بالأمس، الآنسة نيفيل متضايقة جداً من ظروف وملابسات وفاة السيد مورلي ولذلك رأيت أن نفكر في الأمر سوياً...

قاطعه فرانك كارتر بفظاظة: وفاة مورلي؟ لقد سئمت موضوع وفاة مورلي. لماذا لا تنسين أمره يا غلاديس؟ لا أرى أن فيه شيئاً رائعاً.

- يجب ألا تقول كلاماً كهذا يا فرانك، لقد ترك لي في وصيته مئة جنيه. تلقيت رسالة ليلة الأمس بهذا الخصوص.

اعترف فرانك كارهاً: لا بأس بهذا، ولماذا لا يفعل؟ كنت تعملين عنده عمل العبيد... ومن الذي كان يحصل على الرسوم والأجور؟ إنه هو.

- بالطبع هو... كان يدفع لي راتباً جيداً.

- لا أعتبره راتباً جيداً. أنت شديدة التواضع يا غلاديس؛ لقد سمحتِ له أن يستغلّك. إنني أعرف مورلي تماماً، تعرفين -كما أعرف- بأنه حاول جهده حملك على التخلي عني.

- لم يكن يفهم الموقف.

- كان يفهم تماماً. الرجل الآن ميت، وإلا لكنت وبخته أيما توبيخ.

سأله بوارو بلطف: الواقع أنك جئت في صباح يوم مقتله لكي تفعل ذلك، أليس كذلك؟

قال فرانك كارتر غاضباً: من قال هذا؟

- لقد ذهبت هناك، أليس كذلك؟

- وماذا في ذلك؟ أردت رؤية الآنسة نيفيل.

- لكنهم قالوا لك إنها سافرت.

- نعم، وهذا ما أثار في نفسي الشكوك. لقد أخبرت ذلك الأبله ذا الرأس الأحمر بأنني سأنتظر وأرى مورلي، فلقد تمادى كثيراً في تحريض غلاديس عليّ، وكنت أعتزم إخباره بأنني -بدلاً من أن أكون عاطلاً عن العمل فقيراً- قد حصلت على وظيفة جيدة وأنه حان الوقت لأن تسلمه غلاديس إنذاراً بترك العمل وتفكر في التجهيز لمسألة الزواج.

- لكنك لم تخبره ذلك عملياً؟

- لا. سئمت الانتظار في تلك الغرفة القاتمة فخرجت.

- متى كان ذلك؟

- لا أتذكر.

- إذن متى وصلت إلى هناك؟

- لا أعرف، أظن أنه كان بعد الثانية عشرة بقليل.

- هل بقيت هناك لنصف ساعة أم أقل أم أكثر؟

- لا أعرف؛ فأنا لست من النوع الذي ينظر إلى الساعة طوال الوقت.

- هل كان في قاعة الانتظار أي شخص عندما كنت هناك؟

- عندما دخلت كان فيها رجل بدين، لكنه لم يمكث طويلاً. وبعد ذلك بقيت وحيداً.

- إذن لا بد أنك غادرت قبل الثانية عشرة والنصف؛ لأن سيدة وصلت في ذلك الوقت.

- أظن ذلك، فقد أثار المكان أعصابي كما قلت لك.

نظر إليه بوارو متأملاً... كانت لهجته العنيفة تنم عن شيء من التململ والاضطراب ولم تكن أصيلة حقيقية تماماً، ومع ذلك يمكن أن يُعزا ذلك لمجرد العصبية.

قال بوارو ببساطة ومودة: أخبرتني الآنسة نيفيل أنك كنت محظوظاً وحصلت على عمل جيد فعلاً.

- الراتب جيد.

- أخبرتني بأنه عشرة جنيهات في الأسبوع.

- هذا صحيح، لا غبار عليه. وهو يظهر أنني أستطيع الحصول على وظيفة رغم كل المصاعب عندما أحزم أمري.

بدا عليه الزهو قليلاً، فقال بوارو: نعم، وهل العمل شاق؟

رد عليه فرانك كارتر باختصار: ليس سيئاً كثيراً.

- وهل هو عمل ممتع؟

- نعم، ممتع جداً. بهذه المناسبة، كنتُ مهتماً دوماً بمعرفة كيفية عمل رجال التحري الخصوصيين. لا أظن أنه يوجد الكثير من لمسة شيرلوك هولمز البوليسية في عملكم؛ فمعظمه يتعلق بقضايا الطلاق في هذه الأيام.

- إنني لا أشغل نفسي بقضايا الطلاق.

- حقاً؟ إذن لا أفهم كيف تعيش.

- إنني أدبر نفسي يا صديقي... أدبر نفسي.

تدخلت غلاديس نيفيل: لكنك وصلت إلى القمة يا سيد بوارو، أليس كذلك؟ كان السيد مورلي يقول هذا.

ابتسم بوارو لها وقال: أنت تبالغين في إطرائي.

* * *

سار بوارو إلى بيته في الشوارع المهجورة وهو يفكر، وعندما وصل اتصل بجاب وقال: أرجو المعذرة على إزعاجك يا صديقي،

ولكن ألم تتحقق من مسألة تلك البرقية التي أرسلت إلى غلاديس نيفيل؟

- أما زلت تتحدث في هذه المسألة؟ نعم، لقد حققنا فيها في الواقع. نعم، أُرسلت لها برقية من ريتشبارن، في حين تعيش عمتها في ريتشبور في سومرست.

قال بوارو معجباً: هذا عمل ذكي... نعم، عمل ذكي. لو حدث وألقى مستلم البرقية نظرة على اسم المنطقة التي أرسلت منها لبدت له ريتشبورن نتيجة التقارب الشديد بين الاسمين.

سكت قليلاً ثم قال: أتعرف بماذا أفكر يا جاب؟

- بماذا؟

- توجد علامات على وجود ذكاء بالغ في هذا الأمر كله.

- عندما يريدها هيركيول بوارو جريمة قتل فإنها يجب أن تكون جريمة قتل!

- بماذا تفسر تلك البرقية؟

- مصادفة، شخص رتب مقلباً للفتاة.

- ولماذا؟

- يا إلهي! ما بالك يا بوارو؟ لماذا يقوم الناس بعمل أشياء كهذه؟ مزحات ثقيلة، مقالب، روح دعابة في غير محلها... هذا كل ما في الأمر.

- شخص رغب في المداعبة في نفس اليوم الذي كان مقدراً فيه لمورلي أن يرتكب خطأً في حقنة لمريض؟

- قد تكون تلك علاقة ارتباط السبب بالنتيجة. فلأن الآنسة نيفيل كانت مجازة أصبح مورلي أكثر انشغالاً من المعتاد ولذلك أصبح أكثر عرضة لارتكاب الخطأ.

- ما زلتُ غير مقتنع.

- كعادتك دوماً. ولكن ألا ترى إلى أين تقودك فكرتك؟ إن كان أحدٌ قد أراد إبعاد الآنسة نيفيل فإنه مورلي نفسه، مما يجعل قتله لأمبيريوتيس متعمداً وليس مجرد حادث.

بقي بوارو صامتاً، قال جاب: هل فهمت؟

قال بوارو: ربما قُتل أمبيريوتيس بطريقة أخرى.

- إلا هذا! لم يأت أحد لرؤيته في فندق سافوي، تناول غداءه في غرفته، ويقول الأطباء إن المادة التي تسببت في موته جاءت بالتأكيد عن طريق الحقنة وليس الفم؛ فهي لم تكن في المعدة. إذن فهي قضية واضحة.

- هذا ما يراد لنا أن نراه.

- المدعي العام مقتنع على أية حال.

- وهل هو مقتنع باختفاء السيدة؟

- قضية اختفاء سيل؟ لا، ما زلنا نبحث في هذه القضية. لا بد

أن المرأة موجودة في مكان ما، لا يمكن أن تخرج إلى الشارع وتختفي هكذا.

- يبدو أن هذا ما حدث.

- مؤقتاً. ولكنها -دون شك- في مكان ما، حية أو ميتة، ولا أعتقد أنها ميتة.

- ولم لا؟

- لأننا كنا سنعثر على جثتها.

- آه، هل تكتشف الجثث بهذه السرعة دائماً يا جاب؟

- أظن أنك تلمّح إلى أنها هي الأخرى مقتولة وأننا سنجد جثتها في أحد المحاجر وقد قطعت إرباً مثل السيدة راكستون؟

- يوجد دائماً -يا صديقي- أشخاص مفقودون لم تعثروا على أثر لهم.

- نادراً جداً! كثير من النساء يختفين، لكننا في العادة نجدهن دون شك. تسعة أعشار هذه القضايا تكون غرامية، لكني لا أظن أن الأمر كذلك مع مابيل هذه، أليس كذلك؟

قال بوارو بحذر: لا ندري. ولكني لا أرى ذلك محتملاً، إذن فأنت واثق من أنك ستعثر عليها؟

- سنجدها بالتأكيد، إننا نقوم بتوزيع ونشر أوصافها في الصحف، كما أننا نحاول الإعلان عنها في الإذاعة.

- آه، أظن أن ذلك قد يأتي بتطورات.

قال جاب: "لا تقلق؛ سنجد لك فاتنتك المفقودة!". ثم وضع السماعة.

بعد ذلك بقليل دخل جورج الغرفة بمشيته الخفيفة المعتادة ووضع على الطاولة الصغيرة إبريقاً فيه شراب الشُّكلاتة الساخنة وبعض قطع البسكويت المحلى.

- هل من شيء آخر يا سيدي؟

- إن ذهني في حيرة شديدة يا جورج.

- أحقاً يا سيدي؟ أنا آسف لسماع هذا.

صب هيركيول بوارو لنفسه بعض الشكلاتة وحرك فنجانه وهو يتأمل، ووقف جورج محايداً ينتظر وقد عرف معنى هذه العلامات. كانت توجد لحظات يناقش فيها هيركيول بوارو قضاياه مع خادمه، وكان دائماً يقول إن ملاحظات جورج تساعده كثيراً.

- لا شك أنك علمت يا جورج بوفاة طبيب أسناني؟

- السيد مورلي يا سيدي؟ نعم، أمر مؤسف جداً. علمت أنه انتحر.

- هذا هو المفهوم العام، إذا لم يكن قد انتحر فقد قُتل.

- نعم يا سيدي.

- السؤال هو: إن كان قد قُتل، فمن الذي قتله؟

- نعم يا سيدي.

- لا يوجد -يا جورج- إلا عدد محدد من الناس ممن كان بوسعهم قتله، وهذا يشمل الناس الذين كانوا في المنزل أو يمكن أن يكونوا فيه في ذلك الوقت.

- هذا صحيح يا سيدي.

- هؤلاء الناس هم: الطبّاخ وخادمة المنزل، وهما شخصان ودودان ويستبعد أن يفعلا شيئاً كهذا. وتوجد أيضاً أخته، وهي مستبعدة أيضاً، ولكنها ترث ثروة أخيها من بعده، ونحن لا نستطيع تجاهل الجانب المالي كلياً. ولدينا أيضاً شريكه القدير الذي لا نعرف له دافعاً، وخادم أحمق مدمن على مطالعة القصص البوليسية الرخيصة، وأخيراً اليوناني ذو التاريخ المريب بعض الشيء.

سعل جورج وقال: هؤلاء الأجانب يا سيدي...

- بالضبط، إنني أوافقك تماماً. الرجل اليوناني مشكوك فيه بالتأكيد. ولكن هذا الرجل -يا جورج- مات هو الآخر، ومن حيث الظاهر فإن السيد مورلي هو الذي قتله. ولا نستطيع الجزم إن كان ذلك عن قصد أم مجرد خطأ قاتل.

- ربما قتل كل منهما صاحبه يا سيدي. أقصد أن كل واحد منهما قد خطط لقتل الآخر رغم أنهما لم يعلما بنوايا بعضهما البعض.

قال بوارو مستحسناً الفكرة: فكرة ذكية جداً يا جورج. طبيب

الأسنان قتل الرجل سيئ الحظ الجالس على كرسي العلاج دون أن يدرك بأن ذلك الضحية بالذات كان يخطط لقتله. قد يكون الأمر كذلك بالطبع، ولكن يبدو لي بأن هذا مستبعد جداً، كما أننا لم ننته من قائمة الأسماء بعد. ربما كان في المنزل في تلك اللحظة شخصان، جميع المرضى الذين جاؤوا قبل السيد أمبيريوتيس شوهدوا وهم يغادرون المنزل باستثناء واحد... شاب أمريكي، خرج من قاعة الانتظار في الساعة الثانية عشرة إلا ثلثاً تقريباً، ولكن لم يره أحد -فعلياً- وهو يغادر المنزل، لذلك لا بد أن نعتبره احتمالاً قائماً. أما الاحتمال الآخر فهو السيد فرانك كارتر (وهو ليس من المرضى)، وقد جاء إلى البيت بعد الثانية عشرة بقليل وكان يعتزم رؤية السيد مورلي، ولم يره أحد وهو يغادر المنزل أيضاً. هذه -يا جورج- هي الوقائع، فما رأيك؟

- متى وقعت حادثة القتل يا سيدي؟

- إذا كان أمبيريوتيس هو الذي قتله فإن الحادث قد وقع في أي وقت بين الثانية عشرة وخمس دقائق والثانية عشرة والثلث، وإذا كان القاتل شخصاً آخر فقد ارتكبها بعد الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، وإلا لكان السيد أمبيريوتيس قد رأى الجثة.

نظر إلى جورج مشجعاً: والآن يا عزيزي جورج، ماذا تقول في هذه المسألة؟

فكر جورج ملياً ثم قال: إن ما يستوقفني يا سيدي...

- نعم، ما هو يا جورج؟

- أن عليك أن تبحث عن طبيب أسنان آخر لتعالج أسنانك عنده في المستقبل.

قال هيركيول بوارو: إنك تتفوق على نفسك يا جورج، ذلك الجانب من المسألة لم يخطر ببالي حتى الآن!

خرج جورج من الغرفة وقد بدا مسروراً، وظلّ هيركيول بوارو يرشف من الفنجان ويقلب الحقائق التي حددها قبل قليل. كان مقتنعاً بأنها كانت كما حددها. إن الشخص الذي ارتكب ذلك العمل من ضمن دائرة الأشخاص تلك، بغض النظر عن المحرضين الحقيقيين. ثم قطب حاجبيه عندما أدرك أن القائمة لم تكن مكتملة؛ فقد نسي اسماً واحداً.

يجب أن لا يترك اسماً واحداً... حتى أبعد الناس احتمالاً. كان في البيت شخص آخر وقت ارتكاب الجريمة.

كتب على الورقة الموضوعة أمامه: «السيد بارنز».

* * *

أعلن جورج: سيدة تريد الحديث معك بالهاتف يا سيدي.

قبل أسبوع كان هيركيول بوارو قد أخطأ في تخمين هوية الزائرة التي جاءته، أما هذه المرة فإن تخمينه كان صحيحاً. عرف صوتها على الفور.

- السيد هيركيول بوارو؟

- نعم، أنا هو.

- أنا جين أوليفيرا، قريبة السيد أليستر بلانت.

- نعم يا آنسة أوليفيرا؟

- هلا جئت إلى «البيت القوطي» من فضلك؟ لديّ شيء أشعر أن عليك أن تعرفه.

- بالتأكيد، ما هو الوقت المناسب؟

- الساعة السادسة والنصف من فضلك.

- سأكون هناك.

تردد صوت الفتاة الآمر قليلاً وقالت: أرجو... أرجو أن لا أكون قد قطعت عليه عملك؟

- أبداً، كنت أتوقع اتصالك.

وضع السماعة بسرعة. ابتعد عن الهاتف وهو يبتسم، وتساءل -في نفسه- عن الحجة التي وجدتها جين أوليفيرا لاستدعائه.

عندما وصل بوارو إلى البيت القوطي أُدخل مباشرة إلى المكتبة الكبيرة التي تطل على النهر. كان أليستير بلانت جالساً وراء طاولة الكتابة يعبث بسكين فتح الرسائل وهو شارد الذهن، وقد بدت عليه مسحة الإنهاك الذي يصيب رجلاً أتعبته نساء بيته.

عندما دخل بوارو الغرفة كانت جين أوليفيرا واقفة قرب المدفأة

وأمامها امرأة متوسطة العمر ممتلئة الجسم تتكلم باضطراب، وكانت تقول: "نعم يا جوليا، بالطبع، بالطبع". وكان أليستير بلانت يحاول تهدئتها عندما دخل بوارو فنهض لتحيته، وأضافت السيدة تقول: وإذا كنتم ستتكلمون كلاماً مخيفاً فسوف أغادر الغرفة.

ردت عليها جين أوليفيرا: سأتكلم يا أمي.

خرجت السيدة أوليفيرا من الغرفة بسرعة دون التفضل على بوارو بأي نظرة اهتمام.

قال أليستير بلانت: جميل منك أن تأتي يا سيد بوارو. أظن أنك رأيت الآنسة أوليفيرا من قبل؟ هي التي أرسلت في طلبك.

قاطعته جين قائلة: الأمر بخصوص هذه المرأة المفقودة التي امتلأت الصحف بالكتابة عنها، الآنسة سيل.

- سينسبري سيل، أليس كذلك؟

التفتت جين مرة أخرى إلى بوارو وقالت: إنه اسم يدل على التفاخر الكاذب، ولهذا أتذكره. هل أخبره أنا أم أنت يا عم أليستير؟

- إنها قصتك يا عزيزتي.

التفتت جين إلى بوارو مرة أخرى وقالت: قد لا يكون الأمر مهماً على الإطلاق... لكنني اعتقدت أنك يجب أن تعرف.

- نعم، ما الأمر؟

- كانت آخر مرة ذهب فيها العم أليستر إلى طبيب الأسنان. لا أقصد زيارته الأخيرة هذه قبل أيام وإنما قبل ثلاثة أشهر. لقد ذهبت معه إلى ذلك المنزل في شارع الملكة شارلوت في سيارة الرولز، وكانت السيارة ستأخذني لزيارة صديقة لي في ريجنت بارك وتعود مرة أخرى لتأخذه من العيادة. توقفنا عند المنزل ٥٨ وخرج عمي من السيارة، وبينما هو كذلك خرجت امرأة من العيادة. كانت امرأة متوسطة العمر ذات شعر منفوش وملابس لا تدل على ذوق رفيع، توجهت إلى عمي مباشرة وقالت: "آه، سيد بلانت... أنا واثقة أنك لا تتذكرني!". وفهمت من التعابير التي ظهرت على وجه عمي أنه لم يتذكرها على الإطلاق.

تنهد أليستير بلانت وقال: لم أتذكرها أبداً، الناس يقولون ذلك دائماً.

أكملت جين تقول: بدأ بالتظاهر... أعرفه جيداً؛ تظاهر بأنه يتذكرها، رغم أن تظاهره لم يكن ليخدع طفلاً صغيراً. قال بنبرة غير مقنعة: "آه. بالط... بالطبع"، وأكملت المرأة الفظيعة تقول: "كنت صديقة حميمة لزوجتك".

قال بلانت بصوت علاه الحزن: إنهن يقلن ذلك في العادة.

ثم ابتسم ابتسامة حزينة وقال: وينتهي الأمر دوماً بنفس الطريقة! طلب بالتبرع لعمل أو لآخر، هذه المرة خرجت من الموقف بعد أن تبرعت لها بخمسة جنيهات لصالح مشروع زينانا الخيري... مبلغ بسيط.

- هل كانت تعرف زوجتك فعلاً؟

- إن اهتمامها بمشروع زينانا الخيري جعلني أعتقد ذلك. وإن كان ذلك صحيحاً فلا بد أنه حدث في الهند. كنا هناك قبل عشر سنوات، لكنها لا يمكن أن تكون صديقة مقربة لها بالطبع، وإلا لعرفتها. ربما التقت بها مرة في إحدى الحفلات.

قالت جين أوليفيرا: لا أظن أنها رأت زوجة عمي ربيكا أبداً، بل أعتقد أن ذلك كان مجرد عذر لتتكلم معه.

قال أليستير بلانت بتسامح: هذا محتمل جداً.

قالت جين: أقصد أنني أعتقد أن الطريقة التي حاولت بها ادعاء معرفتك كانت غريبة يا عمي.

رد عليها أليستير بلانت بنفس التسامح: "على أية حال فإنها لم تحاول متابعة المسألة". ثم هز رأسه وقال: لم أفكر فيها أبداً بعد ذلك، حتى إنني نسيت اسمها إلى أن رأته جين في إحدى الصحف.

قالت جين بأسلوب يفتقر قليلاً للإقناع: حسناً، لقد فكرت أن السيد بوارو يجب أن يعرف بهذه القصة!

قال بوارو بأدب: "أشكرك يا آنسة"، ثم أضاف: لا أريد أن أشغلك أكثر من ذلك يا سيد بلانت؛ فأنت رجل مشغول.

أسرعت جين تقول: سأنزل معك.

ابتسم بوارو في سرّه، وفي الطابق الأرضي توقفت جين فجأة وقالت: ادخل هنا لو سمحت.

دخلا غرفة صغيرة بعيدة عن الصالة، وهناك التفتت إليه وقالت: ماذا كنت تعني عندما قلت لي بالهاتف إنك كنت تتوقع مني اتصالاً؟

ابتسم بوارو ورفع يديه وهو يقول: ما قلته بالضبط يا آنسة. كنت أتوقع منك مكالمة، وجاءت المكالمة.

- تقصد أنك كنت تعرف بأنني سأتصل بكل لأحدثك بخصوص هذه المرأة سينسبري سيل؟

هز بوارو رأسه بالنفي وقال: كانت تلك مجرد ذريعة لا غير، وكنت تستطيعين العثور على حجة أخرى لو لزم الأمر.

قالت جين: ولماذا عساني أتصل بك؟

- ولماذا تبلغينني أنا بهذا النبأ المثير عن الآنسة سينسبري سيل بدلاً من شرطة سكوتلانديارد؟ ذلك هو الطبيعي.

- حسناً أيها السيد العلامة... إلى أي مدى تعرف بالضبط؟

- أعرف أنك مهتمة بي منذ علمت بأنني زرت فندق هولبورن بالاس قبل أيام.

شحب لونها إلى حدٍّ أدهشه؛ لم يكن يصدق بأن بشرتها المسفوعة تلك ستتغير إلى هذا اللون المخضر.

أكمل يقول بهدوء وثبات: لقد طلبتِ مني الحضور هنا اليوم لأنك تريدين انتزاع معلومات مني، أليس كذلك؟ بلى، إنك تريدين انتزاع معلومات بخصوص السيد هاوارد رايكز.

قالت جين أوليفيرا: ومن يكون هذا على أية حال؟

لم يكن ذلك سؤالاً ناجحاً.

قال بوارو: لا حاجة لانتزاع المعلومات مني يا آنسة. سأخبرك بما أعرفه، أو بالأحرى بما أخمنه. في ذلك اليوم الأول -عندما جئنا هنا أنا والمفتش جاب- فوجئتِ برؤيتنا وظننت أن شيئاً قد حدث لعمك، لماذا؟

- إنه رجل يحتمل أن تحدث له أشياء. ذات يوم تلقى طرداً ملغوماً بالبريد، وهو يتلقى الكثير من رسائل التهديد.

أكمل بوارو قائلاً: لقد أخبرك رئيس المفتشين جاب بأن طبيب أسنان يدعى السيد مورلي قد قُتل. ربما تتذكرين ردك عليه... لقد قلت: "ما أسخف ذلك!".

زمّت جين شفتيها وقالت: حقاً؟ كان ذلك رداً سخيفاً مني، أليس كذلك؟

- كانت ملاحظة غريبة يا آنسة. هذا يكشف أنك كنت تعرفين السيد مورلي، أو بالأحرى تتوقعين حدوث شيء ما... ليس له، ولكن حدوث شيء في بيته.

- أنت تحب أن تروي لنفسك قصصاً، أليس كذلك؟

لم يلتفت بوارو لملاحظتها هذه، بل مضى قائلاً: كنت تتوقعين... أو بالأحرى تخشين حدوث شيء في بيت السيد مورلي. لقد خشيت أن شيئاً ربما حدث لعمك، ولكن إن كان كذلك، فلا بد أنك تعرفين شيئاً لم نكن نعرفه. لقد فكرت في الأشخاص الذين كانوا في منزل السيد مورلي ذلك اليوم، وعرفت على الفور الشخص الذي ربما كانت له صلة بك؛ وهو ذلك الشاب الأمريكي السيد هوارد رايكز.

- الأمر يبدو مثل مسلسل تلفزيوني، أليس كذلك؟ ما هو الحدث المثير التالي؟

- لقد ذهبتُ لرؤية السيد هوارد رايكز. إنه شاب خطير وجذاب.

ثم سكت بوارو سكته ذات مغزى.

قالت جين متأملة: "إنه هكذا، أليس كذلك؟". ثم ابتسمت وقالت: حسناً، لقد كسبتَ! كنت خائفة جداً بالفعل.

ثم مالت إلى الأمام وقالت: سأخبرك ببعض الأمور يا سيد بوارو. أنت لست من النوع الذي يمكن خداعه؛ فإخبارك أفضل من تحمل تطفلك حولنا حتى تعرف الحقائق. إنني أحب ذلك الرجل، هوارد رايكز، بل إنني أحبه جداً، ولقد أحضرتني والدتي إلى هذا المكان لكي تبعدني عنه. هذا سبب، والسبب الآخر أنها كانت تأمل بأن يتعلق العم أليستير بي، ومن ثم يترك لي ثروته بعد وفاته.

ثم أكملت تقول: أمي هي ابنة أخت زوجته، فقد كانت أمها

أختاً لربيكا آرنهولت، وبالتالي فأنا أناديه عمي مجازاً. ولأنه ليس له أقارب مقربين، فقد فكرت أمي لماذا لا تكون وريثته، كما أنها تأخذ من أمواله بحرية. كما ترى فإنني صريحة معك يا سيد بوارو. هكذا نحن، والواقع أن لدينا أموالاً كثيرة خاصة بنا (وهي أموال قذرة كما يسميها هوارد)، لكنا لسنا في مستوى العم أليستير.

سكتت، وضربت بيدها على ذراع الكرسي بقوة وقالت: كيف أجعلك تفهم؟ إن كل شيء تربيت عليه واعتقدته يكرهه هوارد ولا يريده، وأحياناً أشعر بشعوره. إنني أحب العم أليستير كثيراً لكنه يثير أعصابي أحياناً؛ فهو رجعي جداً وممل جداً... حذر جداً ومحافظ. أشعر أحياناً أنه وأمثاله يجب التخلص منهم لأنهم عقبة في تاريخ التقدم، ولأننا من غيرهم سنجعل الأمور تجري بشكل أفضل!

- أنت تتبنين أفكار السيد رايكز؟

- جوابي هو نعم ولا. إن هوارد أكثر تطرفاً من بقية جماعته. بعض الأشخاص يتفقون مع هوارد إلى نقطة معينة، إنهم يرغبون في تجربة الأمور والدخول في حلول وسط إذا وافق العم أليستير وجماعته على ذلك، لكنهم لن يوافقوا أبداً! إنهم يجلسون وظهورهم مسنودة إلى الوراء يهزون رؤوسهم ويقولون: "لا يمكننا المجازفة أبداً بذلك". ويقولون: "لن يكون ذلك سليماً من الناحية الاقتصادية"، و"علينا أن نفكر في مسؤوليتنا"، و"انظروا إلى التاريخ". لكني أعتقد أننا يجب أن لا ننظر إلى التاريخ؛ فقد مضى وانقضى... يجب أن ننظر دائماً إلى الأمام.

قال بوارو بلطف: إنها رؤية جذابة.

نظرت جين إليه بازدراء وقالت: أنت الآخر تقول هذا!

- ربما لأنني كبير بالسن. لكبار السن أحلامهم.. مجرد أحلام.

سكتت فسألها بنبرة واقعية: لماذا أخذ السيد هوارد رايكز موعداً مع طبيب الأسنان في شارع الملكة شارلوت؟

- لأني أنا التي أردت منه أن يقابل العم أليستير، ولم أر وسيلة أخرى لتحقيق ذلك. كان يشعر بالمرارة تجاه العم أليستير ويكرهه كثيراً، ولذلك ظننت أنه لو رآه ورأى كم هو رجل لطيف ومتواضع فإن مشاعره ستتغير تجاهه. وما كنت لأستطيع تدبير لقاء بينهما هنا لأن أمي كانت ستفسد كل شيء.

قال بوارو: ولكنك كنت خائفة بعد تدبير ذلك الأمر.

ردت عليه ذاهلة: نعم؛ لأن... لأن هوارد ينجرف. إنه... إنه...

قال هيركيول بوارو: إنه يريد اختصار الطريق، وتصفية...

صاحت جين أوليفيرا: لا تقلها.

* * *

الفصل الرابع

مضى الوقت وانقضى على وفاة السيد مورلي أكثر من شهر وما زالت الآنسة سينسبري سيل مختفية، وقد ازداد جاب حنقاً وغضباً من هذا الأمر.

- تباً! لا بد أن تكون المرأة في مكان ما يا بوارو.

- لا شك في ذلك يا صديقي.

- إما أنها ميتة أو على قيد الحياة. إن كانت ميتة فأين جثتها؟ لنقل على -سبيل المثال- أنها انتحرت...

- انتحار آخر؟

- دعنا نتجنب الخوض في ذلك الأمر. أنت ما زلت تقول بأن مورلي قد قُتل، أما أنا فأقول بأنه انتحر.

- ألم تتحقق من موضوع المسدس؟

- إنه من صنع أجنبي.

- هذا أمر له دلالته، أليس كذلك؟

- ليس بالطريقة التي تقصدها. موريلي سافر إلى الخارج في رحلات مختلفة هو وأخته... الجميع في بريطانيا يسافرون، وربما اشتراه من الخارج. إنهم يحبون أن يشعروا بأن حياتهم في خطر.

سكت قليلاً ثم قال: لا تحول تفكيري إلى موضوع آخر. كنت أقول إنه لو... لو أن تلك المرأة الحمقاء قد انتحرت أو ألقت بنفسها في النهر -على سبيل المثال- فإن الجثة ستطفو في النهاية وتصل إلى الشاطئ. وإذا كانت قد قتلت فنفس الأمر سيحصل.

- لن تطفو جثتها إذا ما ربطت بثقل وألقيت في نهر التيمز.

- إنك تتحدث كتلك الروايات البوليسية التي تكتبها النساء.

- أعرف... أعرف. إنني أخجل عندما أقول هذه الأشياء!

- ولعل عصابة دولية من المحتالين قتلتها؟

تنهد بوارو وقال: قيل لي مؤخراً بأن مثل هذه العصابات موجودة حقاً.

- من قال لك ذلك؟

- السيد ريجينالد بارنز.

قال جاب بارتياب: ربما كان يعرف؛ فقد كان يتعامل مع قضايا الأجانب عندما كان في وزارة الداخلية.

- وأنت، ألا تتفق معه في الرأي؟

- إنه ليس من اختصاصي. بلى، توجد عصابات من هذا النوع، ولكنها -عموماً- لا تتورط بمثل هذه الأعمال.

سكت الاثنان قليلاً بينما فتل بوارو شاربه، ثم قال جاب: لقد حصلنا على بعض المعلومات الإضافية عن تلك المرأة... عادت إلى الوطن من الهند على نفس الباخرة التي كان أمبيريوتيس فيها، لكنها كانت في الدرجة الثانية من السفينة بينما كان أمبيريوتيس في الأولى. لذلك لا أعتقد بوجود شيء في الأمر، رغم أن أحد العاملين في فندق سافوي يظن أنها تناولت الغداء معه في الفندق قبل أسبوع من وفاته تقريباً.

- إذن ربما كانا على صلة معاً؟

- ربما، ولكني لا أظن ذلك محتملاً. لا أستطيع أن أتصور تورط سيدة نشيطة في الأعمال الخيرية في مثل هذه الأعمال الغريبة.

- هل كان أمبيريوتيس متورطاً في أية أعمال غريبة كما تسميها؟

- نعم، كان كذلك. كان على علاقة وثيقة مع بعض الناس في أوروبا الوسطى... أعمال تجسس.

- هل أنت متأكد من ذلك؟

- نعم. إنه لم يكن يقوم بالأعمال القذرة بنفسه، وما كنا نحن قادرين علىَ أن نثبت عليه شيئاً. كان يقوم بأعمال التنظيم واستلام التقارير... هذا عمله.

سكت جاب قليلاً ثم أكمل: لكن هذا لا يساعدنا في قضية سينسبري سيل؛ فما كان ممكناً أن تتورط في ذلك الأمر.

- تذكّر أنها عاشت في الهند وحدثت هناك قلاقل كثيرة العام الماضي.

- أمبيريوتيس والآنسة سينسبري سيل الرائعة... لا أتصورهما فريقاً واحداً!

- هل علمت أن الآنسة سينسبري سيل كانت صديقة مقربة من الراحلة زوجة أليستير بلانت؟

- من قال هذا؟ لا أصدق. إنهما ليستا من طبقة واحدة.

- هي قالت ذلك.

- لمن قالته؟

- للسيد أليستير بلانت.

- آه! هذا ما تقصده؟ لا بد أنه اعتاد على هذه الحركات. هل تقصد أن أمبيريوتيس كان يستخدمها بهذه الطريقة؟ ما كان هذا لينفع؛ كان بلانت سيتخلص منها بتبرع بسيط وما كان الأمر ليتجاوز ذلك. إنه ليس ساذجاً لهذه الدرجة.

كان ذلك صحيحاً تماماً ولم يكن أمام بوارو إلاّ موافقته، وبعد دقيقة أو اثنتين أكمل جاب في تلخيصه لوضع سينسبري سيل: ربما يكون عالِم مجنون قد ألقى بجثتها في خزان من حمض الأسيد...

وهذا حل آخر يحبه أصحاب الروايات البوليسية! ولكن ثق بأن هذا كله هراء. لو كانت المرأة ميتة لكانت جثتها قد دفنت في مكان ما بهدوء.

- ولكن أين؟

- بالضبط. لقد اختفت في لندن، ولا أحد في لندن لديه حديقة، حديقة بمعنى الكلمة. إن ما نبحث عنه هو مزرعة دجاج!

حديقة! تذكّر بوارو فجأة تلك الحديقة الأنيقة الجميلة في إيلنغ ومساكب الزهور التي فيها. كم سيكون الأمر مثيراً لو أن امرأة قتيلة دفنت هناك! ولكنه شعر بأن هذه فكرةٌ سخيفة.

أكمل جاب يقول: وإن لم تكن ميتة، فأين هي؟ لقد مضى أكثر من شهر الآن ونشرت أوصافها في الصحف ووزعت في جميع أنحاء إنكلترا!

- ألم يرها أحد؟

- آه، الواقع أن الجميع رأوها! أنت لا تعرف كم عدد النساء متوسطات العمر النحيلات اللاتي يرتدين بدلات الصوف الخضراء! لقد شوهدت في حقول يوركشير وفي فنادق ليفربول وفي بيوت الضيافة في ديفون وعلى شاطئ رامفسيت! لقد أمضى رجالي كل أوقاتهم وهم يتحققون من صحة هذه التقارير صابرين مجتهدين، وكانوا يصلون إلى طريق مسدود في كل مرة.

هز بوارو رأسه أسفاً، ومضى جاب يقول: ولكننا نبحث عن امرأة حقيقية! أقصد أنك تصادف شخصيات زائفة بين وقت وآخر؛

واحدة -مثلاً- تأتي إليك وتدعى أنها الآنسة سبينكس، رغم أنه لا توجد واحدة حقيقية بهذا الاسم. لكن هذه المرأة حقيقية... لها ماضٍ، ونعرف عنها كل شيء من طفولتها وحتى هذه اللحظة! لقد عاشت حياة عادية معقولة تماماً، وفجأة تختفي كما تختفي القشة!

قال بوارو: لا بد من وجود سبب.

- إنها لم تقتل مورلي إن كنت تقصد هذا. لقد رآه أمبيريوتيس حياً بعد مغادرتها، كما أننا تحققنا من حركاتها بعد خروجها من العيادة صباح ذلك اليوم.

قال بوارو وقد نفد صبره: أنا لم أقل إنها قتلت مورلي. لم تقتله بالطبع، ومع ذلك...

قال جاب: إن كنت محقاً بخصوص مورلي، فإن من المرجح أكثر أن يكون قد أخبرها شيئاً يعطي مفتاحاً يكشف قاتله دون أن تدري هي بحقيقة ذلك. وفي تلك الحالة فربما تم التخلص منها عن عمد.

- كل هذا يدل على وجود منظمة وعمل أكبر من مجرد وفاة طبيب أسنان هادئ مسالم في شارع الملكة شارلوت.

- لا تصدق كل ما يقوله لك رينجينالد بارنز! إنه عجوز غريب الأطوار، رأسه محشو بالجواسيس والشيوعيين.

- إذا علمتَ شيئاً فبلغني.

عندما خرج جاب جلس بوارو عابساً ينظر إلى الطاولة أمامه. كان واضحا أن لديه إحساساً بأنه ينتظر شيئاً. ما هو؟

تذكر كيف جلس من قبل وهو يدون عدة حقائق غير مترابطة وسلسلة من الأسماء. وكان قد مر من أمام النافذة طائر يحمل عوداً بمنقاره... كان هو الآخر يجمع الأعواد.

لقد جمع عدة أعواد، كلها موجودة ومرتبة في ذهنه ترتيباً منظماً، لكنه لم يحاول ترتيب الأعواد على أرض الواقع بعد. كان ذلك هو الخطوة التالية له... ترتيبها في خط مستقيم.

ما الذي كان يمنعه؟ كان يعرف الإجابة عن هذا السؤال؛ فقد كان ينتظر شيئاً... شيئاً محتوماً مقدراً؛ الحلقة التالية في السلسلة. عندما تأتي... يمكنه ساعتها الاستمرار.

* * *

بعد ذلك بأسبوع وفي وقت متأخر من الليل جاء الاستدعاء. كان جاب يتحدث عبر الهاتف بسرعة: أهذا أنت يا بوارو؟ لقد وجدناها. من الأفضل أن تأتي... مجمعات الملك ليوبولد، حديقة باترسي، رقم ٤٥.

بعد ربع ساعة أنزلت سيارة الأجرة بوارو خارج مجمعات الملك ليوبولد. كان مجمعاً كبيراً من الشقق السكنية المطلة على حديقة باترسي، وكانت الشقة رقم ٤٥ في الطابق الثاني. فتح جاب له الباب بنفسه، كان وجهه متجهماً، وقال: ادخل. الأمر لا يسر، لكنني أظن أنك تريد أن تشاهد بنفسك.

قال بوارو: ميتة؟

- يمكنك أن تقول إنها شبعت موتاً!

أنصت بوارو إلى صوت مألوف صادر من خلف باب إلى يمينه. قال جاب: إنه البواب في حجرة الغسيل وقد أصابه الغثيان! اضطررت لإحضاره لأرى إن كان يمكنه التعرف إليها.

سار في الممر وتبعه بوارو منزعجاً من الرائحة. قال جاب: ليس جميلاً، ولكن ماذا تتوقع؟ إنها ميتة منذ أكثر من شهر.

كانت الغرفة التي دخلاها غرفة صغيرة للأثاث غير المستعمل، وفي وسطها صندوق معدني كبير من النوع الذي يستخدم لتخزين الفراء، وكان الغطاء مفتوحاً.

تقدم بوارو ونظر إلى الداخل. رأى القدم أولاً، وبه الحذاء وعليه الإبزيم المزخرف. تذكر أن أول ما رآه من الآنسة سينسبري سيل كان إبزيم حذائها.

ثم صعد بنظره إلى معطف الصوف الأخضر إلى أن وصل إلى الرأس. صاح بصوت مكتوم فقال جاب: أعرف، منظر مرعب جداً.

كان الوجه قد تهشم إلى حد لم يعد بالإمكان معه التعرف إليه، أضف إلى ذلك عملية التعفن الطبيعية للجثة. ولم يكن غريباً أن يبدو الرجلان شاحبين يشعران بالغثيان.

خرجا فقال جاب: هذا هو عملنا! لا شك أنه صعب أحياناً.

توجد بعض الكولونيا في الغرفة المجاورة، من الأفضل أن تضع بعضاً منها.

كانت غرفة المعيشة مؤثثة أثاثاً يدل على ذوق رفيع وأنيق: بعض كراسي الكروم وبعض الكراسي الكبيرة الجذابة والمغطاة بقماش فاقع اللون.

وجد بوارو زجاجة الكولونيا ووضع شيئاً منها على أنفه، ثم قال: ذلك عمل مقزز! أخبرني يا صديقي كل شيء عمّا حدث.

قال جاب: هذه الشقة تعود لزوجة رجل يدعى ألبرت تشابمان. والسيدة تشابمان -كما فهمت- امرأة شقراء جميلة وأنيقة في نحو الأربعين من عمرها، مستقيمة وتحب من وقت لآخر لعب الورق مع جيرانها، ولكنها -فيما عدا ذلك- منطوية على نفسها ولا تشرك أحداً بحياتها، وليس لها أطفال. أما زوجها، السيد تشابمان، فهو تاجر رحّال.

جاءت سينسبري سيل إلى هنا في الليلة التي قابلناها فيها، في نحو الساعة السابعة والربع، لذلك ربما جاءت من فندق غلينغوري كورت مباشرة. كانت قد جاءت إلى هنا مرة واحدة من قبل كما يقول البواب. كل شيء واضح ولا يحتمل الشك... زيارة ودية لطيفة. أوصل البواب الآنسة سينسبري سيل إلى الشقة بالمصعد، وكانت آخر لحظة رآها فيها عندما كانت تقف خارج باب الشقة وتضرب الجرس.

قال بوارو معلقاً: ألم يتذكر هذه الحقيقة إلاّ الآن؟!

- يبدو أنه كان يعاني من مشكلات في معدته، حيث أمضى فترة في المستشفى بينما تولى رجل آخر العمل عنه مؤقتاً. لكنه لاحظ قبل أسبوع واحد فقط -بالمصادفة- إعلاناً في صحيفة قديمة وبه أوصاف المرأة المطلوبة. قال لزوجته إنها تشبه تلك المرأة التي جاءت لزيارة السيدة تشابمان في الطابق الثاني؛ فهي أيضاً كانت تلبس ثوباً أخضر من الصوف وعلى حذائها إبزيم. وبعد ساعة عاد وتذكر بأن لها اسماً يشبه الاسم المطلوب! وبعد ذلك تطلب الأمر منه أربعة أيام حتى استطاع التغلب على خوفه وعدم ثقته إزاء موضوع التورط مع الشرطة، فجاء بهذه المعلومات.

- لم نعتقد -حقيقةً- أنها معلومات ستؤدي إلى أي شيء. أنت لا تعرف كم هي البلاغات الكاذبة التي تلقيناها بهذا الخصوص، ومع ذلك أرسلت الرقيب بيروس مباشرة، وهو شاب ذكي متعلم.

أحس بيروس على الفور بأننا توصلنا إلى شيء في آخر الأمر، وذلك لأمر واحد؛ وهو أن السيدة تشابمان هذه لم يرها أحد منذ أكثر من شهر. لقد رحلت دون أن تترك أي عنوان لها. كان ذلك عملاً غريبا بعض الشيء، والواقع أن كل شيء علمه عن السيد تشابمان وزوجته كان يبدو غريباً.

واكتشف أيضاً أن البواب لم يشاهد الآنسة سينسبري سيل وهي تغادر الشقة مرة أخرى، وذلك بحد ذاته أمر غريب. كان بوسعها أن تنزل عن الدرج وتخرج دون أن يراها، ولكن البواب أخبره بعدها أن السيدة تشابمان قد رحلت فجأة وقد علقت صباح اليوم التالي

ملاحظة كبيرة مطبوعة على باب شقتها، وكانت الملاحظة تقول: "لا نريد حليباً. أخبر نيلي أنني استُدعيت إلى مكان بعيد".

كانت نيلي هي الخادمة التي تخدمها وقت النهار فقط. رحلت السيدة تشابمان فجأة مرة واحدة أو مرتين قبل تلك المرة؛ لذلك لم تجد الخادمة هذا الأمر غريباً، لكن الغريب أنها لم تُنادِ البواب ليحمل لها أمتعتها أو يطلب لها سيارة أجرة.

على أية حال قرر بيروس دخول الشقة. حصلنا على أمرِ تفتيشٍ وعلى مفتاحٍ للشقة من مدير المجمع. لم نجد أي شيء يثير الاهتمام فيها سوى في الحمام الذي كانت فيه بعض الأدلة على أن أحداً قام بتنظيفه سريعاً، وكانت على مشمّع الأرضية آثار الدماء... على الزوايا حيث غفل الفاعل أثناء تنظيف الأرضية عن غسلها. بعد ذلك أصبحت المسألة هي العثور على الجثة. لم يكن في استطاعة السيدة تشابمان مغادرة الشقة مع أمتعتها وإلا لعرف البواب بذلك؛ لذلك لا بد أن الجثة ما زالت في الشقة. وسرعان ما ضبطنا صندوق الفراء ذاك. كان محكم الإغلاق تماماً.. مكان مناسب جداً، وكانت مفاتيحه في درج طاولة الزينة. وفتحنا الصندوق... فوجدنا فيه السيدة المفقودة!

سأله بوارو: ماذا عن السيدة تشابمان؟

- سؤال وجيه. اسمها -على فكرة- هو سيلفيا، ولكن مَن هي؟ شيء واحد أكيد؛ إن سيلفيا أو أصدقاءها هم الذين قتلوا المرأة ووضعوها في الصندوق.

أومأ بوارو بالموافقة وقال: ولكن لماذا هشموا وجهها؟ إنه ليس عملا لطيفاً.

- نعم، ليس لطيفاً! وبالنسبة للسؤال: يمكننا التخمين فقط. ربما لمجرد الحقد والانتقام، أو ربما كان الغرض إخفاء هوية المرأة.

- لكن ذلك لم يُخْفِ هويتها.

- لا ، ليس فقط لأننا نملك أوصافاً كاملة للآنسة سينسبري سيل وملابسها التي كانت تلبسها عندما اختفت، ولكن حقيبتها الصغيرة قد وضعت في صندوق الفراء مع الجثة أيضاً، وكانت هذه الحقيبة تحتوي على رسالة مرسلة إلى عنوانها في الفندق الذي كانت تسكن فيه سابقاً في راسل سكوير.

انتصب بوارو وقال: لكن هذا... إنه لا يتوافق مع المنطق!

- بالتأكيد. أظن أنها كانت زلة.

- نعم، ربما هي زلة. ولكن...

نهض عن مقعده وقال: هل فتشت الشقة كلها؟

- تفتيشاً دقيقاً. لا يوجد فيها ما يفيد.

- أريد أن أرى غرفة نوم السيدة تشابمان.

- هيا إذن.

لم تدلّ غرفة النوم على أن صاحبتها غادرتها مغادرة سريعة.

كانت مرتبة ونظيفة، والسرير لم يكن مستعملاً بل كان جاهزاً للنوم، وكانت طبقة سميكة من الغبار في كل مكان.

قال جاب: لا توجد بصمات أصابع حسبما نراه. على أواني المطبخ بعض البصمات لكني أظنها بصمات الخادمة.

- هذا يعني أن الشقة قد مسحت ونظفت بعد الجريمة بطريقة حذرة؟

- نعم.

نظر بوارو في أنحاء الغرفة ببطء. كانت مثل غرفة الجلوس مؤثثة أثاثاً حديثاً ورفيعاً، واستنتج أن صاحبتها ذات دخل معتدل. كان الأثاث الذي فيها ثمين لكنه لم يكن ثميناً جداً. كان أثاثاً مبهرجاً لكنه ليس من الطراز الأول، وكان اللون الغالب هو اللون الوردي. نظر إلى داخل خزانة الحائط وقلّب الملابس... ملابس أنيقة لكنها -هي أيضاً- ليست من نوعية الدرجة الأولى. وقعت عيناه على الأحذية... كان معظمها صنادل كما هي الموضة في ذلك الوقت وبعضها له نعل من الفلّين. حمل واحداً منها ولاحظ حقيقة أن السيدة تشابمان كانت تلبس حذاء من المقاس رقم ٥، ثم وضعه مرة أخرى، وفي خزانة أخرى وجد كومة من معاطف الفراء ملقاة دون نظام.

قال جاب: هذه أُخرجت من صندوق الفراء.

أومأ بوارو موافقاً وهو يمسك بيده معطفاً رمادياً من فرو السنجاب، وقال بإعجاب: "فرو من أحسن طراز". ثم ذهب إلى الحمام. كان فيه عدد كبير من مستحضرات التجميل التي نظر بوارو

إليها باهتمام؛ بودرة، وأحمر شفاه، وكريم مغذّ للجلد، وزجاجتان من صبغ الشعر.

قال جاب: يبدو أنها لم تكن شقراء شقرة طبيعية.

رد بوارو: معظم النساء في سن الأربعين يا صديقي يبدأ شعرهن بالتحول إلى لون الشيب، لكن السيدة تشابمان لم تكن من النوع الذي يذعن لتقلبات الطبيعة.

- ربما تستخدم الآن الحناء من باب التغيير.

- لا أدري.

- يوجد شيء يزعجك يا بوارو. ما هو؟

قال بوارو: نعم، إنني منزعج... منزعج جداً. هنا -كما ترى- مشكلة لا حل لها.

ذهب مرة أخرى بإصرار إلى الغرفة حيث صندوق الجثة. أمسك بحذاء القتيلة وأخرجه من قدمها بصعوبة وقوة وتفحّص الإبزيم. كان قد خيط باليد بطريقة غير متقنة. تنهد هيركيول بوارو وقال: هذا الذي أحلم به!

قال جاب بفضول: ما الذي تحاول عمله؟ تجعل الأمر أكثر صعوبة؟

- هذا بالضبط.

- حذاء جلدي لامع مع إبزيمه... ما العيب في هذا؟

- لا شيء، لا شيء أبداً. ولكني -مع ذلك- لا أفهم.

* * *

أشار البواب إلى أن السيدة ميرتون التي تسكن الشقة رقم ٨٢ في مجمعات الملك ليوبولد كانت الصديقة المقربة للسيدة تشابمان في المجمعات؛ لذلك ذهب جاب وبوارو إلى تلك الشقة.

كانت السيدة ميرتون امرأة ثرثارة لها عينان سوداوان حادتان وتسريحة شعرٍ متأنقة. لم يتطلب الأمر أي ضغط لحملها على الكلام؛ فقد كانت على استعداد تلقائي للحديث.

- سيلفيا تشابمان.. بالطبع، الحق أنني لا أعرفها جيداً... أعني معرفة حميمة. كنا نلعب الورق معاً في بعض الليالي، وكنا نذهب إلى دور السينما معاً ونتسوق أحياناً. ولكن أخبرني من فضلك: هل ماتت؟

طمأنها جاب وأخبرها بأنها لم تمت. قالت: الحمد لله على ذلك. لكن ساعي البريد كان يقول قبل قليل بأنهم عثروا على جثة في إحدى الشقق... لا ينبغي للمرء أن يصدق كل ما يسمعه، أليس كذلك؟ إنني لا أصدق أبداً.

سألها جاب سؤالاً آخر. ردت عليه تقول: لا، لم أسمع عن السيدة تشابمان أي شيء منذ أن تحدثنا عن الذهاب إلى السينما لرؤية فيلم جديد، ولم تقل وقتها إنها سترحل.

لم تسمع السيدة ميرتون أبداً باسم الآنسة سينسبري سيل ولم

يُذكر أمامها؛ فالسيدة تشابمان -كما قالت- لم تذكر هذا الاسم أبداً. قالت: ومع ذلك فإن هذا الاسم مألوف لديّ، مألوف تماماً. يبدو أنني رأيته في مكان ما في الفترة الأخيرة.

قال جاب باقتضاب: إنه اسم ظهر في جميع الصحف لعدة أسابيع...

- بالطبع، امرأة مفقودة، أليس كذلك؟ وهل تعتقد أن سيلفيا كانت تعرفها؟ لا، أنا واثقة أنني لم أسمعها تذكر ذلك الاسم.

- هل تخبريننا أي شيء عن السيد تشابمان يا سيدتي؟

ارتسمت على وجه السيدة ميرتون ملامح غريبة. قالت: كان تاجراً رحالاً على ما أعتقد.. هذا ما قالته السيدة تشابمان. كان يسافر إلى الخارج لقضاء مصالح شركته، وأظن أنها شركة تبيع الأسلحة، وقد سافر إلى جميع أنحاء أوروبا.

- هل قابلتِهِ من قبل؟

- أبداً. كان نادراً ما يمكث في بيته، وعندما كان يأتي إلى البيت لم يكن هو وزوجته يريدان أحداً غريباً يزعجهما... أمر طبيعي جداً.

- هل تعرفين إن كان للسيدة تشابمان أي قريب أو صديق؟

- لا أعرف عن أصدقائها، ولا أظن أن لها أي قريب؛ فهي لم تتحدث عن ذلك أبداً.

- هل سبق لها أن ذهبت إلى الهند؟

- لا أعرف هذا.

سكتت السيدة ميرتون قليلاً ثم اندفعت تقول: أرجوك أن تخبرني... لماذا تسأل كل هذه الأسئلة؟ أنا أعرف أنك جئت من سكوتلانديارد، ولكن لا بد من سبب معين؟

- ستعرفين -يا سيدة ميرتون- إن عاجلاً أم آجلاً. الواقع أننا وجدنا جثةً في شقة السيدة تشابمان.

- آه!

بدت السيدة ميرتون -في تلك اللحظة- كالكلب الذي فتح عينيه ذاهلاً. صاحت: جثة! هل كانت جثة السيد تشابمان؟ أو شخص أجنبي؟

قال جاب: لم تكن جثة رجل على الإطلاق. كانت امرأة.

بدت السيدة ميرتون أكثر دهشة. قالت وهي على هذه الحال: امرأة!

قال بوارو بلطف: لماذا ظننت أنه رجل؟

- آه، لا أدري... بدا ذلك اكثر احتمالاً.

- ولكن لماذا؟ هل هذا لأن السيدة تشابمان كانت معتادة على استقبال زوار رجال عندها؟

- آه، لا... لا. لم أقصد شيئاً كهذا أبداً. سيلفيا تشابمان لم تكن

من هذا النوع من النساء... أبداً! الأمر فقط هو أن السيد تشابمان... أقصد...

ثم سكتت، فقال بوارو: أعتقد -يا سيدتي- أنك تعرفين أكثر قليلاً مما قلتِهِ لنا.

قالت السيدة ميرتون بارتياب: لا أعرف... لا أعرف ما ينبغي عليّ عمله! أقصد أنني لا أريد أن أخون الثقة، وبالطبع فإنني لم أكشف ما قالته سيلفيا لي إلاّ لصديقة مقربة واحدة أو صديقتين كنت أعرف أنهما لا يبوحان للآخرين به...

مالت السيدة ميرتون بجسدها إلى الأمام وخفضت صوتها: كانت... كانت مجرد زلة لسان في أحد الأيام، عندما كنا نشاهد فيلماً عن المخابرات السرية وقالت السيدة تشابمان بأن الذي كتب هذا الفيلم لا يعرف كثيراً عن موضوعه، ثم خرجت منها تلك الكلمة وحلفتني أن لا أبوح بهذا السر لأحد. قالت بأن السيد تشابمان يعمل في المخابرات السرية، وأن ذلك هو السبب الحقيقي لأسفاره الكثيرة. كانت شركة الأسلحة مجرد غطاء، وكان ذلك يضايق السيدة تشابمان كثيراً لأنها لم تكن تستطيع كتابة الرسائل له أو استلامها منه عندما يكون في الخارج. وبالطبع كان عملاً خطيراً جداً!

* * *

بينما كانا ينزلان الدرج مرة أخرى إلى الشقة رقم ٤٢ قال جاب حزيناً: أظن أنني سأجن!

كان ذلك الشاب الذكي الرقيب بيروس بانتظارهما. قال باحترام:

لم أستطع الحصول على أي شيء يساعدنا من هذه الخادمة يا سيدي. يبدو أن السيدة تشابمان تغير خادماتها كثيراً؛ فهذه الخادمة تعمل عندها منذ شهر أو شهرين فقط. وهي تقول بأن السيدة تشابمان امرأة لطيفة عذبة الحديث وتحب سماع الراديو، وتعتقد الفتاة بأن الزوج شخص خليع مخادع لكن السيدة تشابمان لم تكن تشك فيه. وقالت بأنها كانت تتلقى رسائل من الخارج أحياناً، بعضها من ألمانيا واثنتان من أميركا وواحدة من إيطاليا وواحدة من روسيا. وتقول الخادمة إن صديقها يهوى جمع الطوابع لذلك كانت السيدة تشابمان تعطيها الطوابع التي على الرسائل.

- هل وجدتم شيئاً بين أوراق السيدة تشابمان؟

- لا شيء على الإطلاق يا سيدي؛ فهي لم تكن تحتفظ بالكثير منها. بعض الفواتير والوصولات... كلها محلية. بعض النشرات عن برامج مسرحية قديمة، وبعض وصفات الطعام قطعتها من الصحف، وتوجد نشرة عن مجموعة زينانا الخيرية.

- يمكننا أن نخمن من أحضر تلك النشرة إلى هنا. إنها لا تبدو قاتلة، أليس كذلك؟ ومع ذلك يبدو الأمر هكذا. إنها -على أي حال- مشاركة في الجريمة دون شك. ألم يشاهَد رجال غرباء في هذا المكان تلك الليلة؟

- البواب لا يتذكر رؤية أحد، ولكني لا أحسبه سيتذكر بعد مرور هذا الوقت على أي حال. وفوق ذلك فهو مجمع كبير من الشقق السكنية، والناس يأتون ويخرجون منه دائماً. إنه لم يستطع تحديد

موعد زيارة الآنسة سينسبري سيل إلا لأنه أُخذ إلى المستشفى في اليوم التالي وكان يشعر بوعكة شديدة في تلك الليلة.

- هل سمع أحد من سكان الشقق المجاورة أي شيء غريب؟

هز الشاب رأسه نافياً وقال: لقد سألت السكان المقيمين فوق هذه الشقة وتحتها. لا أحد يمكنه أن يتذكر سماع أي شيء غريب، وفهمت أن المذياع يبقى مفتوحاً في كلا الشقتين.

خرج الطبيب الشرعي من الحمام حيث كان يغسل يديه وقال مبتهجاً: جثة مقززة تماماً. أرسِلوها عندما تجهزون حتى أنكب على العمل الحقيقي بها.

- ألا توجد أية فكرة عن سبب الوفاة يا دكتور؟

- من المستحيل معرفة ذلك إلاّ بعد أن أقوم بالتشريح. المؤكد أن هذه الجروح في الوجه قد حدثت بعد الوفاة كما يبدو لي، لكني سأعرف أكثر عندما أشرحها في المشرحة. امرأة في وسط العمر، في صحة جيدة، ذات شعر أشيب عند الجذور، لكنه مصبوغ باللون الأشقر. قد تكون على جسدها علامات مميزة، وإذا لم توجد فسوف يصعب التعرف إليها. آه، تعرفون مَن هي؟ هذا رائع. ماذا؟ أهي المرأة المفقودة التي حدثت حولها تلك الضجة؟ حسناً، إنني لا أقرأ الصحف أبداً، إنما أقوم فقط بحل الكلمات المتقاطعة.

قال جاب بمرارة عندما خرج الطبيب: وذلك ما هو معروف عنك!

كان بوارو يحوم حول المكتب، ورفع دفتر عناوين صغيراً بني اللون.

قال بيروس الذي لا يعرف الكلل: ليس فيه ما يثير الاهتمام على وجه الخصوص... معظمها عناوين حلاقين ومصممي أزياء، إلخ. لقد دونت كل الأسماء والعناوين.

فتح بوارو الدفتر، قرأ اسم الدكتور ديفز، المنزل رقم ١٧ بشارع الأمير ألبرت... محل دريك وبومبونيتي لبيع السمك... وتحتها اسم السيد مورلي، طبيب الأسنان، منزل رقم ٥٨ شارع الملكة شارلوت.

لمعت عينا بوارو وقال: لا أظن أننا سنواجه أية صعوبة في التعرف إلى الجثة.

نظر جاب إليه بفضول وقال: أنت بالتأكيد... لا تظن...؟

قال بوارو بقوة: أريد التأكد.

* * *

كانت الآنسة مورلي قد انتقلت إلى الريف لتعيش في بيت ريفي صغير قرب هيرتفورد.

حيّت المرأة بوارو تحية مودة. منذ وفاة أخيها ازداد عبوس وجهها، كما زادت قامتها انتصاباً، وازداد موقفها العام تجاه الحياة تحدياً ومقاومة. رفضت –باشمئزاز– ذلك الطعن والقذف اللذين أصابا سمعة أخيها المهنية نتيجة جلسة التحقيق. كانت تعتقد أن بوارو

يشاطرها الرأي بأن حكم قاضي التحقيق كان غير صحيح؛ لذلك تصرفت المرأة معه تصرفاً متجاوياً.

أجابت عن أسئلته بإيجابية واقتدار. قالت إن الآنسة نيفيل كانت تحفظ كل أوراق السيد مورلي الطبية في ملفات وأنها سلمت هذه الملفات إلى خليفة السيد مورلي، وقالت إن بعض المرضى انتقلوا للعلاج عند الدكتور ريلي وبعضهم قبلوا بالطبيب الجديد، فيما ذهب الباقون إلى أطباء آخرين.

وبعد أن أعطته الآنسة مورلي المعلومات التي استطاعت إعطاءها قالت: إذن فقد وجدتم تلك المرأة التي كان هنري يعالجها، الآنسة سينسبري سيل وقد قُتلت هي أيضاً؟ (وقد شدّدت على كلمة «أيضاً» بشيء من التحدي).

قال بوارو: ألم يذكر لك أخوك اسم الآنسة سينسبري سيل هذه على وجه الخصوص؟

- نعم، لا أتذكر أنه ذكرها. كان من شأنه أن يخبرني عندما يصادف في عمله مريضاً متعباً أو عندما يذكر له أحد مرضاه شيئاً مسلياً، لكننا -في العادة- لم نكن نتحدث عن عمله كثيراً. كان يسره نسيان كل شيء عن عمله عند الانتهاء منه، وكان يعود متعَباً جداً في بعض الأوقات.

- هل تذكرين أن واحدة اسمها السيدة تشابمان كانت من بين مرضى أخيك؟

- تشابمان؟ لا، لا أظن ذلك. الآنسة نيفيل هي التي تستطيع مساعدتك في هذا.

- إنني مهتم بالاتصال بها. أين هي الآن؟

- أظن أنها تعمل الآن مع طبيب أسنان في رامسغيت.

- ألم تتزوج ذلك الشاب فرانك كارتر بعد؟

- نعم، لم تتزوج، وآمل أن لا يحدث هذا أبداً؛ فأنا لا أحب ذلك الشاب أبداً. فيه شيء يثير الريبة، وما زلت أشعر أنه لا يملك أي إحساس أخلاقي.

قال بوارو: أتظنين أنه ربما يكون قد قتل أخاك؟

قالت الآنسة مورلي ببطء: أظن أنه ربما كان قادراً على ذلك؛ لأنه لا يستطيع التحكم بأعصابه. لكنني لا أرى له دافعاً أو حتى الفرصة لذلك العمل. فكما تعرف لم ينجح هنري في إقناع غلاديس بالتخلي عنه، وقد بقيت مرتبطة ومتعلقة به كثيراً.

- ألا يمكن أن يكون قد قبل رشوة برأيك؟

- رشوة؟ ليقتل أخي؟ يا لها من فكرة غريبة!

دخلت فتاة جميلة ذات شعر داكن في تلك اللحظة وهي تحمل الشاي. سأل بوارو بعد أن خرجت وأغلقت الباب وراءها: هل كانت هذه الفتاة معك في لندن؟

- أغنيس؟ نعم، كانت خادمة الاستقبال. لقد صرفت الطاهية،

والواقع أنها هي التي رفضت أن تأتي معي إلى الريف، وتقوم أغنيس بكل شيء لي. إنها تتحول إلى طاهية صغيرة لطيفة.

أومأ بوارو. كان يعرف بدقة كل الترتيبات الداخلية للمنزل رقم ٥٨ في شارع الملكة شارلوت؛ فقد حقق فيها تحقيقاً شاملاً يوم وقوع المأساة. كان السيد مورلي وشقيقته يحتلان الطابقين العلويين من المنزل الذي كان على شكل شقة صغيرة من طابقين، أما القبو فكان مغلقاً تماماً إلا من ممر ضيق يؤدي إلى الساحة الخلفية، حيث كان ثمة قفص من الأسلاك يصل ارتفاعه إلى الطابق العلوي وتوضع فيه البضائع المستلمة وحيث يوجد جهاز اتصال داخلي. لذلك فإن المدخل الوحيد للبيت هو الباب الخارجي الذي كان ألفريد هو المختص بفتحه، وقد مكن هذا الشرطةَ من التأكد من عدم قدرة أي غريب على الدخول إلى البيت في ذلك اليوم.

وكانت الطاهية وخادمة الاستقبال تعملان عند السيد مورلي وشقيقته منذ سنوات، وهما فتاتان طيبتان. ورغم أنه يحتمَل -من الناحية النظرية- قيام واحدة منهما بالتسلل إلى الطابق الثاني وقتل سيدها، إلا أن هذا الاحتمال لم يؤخذ على محمل الجد؛ فلم تُبدِ أي واحدة منهما ارتباكاً أو ضيقاً مبالغاً فيه عند استجوابهما، ولا يبدو وجود أي سبب لعلاقة أية واحدة منهما بمقتله. ومع ذلك، فعندما كانت أغنيس تسلّم بوارو قبعته وعصاه عند مغادرته سألته بشكل مفاجئ عصبي غير معهود: هل... هل توجد أي معلومات أخرى عن مقتل السيد مورلي يا سيدي؟

التفت بوارو إليها وقال: لم يظهر أي شيء جديد.

- أما زالوا متأكدين من أنه انتحر لأنه أخطأ في ذلك الدواء؟

- نعم. لماذا تسألين؟

طوت أغنيس مريولها. أشاحت بوجهها وقالت بنبرة لا تدل على مغزىً خاص: إن... إن سيدتي لا تعتقد هذا.

- وهل تتفقين معها في الرأي؟

- أنا؟ آه... لا أعرف شيئاً يا سيدي. كنت... كنت أريد التأكد فقط.

قال هيركيول بوارو بصوت هادئ لطيف: هل كنت سترتاحين إذا ما شعرت دون أدنى شك بأنه انتحر؟

- آه، نعم يا سيدي... سأرتاح بالتأكيد.

- وربما كان لديك سبب خاص في ذلك؟

نظرت إليه بعينين جفلتين. تراجعت قليلاً وقالت: لا... لا أعرف أي شيء عن الموضوع يا سيدي. كان مجرد سؤال.

تساءل هيركيول بوارو في نفسه وهو يسير باتجاه البوابة: "ولكن لماذا سألت ذلك السؤال؟". أحس -جازماً- أن لذلك السؤال جواباً، ولكنه لم يستطع أن يخمن طبيعته. ومع ذلك أحس باقترابه خطوة أخرى من هدفه.

* * *

عندما عاد بوارو إلى شقته فوجئ بوجود زائر غير متوقع في انتظاره.

تراءى له رأس أصلع يبرز من فوق مسند الكرسي، وما لبث أن نهض السيد بارنز بجسده الصغير واعتذر لبوارو بصوت جاف بسبب حضوره غير المتوقع موضحاً بأنه أراد أن يرد له زيارته.

تظاهر بوارو بالسرور لرؤية السيد بارنز، وطلب من جورج إحضار القهوة، إلاّ إذا كان الضيف يريد شيئاً آخر.

قال السيد بارنز: القهوة تكفي. أرجو أن تكون قهوة خادمك جيدة، فمعظم الخدم الإنكليز لا يتقنون صنعها.

وبعد أن تبادلا عبارات التحية والحفاوة تنحنح السيد بارنز وقال: سأكون صريحاً معك يا سيد بوارو. إن ما دفعني للمجيء هنا هو مجرد الفضول؛ فأنا أظنك على اطلاع جيد على تفصيلات هذه القضية الغريبة. لقد عرفتُ -من خلال الصحف- بأن الآنسة سينسبري سيل المفقودة قد عُثر عليها وأن التحقيق قد تم تأجيله بحثاً عن مزيد من الأدلة، وقد أُعلن بأن سبب الوفاة هو جرعة زائدة من الميدنال.

قال بوارو: هذا صحيح تماماً.

سكت الاثنان قليلا، ثم سأله بوارو: هل سمعت عن شخص يدعى ألبرت تشابمان يا سيد بارنز؟

- آه، زوج المرأة التي وجدت جثة الآنسة سينسبري سيل في شقتها؟ يبدو أنه شخص عصي على التحديد.

- ولكنه موجود مع ذلك، صحيح؟

- نعم، إنه موجود... أو كان موجوداً. سمعت أنه مات، لكنك لا تستطيع الاعتماد على هذه الشائعات.

- ومن يكون هذا الرجل يا سيد بارنز؟

- لا أظن أنهم سيكشفونه في التحقيق (إذا استطاعوا تفادي ذلك). سيعيدون رواية شركة الأسلحة تلك وأنه تاجر رحّال.

- إذن فقد كان يعمل في المخابرات؟

- بالطبع، لكنه لم يكن ليخبر زوجته بذلك... أبداً. والواقع أنه ما كان ينبغي له الاستمرار في عمله في المخابرات بعد زواجه. لا يحدث هذا في العادة، هذا إذا كان عمل الزوج سرياً جداً.

- وهل كان عمل ألبرت تشابمان من هذا النوع؟

- نعم. «كيو إكس ٩١٢»... هكذا كان الرجل يُدعى؛ فاستخدام الاسم مسألة نادرة الحدوث في مثل هذا العمل. لا أقصد أنه كان شخصاً مهماً على نحو خاص، لكنه كان مفيداً لأنه شخص نكرة، من النوع الذي لا يمكن تذكر وجهه بسهولة. لقد استُخدم مراسلاً في جميع أرجاء أوروبا. أنت تعرف طبيعة مثل هذه الأعمال... سفيرنا في البلد الفلاني يرسل رسالة مهمة، رسالة أخرى غير رسمية تحتوي على معلومات سرية، وهكذا... كانت هذه المعلومات تُرسل بواسطة السيد «كيو اكس ٩١٢»، أو ألبرت تشابمان.

- إذن كان يعرف كثيراً من المعلومات المفيدة؟

قال السيد بارنز مبتهجاً: ربما لم يكن يعرف شيئاً. كان عمله فقط ركوب القطارات والسفن والطائرات وحفظ الرواية المناسبة التي توضح سبب سفره إلى المكان الذي يذهب إليه!

- وهل سمعت عن وفاته؟

- هذا ما سمعته، لكنك لا تستطيع تصديق كل ما تسمعه. أنا لا أفعل ذلك أبداً.

سأله بوارو وهو ينظر إليه بإمعان: ما الذي تظنه حدث لزوجته؟

قال السيد بارنز وهو ينظر إلى بوارو ذاهلاً: لا أستطيع أن أتخيل. هل تستطيع ذلك؟

قال بوارو: "لديّ فكرة..."، ثم سكت قليلا وقال ببطء: إنها مسألة مربكة جداً.

همس السيد بارنز مبدياً ما يستطيع من تعاطف: أيوجد شيء يقلقك على وجه الخصوص؟

- نعم. دليل شاهدته بأم عيني.

* * *

دخل جاب غرفة الجلوس في شقة بوارو وألقى قبعته على الطاولة بقوة وقال: ما الذي جعلك تفكر بذلك بالله عليك؟

- يا عزيزي جاب، أنا لا أعرف عن أي شيء تتكلم.

ردّ عليه جاب ببطء وقوة: ما الذي أوحى لك بأن الجثة ليست جثة الآنسة سينسبري سيل؟

بدا بوارو منزعجاً وقال: الوجه هو الذي أقلقني. لماذا يهشم القاتل وجه امرأة ميتة؟

- يا إلهي! ليت السيد مورلي موجود حتى يخبرنا عن هذا الأمر. يحتمل أنه قُتل عمداً حتى لا يدلي بشهادته عنها.

- سيكون من الأفضل بالتأكيد لو أُتيح له أن يدلي بشهادته.

- ليذيران لا بأس به... أقصد خليفة السيد مورلي. إنه رجل قدير جداً وذو سلوك مستقيم، كما أن الدليل لا مجال فيه للخطأ.

حملت الصحف المسائية أخباراً مثيرة في اليوم التالي. فجثة المرأة التي عثر عليها في الشقة في باترسي (والتي اعتُقد في حينها أنها جثة الآنسة سينسبري سيل) قد تم التعرف إليها بشكل قاطع على أنها جثة السيدة ألبرت تشابمان.

لم يتردد السيد ليذيران، خليفة السيد مورلي في عيادته، في الإعلان بأنها جثة السيدة تشابمان بناء على معاينة الأسنان التي كانت تفصيلاتها الكاملة مدونة في السجلات الطبية للسيد مورلي.

لقد وُجدت ثياب الآنسة سينسبري سيل على الجثة ووجدت حقيبتها معها كذلك، ولكن أين الآنسة سينسبري سيل نفسها؟!

* * *

الفصل الخامس

بينما كان جاب وبوارو خارجين من جلسة التحقيق قال جاب متهللاً: كان ذلك عملاً ذكياً... أثارهم جداً.

أومأ بوارو، وأكمل جاب يقول: كنتَ أول من أدرك الحقيقة، ولكني أنا أيضاً لم أكن مقتنعاً بتلك الجثة؛ لأنك لا يمكن أن تهشم وجه ميت ورأسه هكذا دون سبب. إنه عمل بغيض قذر وواضح أن له سبباً، ولا يكاد يوجد غير سبب واحد؛ إخفاء معالم صاحبة الجثة. لكني لم أدرك أنها المرأة الأخرى بتلك السرعة.

قال بوارو مبتسماً: ولكن -يا صديقي- كانت الأوصاف الحقيقية للمرأتين متشابهة فيما يتعلق بالأساسيات. نعم، كانت السيدة تشابمان امرأة جميلة أنيقة وتلبس أحدث الثياب وتتزيّن كأحسن ما يكون، أما الآنسة سينسبري سيل فكانت ملابسها باهتة لا ذوق فيها كما أنها لم تكن تتزين، لكن الأساسيات كانت نفسها. كلتاهما كانتا في الأربعينيات من العمر تقريباً وفي نفس الطول تقريباً ونفس الجسم، وكان لهما شعر خطه الشيب قليلاً ولذلك عملنا على صبغه حتى يبدو ذهبياً.

- نعم، بالطبع، إذا وضعت الأمر بهذه الطريقة. علينا أن نعترف بشيء واحد: كلانا خُدع بمابيل الشقراء وظنناها طيبة ومستقيمة. كنت متأكداً أنها امرأة حقيقية.

- لكنها كانت امرأة حقيقية فعلاً يا صديقي، ونحن نعرف كل شيء عن حياتها الماضية.

- لم نعرف أنها تستطيع قتل أحد، وهو ما يبدو واضحاً الآن. سيلفيا لم تقتل مابيل... مابيل هي التي قتلت سيلفيا.

هز هيركيول بوارو رأسه منزعجاً؛ فهو ما زال يرى من الصعب ربط سينسبري سيل بجريمة قتل، ومع ذلك تذكر السيد بارنز وهو يتكلم بنبرة هادئة ساخرة وهو يقول: ابحث بين الناس المحترمين. وقد كانت مابيل سينسبري سيل امرأة محترمة جداً!

قال جاب مشدداً: سأكشف هذه القضية يا بوارو. تلك المرأة لن تقهرني.

* * *

في اليوم التالي اتصل جاب وكانت نبرة صوته غريبة. قال: بوارو، هل تريد سماع خبر؟ اغسل يديك يا عزيزي، اغسل يديك!

- عفواً؟ الصوت غير واضح، لا أسمعك جيداً...

- انتهى الأمر. اغسل يديك من هذه القضية... تمدد مسترخياً وطقطق أصابعك!

كانت المرارة قد غدت واضحة في صوت جاب. ذُعر بوارو وقال: ما الذي انتهى؟

- كل هذه القصة! وكل تلك الجهود، والبحث... كل شيء!

- لكني ما زلت لا أفهم.

- حسناً، اسمعني. اسمعني باهتمام لأني لا أستطيع ذكر الأسماء؛ فأنت تعرف تحقيقاتنا؟ أنت تعرف أننا نمشط البلاد بحثاً عن تلك الممثلة؟

- نعم، نعم، تماماً. فهمت الآن.

- حسناً، لقد صدر أمر بالتوقف والتكتم على الأمر. أفهمت الآن؟

- نعم، نعم. ولكن لماذا؟

- أوامر من وزارة الخارجية.

- أليس ذلك غريباً جداً؟

- إنه يحدث من وقت لآخر.

- ولماذا عساهم يذهبون إلى هذا الحد في تبني الآنسة... أقصد الممثلة؟

- لا، إنهم لا يهتمون بها، إنما بسبب الفضيحة. إذا قدمت إلى المحاكمة فربما ينكشف الكثير فيما يتعلق بالسيدة «ت» صاحبة

الجثة، وهذا هو الجانب السري في الموضوع! لا أستطيع إلاّ أن أفترض أن ذلك بسبب زوجها ذاك. أتفهمني؟

- نعم، نعم.

- لا بد أنه في مكان ما في مهمة سرية ولا يريدون إفسادها.

- تشِه!

- ماذا تقول؟

- إنها -يا صديقي- صيحة انزعاج!

- آه! ظننتك مصاباً بالزكام وتعطس! إنه أمر مزعج فعلاً، بل هو أكثر من ذلك. إن ترك تلك المرأة تفلت دون عقاب يثير غضبي.

قال بوارو بهدوء: إنها لن تفلت.

- أقول لك إن أيدينا قد كُبلت.

- ربما كُبلت يداك أنت، أما أنا فلا!

- أيها العجوز بوارو! أأنت ماضٍ في الأمر إذن؟

- نعم، حتى الموت.

- حسناً، لا نريده أن يكون موتك أنت. إذا استمر هذا العمل كما بدأ فربما أُرسل لك أحدهم عنكبوتاً ساماً بالبريد!

وعندما وضع السماعة تساءل بوارو في سره: "لماذا استخدمت تلك العبارة العاطفية... «حتى الموت»؟ إنها سخيفة!".

* * *

جاءت الرسالة في بريد المساء. كانت مكتوبة على الآلة الطابعة ما عدا التوقيع، وكانت تقول:

"عزيزي السيد بوارو،

سأكون ممتناً لك كثيراً لو زرتني في أي وقت في الغد. ربما كانت لك عندي مهمة. أقترح أن يكون الموعد الساعة الثانية عشرة والنصف في منزلي في تشيلسي، وإذا كان ذلك لا يناسبك فأرجو أن تتصل بسكرتيري. أعتذر عن عدم إفساح وقت كافٍ لك.

المخلص: أليستير بلانت"

أعاد بوارو قراءة الرسالة من جديد، وفي تلك اللحظة رنّ جرس الهاتف.

كان بوارو قد اعتاد أحياناً تخيُّل أنه يعرف -من رنة جرس الهاتف- طبيعة المكالمة التي يحملها، وفي هذه المرة تأكد على الفور بأن المكالمة كانت مهمة. لم يكن الرقم خطأ، ولم يكن المتكلم واحداً من أصدقائه.

نهض ورفع سماعة الهاتف وقال بلهجته المهذبة الأجنبية: ألو؟

ردّ عليه صوت مجهول: ما هو رقمك من فضلك؟

- هذا وايتهول ٧٢٧٢.

سكت المتكلم وسمع بوارو ضجة ثم تكلم صوت. كان صوت امرأة: سيد بوارو؟

- نعم.

- السيد هيركيول بوارو؟

- نعم.

- يا سيد بوارو، لقد تسلمت لتوك، أو أنك ستتسلم تواً رسالة.

- من الذي يتكلم؟

- ليس ضرورياً أن تعرف.

- حسناً، لقد استلمت سبع رسائل في بريد المساء.

- إذن تعرف الرسالة التي أقصدها. من الحكمة -يا سيد بوارو- أن ترفض المهمة التي عرضت عليك.

- هذه مسألة أقررها بنفسي.

قالت صاحبة الصوت بفتور: إنني أُحذرك يا سيد بوارو؛ لن نتسامح مع تدخلك بعد الآن. ابق بعيداً عن هذا الأمر.

- وإن لم أبتعد عنه؟

- إذن فسوف نتخذ خطوات نتأكد معها أن تدخلك لم يعد يخيفنا.

- أهذا تهديد يا سيدتي؟!

- نحن نطلب منك أن تكون واعياً؛ إنه لمصلحتك أنت.

- هذه شهامة عظيمة منك!

- لا يمكنك تغيير مجرى الأحداث وتبديل ما تم ترتيبه؛ لذلك ابق بعيداً عما ليس من شأنك! هل تفهم؟

- آه، نعم، أفهم. لكني أعتبر أن وفاة السيد مورلي هي من شأني.

قالت المرأة بحدة: إن وفاة مورلي كانت مجرد حادثة. لقد تدخل في خططنا.

- لقد كان إنساناً يا سيدتي.

- لم يكن ذا أهمية.

كان صوت بوارو خطراً وهو يقول بهدوء شديد: أنت مخطئة في هذا.

- كانت غلطته؛ رفض أن يكون عاقلاً.

- أنا أيضاً أرفض أن أكون عاقلاً.

- إذن فأنت أحمق.

سمع بوارو على الطرف الآخر بعض الضجة عندما كانت تضع السماعة. قال: "ألو؟"، ثم وضع سماعته بعد ذلك. لم يتعب نفسه

في الطلب من عامل البدالة تتبع الرقم الذي اتصلت منه؛ فقد كان متأكداً تماماً من أن المكالمة جاءت من هاتف عمومي.

إن ما أثاره وحيّره هو حقيقة أنه سمع هذا الصوت في مكان ما من قبل. أجهد نفسه في محاولة تذكر صاحبة الصوت، هل يمكن أن يكون صوت الآنسة سينسبري سيل؟ حسبما يتذكره، كان صوت مابيل سينسبري سيل رفيعاً عالياً ومتكلّفاً إلى حدٍّ ما مع ميل للتشديد على الكلمات، أما هذا الصوت فكان مختلفاً تماماً، ومع ذلك ربما يكون صوت الآنسة سينسبري سيل بعدما حاولت إخفاءه. لقد كانت ممثلة في زمانها، وهي تستطيع تغيير صوتها بسهولة تامة. كان جرس الصوت الفعلي يشبه نوعاً ما صوتها الذي يتذكره، لكنه لم يكن مقتنعاً بذلك التفسير. لا، إنه صوتٌ ذكّره بامرأة أخرى غيرها. لم يكن صوتاً يعرفه جيداً، لكنه ما زال متأكداً تماماً من أنه سمعه من قبل مرة إن لم يكن مرتين.

تساءل في نفسه: لماذا تتعب نفسها وتتصل به وتهدده؟ هل يعتقد هؤلاء الناس حقاً أن التهديد يمكن أن يردعه؟ واضحٌ أنهم يظنون ذلك. يا لجهلهم بأصول علم النفس!

* * *

حملت الصحف الصباحية بعض الأخبار المثيرة. أُطلق الرصاص على رئيس الوزراء عندما كان خارجاً من مبنى رئاسة الوزراء مع صديق له مساء الأمس. ولحسن الحظ ذهبت الرصاصة بعيداً عن الهدف، وقد أُلقي القبض على الفاعل وهو رجل هندي.

بعدما قرأ بوارو هذا الخبر أسرع بسيارة أجرة إلى سكوتلانديارد حيث صعد إلى غرفة جاب. حيّاه جاب بحرارة.

- آه، إذن فقد أحضرك الخبر مباشرة. هل ذكرت الصحف من هو « الصديق» الذي كان خارجاً مع رئيس الوزراء؟

- لا، ومن هو؟

- أليستير بلانت.

- حقاً؟

- لذلك لدينا كل الأسباب التي تحملنا على الاعتقاد بأن المستهدَف بهذه الرصاصة هو بلانت وليس رئيس الوزراء، إلاّ إذا كان ذلك الرجل المعتدي لا يفقه شيئاً في التصويب على الإطلاق!

- من الذي أطلق الرصاص؟

- طالب هندي مجنون، غرٌّ كالعادة، لكنه كان مبرمَجاً للقيام بذلك... لم تكن فكرته.

ثم أضاف جاب: عملٌ جيدٌ أن يمسكوا به. توجد في العادة مجموعة صغيرة تراقب مبنى رئاسة الوزراء. عندما أُطلقت الرصاصة أمسك شاب أمريكي برجل صغير ذي لحية. أمسك به بقوة وصاح بالشرطة منادياً بأنه أمسك الرجل. وفي غضون ذلك حاول الهندي الفرار بهدوء، لكن واحداً من رجالنا أمسك به.

سأله بوارو بفضول: من كان ذلك الأمريكي؟

- شاب اسمه رايكز. لماذا...؟

سكت فجأة وهو يحدق إلى بوارو: ماذا في الأمر؟

قال بوارو: هاوارد رايكز، الذي يقيم في فندق هولبورن بالاس؟

- هذا صحيح. من... بالطبع! لقد خطر لي أن هذا الاسم مألوف لدي؛ إنه المريض الذي هرب ذلك الصباح عندما انتحر مورلي.

سكت ثم قال ببطء: عجيب... كيف أن ذلك الحادث القديم يبرز فجأة كل مرة. أظنك ما زلت تحتفظ بأفكارك عن الحادث يا بوارو، أليس كذلك؟

رد عليه بوارو بجدية: بلى، ما زلت أحتفظ بأفكاري.

* * *

استُقبل بوارو في البيت القوطي من قبل السكرتير الذي كان شاباً طويل القامة هزيلاً لبق التصرف.

مضى يعتذر لبوارو: إني آسف يا سيد بوارو، وكذلك السيد بلانت. لقد استدعي إلى رئاسة الوزراء نتيجةً لهذا الحادث الذي وقع الليلة الماضية. لقد اتصلت بك في شقتك، لكنك كنت قد خرجت لسوء الحظ.

أكمل الشاب حديثه بسرعة: لقد كلفني السيد بلانت بأن أسألك إن كان بإمكانك قضاء عطلة نهاية الأسبوع معه في بيته في كنت، في بلدة إيكسهام. إذا وافقت فسوف يمر بك بسيارته مساء الغد.

تردد بوارو في الإجابة، فقال الشاب محاولاً إقناعه: إن السيد بلانت مهتم جداً برؤيتك.

أومأ بوارو احتراماً وقال: شكراً لك، أنا موافق.

- آه، هذا رائع؛ سيفرح السيد بلانت كثيراً. إذا ما مرّ بك في الساعة السادسة إلاّ ربعاً فهل سيكون... آه، صباح الخير سيدة أوليفيرا.

كانت والدة جين أوليفيرا قد دخلت لتوها وهي تلبس ثياباً أنيقة وقبعتها فوق عينيها.

- آه، سيد سيلبي، هل أعطاك السيد بلانت أي تعليمات بخصوص كراسي الحديقة تلك؟ كنت أريد الحديث معه الليلة الماضية بخصوصها لأنني عرفت أننا سنذهب في عطلة نهاية الأسبوع و...

انتبهت السيدة أوليفيرا لوجود بوارو فسكتت.

سأل السكرتير: هل تعرف السيدة أوليفيرا يا سيد بوارو؟

قال بوارو وهو ينحني لها احتراماً: لقد تشرفت بمقابلة السيدة من قبل.

قالت السيدة أوليفيرا بأسلوب غامض: آه؟ تشرفنا. إنني أعرف بالطبع يا سيد سيلبي أن أليستير رجل مشغول جداً وأن هذه الأمور المنزلية الصغيرة يمكن أن لا تكون مهمة.

قال السكرتير القدير: لا بأس عليك سيدة أوليفيرا. لقد حدثني عنها وقد اتصلت بشركة ديفز بخصوصها.

- حسناً، هذا عبء كبير قد أُزيح عن كاهلي. هل تخبرني يا سيد سيلبي...

بدأت السيدة أوليفيرا تثرثر، وأحسّ بوارو أنها أشبه بدجاجة؛ دجاجة كبيرة سمينة! ثم قالت السيدة أوليفيرا وهي تمشي بجلال نحو الباب: وإذا كنت متأكداً تماماً بأننا سنكون وحدنا في عطلة نهاية الأسبوع هذا...

سعل السيد سيلبي محرجاً وقال: السيد بوارو سيكون معنا في نهاية الأسبوع.

توقفت السيدة أوليفيرا. التفتت ونظرت إلى بوارو باستياء واضح وقالت: أحقاً هذا صحيح؟

قال بوارو: لقد تلطف السيد بلانت ودعاني.

- جيد. ترى... لماذا، إنه تصرف غريب من أليستير. أرجو المعذرة يا سيد بوارو، ولكن السيد بلانت أخبرني بأنه يريد قضاء عطلة عائلية هادئة!

قال سيلبي جازماً: السيد بلانت مهتم تحديداً بحضور السيد بوارو.

- آه، حقاً؟ لم يذكر ذلك لي.

فُتح الباب. وقفت جين عند المدخل وقالت وقد نفد صبرها: أمي، ألن تأتي؟ إن موعد الغداء الساعة الواحدة والربع!

- أنا قادمة يا جين، لا تفقدي صبرك.

- حسناً، هيا تحركي أرجوك... مرحباً يا سيد بوارو.

جمدت مكانها فجأة وتجمد معها إلحاحها، وبدت عيناها أكثر احتراساً.

قالت السيدة أوليفيرا بصوت فاتر: السيد بوارو سيأتي إلى إيكسهام لقضاء العطلة معنا.

- آه... فهمت.

تراجعت جين لتفسح الطريق لأمها لكي تخرج، وعندما استدارت لتتبع أمها التفتت إلى الوراء ثانية وقالت: سيد بوارو!

كان صوتها آمراً. جاء بوارو ناحيتها فقالت بصوت منخفض: هل أنت قادم معنا إلى إيكسهام؟ لماذا؟

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال: إنها فكرة طيبة من عمك.

قالت جين: لكنه لا يمكن أن يعرف. لا يمكن... متى طلب منك ذلك؟ آه، لا حاجة...

- جين!

كانت أمها تناديها من الصالة. قالت جين بنبرة منخفضة مُلحّة: "ابق بعيداً. أرجوك، لا تحضر."، ثم خرجت.

سمع بوارو أصوات مشادة كلامية في الصالة. سمع السيدة أوليفيرا تتذمر وتهذر بصوتها العالي قائلة: لن أتسامح مع وقاحتك يا جين. سأتخذ خطوات لأضمن عدم تدخلك...

قال السكرتير: إذن غداً قبل السادسة بقليل يا سيد بوارو؟

أومأ بوارو موافقاً بإيماءة آلية. كان يقف مثل رجل رأى شبحاً، ولكن السبب في ذلك كان ما تسمعه أذناه لا ما تراه عيناه.

جملتان من ضمن الكلام الذي وصل إلى مسامعه من خلال الباب المفتوح كانتا مطابقتين تقريباً لما سمعه الليلة الماضية عبر الهاتف، وعرف لماذا كان ذلك الصوت مألوفاً لديه بعض الشيء.

وبينما كان خارجاً إلى أشعة الشمس هز رأسه مشدوهاً. السيدة أوليفيرا؟

لكن ذلك مستحيل! لا يمكن أن تكون السيدة أوليفيرا هي التي تحدثت معه عبر الهاتف! سيدة المجتمع تلك، الحمقاء الغبية، الأنانية اللاهية التي لا تهتم إلاّ بنفسها؟ ما الذي قاله في نفسه عنها قبل قليل؟

قال هيركيول بوارو: تلك الدجاجة السمينة؟ هذا سخيف!

قرر في نفسه أن أذنيه قد خدعتاه دون ريب، ومع ذلك...

* * *

جاءت سيارة الرولز لتقلّ بوارو قبل السادسة بقليل. كان في السيارة فقط أليستير بلانت وسكرتيره، ويبدو أن السيدة أوليفيرا وجين قد ذهبتا قبلهما في سيارة أخرى. كانت الرحلة خالية من الأحداث. تحدث بلانت قليلاً وكان معظم حديثه عن حديقته وعن عرض حديث لأعمال البستنة.

هنأه بوارو على نجاته من الحادث الذي تعرض له، الأمر الذي اعترض عليه بلانت قائلاً: آه، ذاك! لا تظنّ أن الرجل كان يريد قتلي على وجه الخصوص. على أية حال فإن ذلك الفتى المسكين لم يكن يعرف التصويب جيداً؛ إنه مجرد واحد من أولئك الطلبة نصف المجانين! لا ينتج عنهم -في الواقع- ضرر كبير، تأخذهم الحماسة فقط ويتخيلون أن طلقة تطلق كيفما اتفق على رئيس الوزراء ستغير مجرى التاريخ. إنه أمر يدعو للإشفاق حقاً!

- لقد وقعت محاولات اعتداء على حياتك غير هذه، أليس كذلك؟

قال بلانت وهو يرفرف بجفنيه ارتباكاً: يبدو هذا الأمر خيالياً مضحكاً؛ فقد أرسل لي أحدهم قنبلة عن طريق البريد قبل مدة قصيرة، ولكنها لم تكن قنبلة فعّالة كثيراً. هؤلاء الناس الذين يريدون

تولي إدارة العالم... أي كفاءة تلك التي سيظهرونها وهم لا يستطيعون تركيب قنبلة فعالة؟!

هز رأسه أسفاً وقال: دائماً نفس الشيء. أشخاص مثاليون ذوو شعر طويل ليست لديهم أية تجربة عملية أو أفكار. لست بالرجل الذكي، ولم اكن ذكياً أبداً، لكنني أعرف القراءة والكتابة والحساب. أتعرف ما أعنيه بهذا؟

- أظن ذلك، ولكن اشرح لي أكثر.

- إذا قرأت شيئاً مكتوباً فإنني أستطيع فهم ما يعنيه. إنني لا أتحدث عن مسائل صعبة كالمعادلات والفلسفة، إنما العبارات العادية البسيطة. إن معظم الناس لا يفهمون ذلك! وإذا أردت كتابة شيء أستطيع كتابة ما أعنيه، وقد اكتشفت أن كثيراً من الناس لا يستطيعون فعل ذلك أيضاً! وكما قلت: أستطيع فهم المسائل الحسابية البسيطة. لو كان مع جونز سبع موزات وأخذ براون منه عشر موزات فكم يتبقى لجونز؟ هذه هي المسائل التي يزعم كثير من الناس أن لها إجابة بسيطة. إنهم لا يعترفون -ابتداءً- بأن براون لا يمكنه فعل ذلك، ثم لن يكون عدد الموزات المتبقية عدداً موجباً!

- إنهم يفضلون أن يكون في الإجابة خدعة سحرية ما، أليس كذلك؟

- بالضبط، والسياسيون على نفس الدرجة من السوء. ولكنني كنت أطلب دوماً الأحكام البسيطة للمنطق السليم والفطرة السوية، فذلك ما لا تستطيع التغلب عليه في نهاية الأمر.

ثم أضاف وهو يضحك خجلاً: يجب أن لا أتحدث عن نفسي بإطراء. إنها عادة سيئة، وإضافة إلى ذلك أحب ترك أمور عملي ورائي عندما أخرج من لندن. كنت أتطلع -يا سيد بوارو- إلى سماع بعضٍ من مغامراتك. لقد قرأت الكثير من القصص البوليسية والمثيرة، ولكن هل تعتقد أن من هذه القصص ما هو واقعي؟

دار الحديث في بقية الرحلة حول قضايا هيركيول بوارو الأكثر إثارة، وقد بدا أليستير بلانت متحمساً ومهتماً بالتفصيلات كأنه صبي مدرسة.

هذا الجو البهيج قابله فتور عند الوصول إلى إيكسهام حيث أظهرت السيدة أوليفيرا استياءً وفتوراً، وقد تجاهلت بوارو قدر الإمكان موجِّهة حديثها كله لمضيفها وللسيد سيلبي.

رافق السيد سيلبي بوارو إلى غرفته. وقد كان المنزل جميلاً متوسط الحجم، وكان مؤثثاً بنفس ذلك الذوق الرفيع الممتاز الذي لاحظه بوارو على البيت الموجود في لندن. كل شيء كان غالي الثمن لكنه بسيط، وكان الأمر الوحيد الذي يشير إلى الثروة الطائلة في هذا الأثاث هو السلاسة التي تم من خلالها تقديم تلك البساطة الظاهرة. أما الخدمة فكانت محل إعجاب؛ فالطعام الإنكليزي أثار إعجاب بوارو، وقد تناول القوم حساءً لذيذ المذاق وسمكاً مشوياً ولحم ضأن وبازلاء خضراء وفراولة وحلوى.

استمتع بوارو بأكل هذه الأصناف مما صرف اهتمامه عن المعاملة الباردة التي يلقاها من السيدة أوليفيرا وعن تلك الوقاحة

من ابنتها. كانت جين تنظر إليه نظرات عداء واضحة لسبب لا يعرفه، وتساءل بوارو -عند انتهاء العشاء- عن السبب!

سأل بلانت وهو ينظر إلى الطاولة نظرات فضولية: ألن تتعشى هيلين معنا هذه الليلة؟

قالت جوليا أوليفيرا وقد زمّت شفتيها: أظن أن هيلين قد أجهدت نفسها في عمل الحديقة، وقد نصحتها بالذهاب إلى النوم والراحة بدلاً من أن تشغل نفسها باللبس والمجيء إلى هنا، وقد تفهمت نصيحتي تماماً.

بدا بلانت غامضاً ومتحيراً بعض الشيء. قال: فهمت. رأيت أن حضورها معنا قد يشكل نوعاً من التغيير خلال عطلات نهاية الأسبوع.

قالت السيدة أوليفيرا بحزم: هيلين انسانة بسيطة، وهي تحب النوم مبكراً.

عندما انضم بوارو إلى السيدتين في غرفة الاستقبال وتخلف بلانت بضع دقائق في حديث مع سكرتيره سمع أوليفيرا تقول لأمها: العم أليستير لم تعجبه تلك الطريقة الباردة التي صرفت بها هيلين مونترسور يا أمي.

ردت عليها السيدة أوليفيرا بغلظة: هراء! أليستير أطيب مما ينبغي. لا بأس أن يحسن المرء إلى الأقارب الفقراء، وقد كان لطفاً منه أن يسكنها في الكوخ مجاناً دون أجرة، ولكن التفكير بأن عليه دعوتها إلى البيت لتناول العشاء كلما جاء هنا لقضاءِ عطلةٍ أمرٌ

سخيف! إنها لا تعدو كونها ابنة عم بعيدة، ولا أظن أن شيئاً كهذا ينبغي أن يفرض على أليستير.

- أظن أنها تعتز بنفسها... إنها تعمل الكثير في الحديقة.

قالت أمها: "هذه علامة على نفسية جيدة. إن الإسكتلنديين استقلاليون جداً، والمرء يحترمهم على ذلك". ثم جلست على الأريكة وقالت وهي ما زالت متجاهلة بوارو: أحضري لي تلك المجلة يا عزيزتي، ففيها خبر أريد أن أقرأه.

ظهر أليستير بلانت عند الباب وقال: والآن يا سيد بوارو، تفضل معي إلى غرفتي.

كانت غرفة أليستير بلانت الخاصة غرفة طويلة منخفضة السقف في مؤخرة المنزل ولها نوافذ تفتح على الحديقة، وكانت غرفة مريحة ذات مقاعد وثيرة، وبها شيء بسيط من قلة الترتيب المحببة التي تجعلها توحي بالحياة. (ولكن من نافلة القول الإشارة إلى أنه كان من شأن هيركيول بوارو أن يفضل غرفة ذات تناسق أدق وأكبر!).

بعد أن رحب أليستير بلانت بضيفه وأشعل غليونه دخل في الموضوع مباشرة وببساطة. قال: أنا غير راضٍ عن كثير من الأمور. إنني أعني -بالطبع- تلك المرأة، سينسبري سيل، فلقد أوقفت السلطات المعنية -لأسباب خاصة بها، أسباب لا شك أنها وجيهة- عملية البحث عن القاتل. أنا لا أعرف من يكون ألبرت تشابمان هذا أو ماذا يفعل. كائناً ما كان ذلك الأمر، فهو أمر حيوي وهو عمل قد يوقعه في ورطة شديدة. لا أعرف بواطن هذا العمل وظاهره لكن

رئيس الوزراء اكتفى بالقول إنهم لا يستطيعون السماح بأية دعاية أو فضيحة بخصوص هذه القضية وأنه كلما نسيها العامة أسرع كلما كان ذلك أفضل. لا بأس بهذا. هذه هي النظرة الرسمية وهم يعرفون ما هو ضروري، ولذلك فقد كُفّت يد الشرطة عن هذا الأمر.

مال بجسده إلى الأمام وقال: لكني أريد أن أعرف الحقيقة يا سيد بوارو، وأنت الرجل الذي سيكشفها لي؛ فأنت لا تقيدك الرسميات.

- وماذا تريدني أن أفعل يا سيد بلانت؟

- أريدك أن تعثر على هذه المرأة، سينسبري سيل.

- حية أم ميتة؟

دهش أليستير بلانت وقال: أتظن أنها ربما كانت ميتة؟

سكت بوارو قليلاً ثم قال بصوت بطيء وهادئ: إن كنت تريد رأيي، وهو مجرد رأي، فإنني أظن أنها ميتة.

- ولماذا تظن ذلك؟

ابتسم هيركيول بوارو ابتسامة خفيفة وقال: لن تصدقني إذا قلت لك إن السبب هو زوج من الجوارب غير المستعملة وجدته في أحد الأدراج.

حدّق بلانت إليه بفضول وقال: أنت غريب يا سيد بوارو.

- أنا غريب جداً. هذا يعني أنني إنسان منهجي ومنظم

ومنطقي، ولا أحب تشويه الحقائق لتأييد نظرية ما... ذلك ما أجده غير طبيعي!

قال أليستير بلانت: كنت أفكر في هذا الأمر كله. إن الوصول إلى حلول يقتضي مني دوماً الكثير من التفكير، وقد رأيت أن الأمر كله غريب! أقصد أن يقتل طبيب الأسنان نفسه، ثم هذه المرأة جثة معبأة في صندوق الفراء ووجهها مهشم. إنه عمل كريه جداً! إنني أشعر أن وراء هذا كله شيئاً ما.

أومأ بوارو موافقاً.

قال بلانت: كلما فكرت في هذا الأمر أكثر كلما ازدادت قناعتي أن هذه المرأة لم تكن تعرف زوجتي أبداً، كانت مجرد ذريعة لتتحدث معي. ولكن لماذا؟ ما الذي استفادته من ذلك؟ أقصد: غير مبلغ بسيط تبرعت به، وحتى ذلك التبرع كتبته باسم الجمعية وليس باسمها شخصياً. ومع ذلك أشعر أن... أن ذلك الشيء كان عملاً مخططاً له؛ أعني أن تقابلني على درجات مبنى العيادة. كله كان مدروساً ومؤقتاً توقيتاً دقيقاً يبعث على الريبة! ولكن لماذا؟ هذا ما أسأل به نفسي دائما... لماذا؟

- السؤال هو فعلاً: "لماذا؟". أنا أيضاً أسأل نفسي ولا أستطيع أن أجد جواباً... لا أستطيع.

- أليست لديك أي أفكار عن هذا الموضوع؟

لوح بوارو بيده حيرة وقال: إن أفكاري عن الموضوع طفولية إلى أبعد حد. قلت في نفسي إنها ربما كانت حيلة لكي تدل شخصاً

آخر عليك، لكن هذه أيضاً فكرة سخيفة؛ فأنت رجل معروف جداً. وعلى أية حال كان الأسهل لها أن تقول لمثل ذلك الشخص: "انظر، ها هو. ذلك الرجل الذي دخل الآن من الباب".

- مهما يكن الأمر، لماذا يريد شخص ما أن يعرفني؟

- يا سيد بلانت، عد بتفكيرك إلى الوراء، إلى ذلك الصباح وأنت جالس على كرسي العلاج عند طبيب الأسنان. ألم يقل مورلي شيئاً رأيته غير عادي؟ ألا يوجد شيء تستطيع أن تتذكره يمكن أن يساعدنا في حل هذا اللغز؟

حاول أليستير بلانت أن يتذكر، ثم هز رأسه وقال: أنا آسف. لا أتذكر أي شيء.

- هل أنت متأكد تماماً من أنه لم يذكر اسم هذه المرأة... الآنسة سينسبري سيل؟

- نعم، لم يذكرها.

- أو المرأة الأخرى، السيدة تشابمان؟

- لا... لا. لم نتكلم عن الناس أبداً. تكلمنا عن الورود وعن حاجة الحدائق للمطر، وعن العطل. لا شيء آخر.

- ألم يأت إلى الغرفة أحد وأنت هناك؟

- دعني أتذكر. لا أظن ذلك. أتذكّر في مرات سابقة أنني رأيت عنده فتاة شقراء، لكنها لم تكن هناك في تلك المرة. آه، أتذكّر

أن طبيب أسنان آخر دخل علينا. ذلك الرجل الذي يتكلم بلهجة أيرلندية.

- ماذا قال أو فعل؟

- سأل السيد مورلي سؤالاً وخرج مرة أخرى. أظن أن مورلي أجابه باقتضاب، فلم يمكث سوى دقيقة واحدة أو قريباً من ذلك.

- ألا يوجد شيء آخر تتذكره؟ لا شيء أبداً؟

- لقد كان مورلي طبيعياً تماماً.

قال هيركيول بوارو متأملا: أنا أيضاً وجدته طبيعياً تماماً.

سكت الرجلان طويلاً، ثم قال بوارو: هل تتذكر -يا سيدي- شاباً كان في قاعة الانتظار في الطابق السفلي معك ذلك الصباح؟

قطب أليستير بلانت حاجبيه وهو يتذكر، ثم قال: نعم، كان هناك شاب، وكان قلقاً متململاً. ومع ذلك لا أتذكره على وجه الخصوص. لماذا؟

- هل تعرفه إذا رأيته ثانية؟

هز بلانت رأسه نافياً وقال: لم أكد ألقي عليه نظرة واحدة.

- ألم يحاول الحديث معك أبداً؟

- لم يفعل.

نظر بلانت إلى بوارو بفضول واضح ثم سأله: ما الأمر؟ من يكون هذا الشاب؟

- اسمه هوارد رايكز.

تأمله بوارو بانتباه ليرى رد فعله لكنه لم يرَ شيئاً.

- هل يُفترض أن أعرف اسمه؟ هل التقيت به في مكان آخر؟

- لا أظن أنك قابلته. إنه صديق قريبتك، الآنسة أوليفيرا.

- آه، واحد من أصدقاء جين.

- أظن أن أمها لا توافق على هذه العلاقة بينهما.

قال أليستير بلانت وهو شارد الذهن: لا أظن أن ذلك مما تأبه له جين أبداً.

- إن أمها تعتبر هذه العلاقة من الخطورة بحيث أحضرت ابنتها من الولايات المتحدة من أجل إبعادها عن هذا الشاب.

أظهرت ملامح بلانت استيعاباً جديداً للموضوع، وقال: آه! إنه ذلك الشاب إذن، أليس كذلك؟

- آها، ها قد زاد اهتمامك بالأمر الآن.

- أظن أنه شاب كريه جداً من كل النواحي، وهو متورط في كثير من الأعمال التخريبية.

- علمت من الآنسة أوليفيرا أنه أخذ موعداً مع الطبيب ذلك اليوم حتى يراك.

- حتى يحاول حملي على الموافقة عليه؟

- لا... علمت أن الغرض هو إقناعه هو بالموافقة عليك.

- يا لها من وقاحة!

أخفى بوارو ابتسامة وقال: يظهر أنه يراك مثالاً لكل ما يكرهه ويعارضه.

- إنه -بالتأكيد- من النوع الذي أكرهه أنا وأعارضه! يقضي وقته في الخطابة والتبجح بدلاً من العمل الكريم!

سكت بوارو قليلا ثم قال: هل تعذرني إن سألتك سؤالاً شخصياً خارجاً عن الموضوع؟

- سل ما بدا لك.

- في حال وفاتك كيف ستوزع تركتك؟

حدق بلانت إليه وقال بحدة: لماذا تريد معرفة ذلك؟

ضمّ بوارو كتفيه حيرة وقال: لأن الأمر قد يكون مرتبطاً بهذه القضية.

- هراء!

- ربما... وربما لا.

قال أليستير بلانت بفتور: أظن أنك تبالغ في الأمور من غير ضرورة يا سيد بوارو... أنا لم يحاول أحد قتلي.

- رغم تلك القنبلة على طاولة إفطارك، والطلقة في الشارع؟

- آه، تلك! أي رجل يتعامل بالمال على المستوى العالي وبهذا الحجم معرض لهذا النوع من العمل من رجل معتوه مخبول!

- ربما تكون قضية رجل غير معتوه ولا مخبول.

حدّق به بلانت وقال: ما الذي ترمي إليه؟

- بصراحة، أريد معرفة الذين سيستفيدون من وفاتك.

عبس بلانت وقال: بشكل رئيس مستشفى سينت إدوارد، ومستشفى السرطان، والمعهد الملكي للمكفوفين.

- آه!

- إضافة إلى ذلك، فقد تركت مبلغاً من المال لابنة أخت زوجتي، السيدة جوليا أوليفيرا، ومبلغاً مساوياً له لابنتها، ولكن في رعاية قيّم. كما أنني تركت مبلغاً لا بأس به لقريبتي الوحيدة التي ما زالت على قيد الحياة، وهي ابنة عمي، هيلين مونترسور، التي تعيش دون عائل وتسكن في الكوخ الصغير التابع لهذا البيت.

سكت قليلاً ثم قال: هذا سر خاص بيني وبينك يا سيد بوارو.

- طبيعي يا سيدي، طبيعي.

أضاف أليستير بلانت ساخراً: يا سيد بوارو، لا أظنك تريد أن تقول إن أياً من جوليا أو جين أوليفيرا أو ابنة عمي هيلين مونترسور تخطط لقتلي من أجل المال؟

- أنا لا أقول شيئاً... أبداً.

هدأ غضب بلانت وقال: وهل ستساعدني بالمهمة الأخرى؟

- العثور على الآنسة سينسبري سيل؟ نعم، سأفعل.

- أنت رجل طيب.

* * *

عندما خرج بوارو من الغرفة كاد يصطدم بجين أوليفيرا خارج الباب. قال: أرجو المعذرة يا آنسة.

تنحّت جين أوليفيرا قليلاً وقالت: هل تعرف رأيي فيك يا سيد بوارو؟

- حسناً يا آنسة. إنني...

لم تمهله حتى يكمل لأن سؤالها لم يكن إلاّ مجازياً، فقد كانت جين أوليفيرا تريد أن تكمل هي قبل أن يجيبها.

- أنت جاسوس! جاسوس بائس حقير متطفل تدس أنفك في كل شيء وتثير المتاعب!

- أؤكد لك يا آنسة...

- أعرف تماماً ما تبحث عنه، وعرفت الآن الأكاذيب التي تقولها! لماذا لا تعلنها صراحة؟ حسناً، أريد أن أخبرك بأنك لن تكشف أي شيء... أي شيء أبداً؛ لأنه لا يوجد ما تكشفه! لا أحد

سيصيب شعرة من جسد عمي الغالي؛ إنه آمن جداً، وسيكون آمناً دائماً. سيبقى آمناً راضياً عن نفسه ناجحاً ومليئاً بكل ما هو مبتذل، وهو مجرد رجعي سخيف لا يملك ذرة من خيالٍ أو رؤى!

سكتت قليلاً ثم قالت وقد تعمّق صوتها الخشن وبدت كمن يلفظ سماً: "إنني أشمئز من النظر إليك... يا رجل التحري البرجوازي التافه الصغير!"، ثم ابتعدت عنه بسرعة.

بقي هيركيول بوارو ذاهلاً، عيناه مفتوحتان وحاجباه مرفوعان وأصابعه تمسّد شاربه بتأمل. اعترف بأن صفة «برجوازي» تنطبق عليه تماماً؛ فقد كانت نظرته إلى الحياة نظرة برجوازية من حيث الجوهر، وهي كانت كذلك دائماً. ولكن استخدام ذلك التعبير كتعبير احتقار من قبل جين أوليفيرا المتأنقة جداً جعله يغرق -غاضباً- في التفكير.

ذهب إلى غرفة الاستقبال وهو ما يزال يفكر. كانت السيدة أوليفيرا تلعب بورق اللعب، وعندما دخل بوارو رفعت بصرها بنظرة باردة كمن ينظر إلى خنفساء سوداء، ثم رمت ورقة لعب من يدها بلا اكتراث.

فكر بوارو بحزن: "للأسف، يبدو أن أحداً لا يحبني!"، ثم خرج من الباب الزجاجي إلى الحديقة. كانت أمسية خلابة جميلة ورائحة الأشجار تعبق في الهواء. استنشق بوارو الهواء سعيداً ومشى على ممر يحف به من الجانبين سياجان من الشجيرات.

استدار عند زاوية فقفز اثنان مبتعدين بعضهما عن بعض ولم

يستطع بوارو تحديد ملامحهما بسبب العتمة، وأحس كأنه قد قطع على عاشقين خلوتهما. أسرع بوارو وعاد من حيث أتى وقد بدا أن حضوره -حتى هنا في الخارج- لا يلقى ترحيباً.

مرّ أمام نافذة غرفة أليستير بلانت الذي كان يملي على سكرتيره رسالة. يبدو أنه لا يوجد إلاّ مكان واحد يمكن لهيركيول بوارو أن يلجأ إليه، وهكذا صعد إلى غرفة نومه، وهناك راح يتفكر ملياً في بعض المظاهر الغريبة للموقف.

هل أخطأ في الاعتقاد بأن ذلك الصوت الذي سمعه في الهاتف هو صوت السيدة أوليفيرا أم كان مصيباً؟ لا بد أن تلك الفكرة كانت سخيفة!

تذكر المعلومات والقصص الميلودرامية التي أفضى بها إليه ذلك الرجل الهادئ الضئيل، السيد بارنز، وفكر في المكان الغامض للسيد ألبرت تشابمان، وتذكر -بانزعاج- النظرات القلقة في عيني الخادمة أغنيس.

تمضي الأمور دائماً على نفس النمط... يخفي الناس معلومات! وعادة ما تكون أشياء غير مهمة، ولكن ما لم تتم إزاحتها عن الطريق فإنه من المستحيل السير قدماً في مسار مستقيم. وفي تلك اللحظة كان الطريق أبعد ما يكون عن الاستقامة!

والعقبة الأكثر غموضاً في طريق التفكير الواضح والتقدم المنظم هي ما وصفه -مع نفسه- بأنه المشكلة المتناقضة والمستحيلة

المتعلقة بالآنسة سينسبري سيل؛ لأنه إن كانت الحقائق التي لاحظها هيركيول بوارو صحيحة فإنه لا يوجد أي شيء ذو معنى!

ساءل بوارو نفسه والحيرة تلف تفكيره: "أتراني أصبحت شيخاً خَرِفاً؟".

* * *

الفصل السادس

بعد أن مر هيركيول بوارو بليلة متعبة نهض من نومه مبكراً في صباح اليوم التالي. كان الجو رائعاً، وخرج يمشي في نفس الطريق الذي سار فيه الليلة الماضية.

كان السياج الشجري بالغ الجمال، ورغم أن من شأن بوارو أن يفضل ترتيباً أكثر انتظاماً لمساكب الورد، إلا أنه أدرك بأنه أمام حديقة تمثل النمط الإنكليزي أصدق تمثيل.

شق طريقه خلال حديقة الورود واستمتع بمنظر مساكب الزهور الجميلة، ثم وصل أخيراً إلى حديقة المطبخ المحاطة بالجدران، وهناك شاهد امرأة قوية ذات شعر أسود ترتدي معطفاً تحته تنوره. كانت تتحدث بلهجة إسكتلندية متمهلة مشددة مع ما بدا أنه كبير البستانيين، ولاحظ بوارو أن الرجل غير مستمتع بالحديث، فقد كانت الآنسة هيلين مونترسور تتحدث بنبرة ساخرة. انسحب بوارو إلى طريق جانبي، وبدأ بستاني آخر يحفر بمعوله بقوة ونشاط عندما لاحظ بوارو، وكان بوارو قد لاحظه وهو يتكئ على معوله قبل ذلك.

اقترب بوارو منه، وكان الشاب يحفر بحماسة وظهره لبوارو الذي وقف يرقبه، ثم ما لبث أن قال له بلطف: صباح الخير.

تمتم الشاب بصوت خافت وهو ما يزال يعمل: صباح الخير يا سيدي.

دهش بوارو قليلاً؛ إذ رغم أن من شأن البستانيين -حسب خبرته- أن يحرصوا على الظهور بمظهر الجدية والعمل عند الاقتراب منهم، إلاّ أنهم -في العادة- أرغب ما يكونون بالتوقف وإضاعة الوقت عندما يخاطبهم المرء مباشرة.

أحس بوارو أن الأمر غير طبيعي بعض الشيء ووقف هناك بضع دقائق يرقب الشاب الكادح. هل يرى بوارو شيئاً مألوفاً في استدارة هذين الكتفين، أم أنه قد بدأ يعتاد على اعتبار أن الأصوات والأكتاف مألوفة لديه وهي في الحقيقة ليست كذلك؟ أتراه بدأ يشيخ ويخلط كما خشي بالأمس؟

عبر إلى الأمام خارجاً من الحديقة المسورة وهو يتأمل ثم توقف لينظر إلى منحدر مكسو بالأشجار في الخارج، وسرعان ما استدار ليتسلق سور الحديقة ويسرع في النظر -بكثير من الاهتمام- إلى وجه ذلك البستاني الشاب الذي كان قد توقف في تلك اللحظة عن الحفر وأخذ يمسح العرق عن وجهه بكمّه.

أنزل بوارو رأسه بهدوء خلف سور الحديقة وقال يحدث نفسه بصوت منخفض: أمر غريب ومثير جداً.

خرج من بين الشجيرات ونفض عن نفسه بعض الأوراق

والأتربة التي كانت تفسد أناقة مظهره. نعم، أمر غريب فعلاً ومثير أن يعمل فرانك كارتر (الذي قال إنه يقوم بعمل إداري في الريف) بستانياً في خدمة أليستير بلانت.

سمع هيركيول بوارو وهو يفكر في هذه الأمور صوت الجرس من بعيد فعاد أدراجه إلى البيت، وفي الطريق صادف مضيفه وهو يتحدث مع الآنسة مونترسور التي كانت قد خرجت لتوها من باب بعيد في حديقة المطبخ.

ارتفع صوتها واضحاً مميزاً: هذا لطف منك يا أليستير، ولكني أفضّل عدم قبول أية دعوات هذا الأسبوع وأقاربك الأمريكان معك!

قال بلانت: إن جوليا امرأة غير لبقة، لكنها لا تقصد...

قالت الآنسة مونترسور بهدوء: أعتقد أن تصرفها معي وقح جداً، ولن أتحمل الوقاحة، سواء من امرأة أمريكية أو من غيرها!

ذهبت الآنسة مونترسور وجاء بوارو فرأى أليستير بلانت خانعاً كما يبدو معظم الرجال عندما يقعون في مشكلات مع قريباتهم. قال أليستير باكتئاب: حقاً إن النساء متعبات! صباح الخير يا سيد بوارو. أليس الجو رائعاً اليوم؟

عادا باتجاه البيت وقال بلانت وهو يتنهد: إنني أفتقد زوجتي!

وفي غرفة الطعام قال مخاطباً جوليا الشرسة: أخشى -يا جوليا- أن تكوني قد جرحت مشاعر هيلين.

قالت السيدة أوليفيرا عابسة: الإسكتلنديون حساسون دائماً.

بدا أليستير بلانت حزيناً.

قال هيركيول بوارو: لاحظت وجود بستاني شاب عندك، ولا بد أنك وظفته حديثاً كما أظن.

- نعم، إن بيرتون (وهو البستاني الثالث عندي) غادر قبل ثلاثة أسابيع فشغلنا هذا الشاب بدلاً منه.

- أتذكر من أين جاء؟

- لا أذكر في الواقع. ماك أليستر هو الذي عينه. أظن أن بعضهم طلب مني تجربته وقد أثنوا عليه كثيراً، ولقد دهشت نوعاً ما لأن ماك أليستر يقول إنه ليس جيداً في عمله ويريد طرده.

- ما هو اسمه؟

- داننغ أو سانبري... لا أذكر تماماً.

- أيوجد أي حرج إن سألتك كم تدفع له؟

- أبداً. أظن أنه يتقاضى جنيهين ونصفاً.

- ليس أكثر؟

- بالتأكيد ليس أكثر، بل ربما أقل قليلاً.

- هذا غريب جداً.

نظر إليه أليستير بلانت متسائلاً، لكن جين أوليفيرا غيّرت

مجرى الحديث وهي تخشخش بجريدة معها قائلة: يبدو أن كثيراً من الناس يستهدفون حياتك يا عم أليستير!

- آه، أنت تقرئين مناقشة البرلمان. لا بأس بهذا... إنه آرتشيرتن فقط! إنه دائماً يصارع طواحين الهواء، كما أن لديه أفكاراً مالية مجنونة تماماً. لو تركناه يطبق ما يريد لأفلست إنكلترا خلال أسبوع واحد.

قالت جين: ألا تريد أبداً أن تجرب شيئاً جديداً؟

- لن أجرب جديداً ما لم يكن أفضل من القديم يا عزيزتي.

- ولكنك لن ترى أبداً أن الجديد سيكون أفضل. ستقول دوماً: "هذا لن ينجح أبداً"، حتى دون أن تجربه.

- التجريبيون قد يسببون الكثير من الضرر.

- نعم، ولكن كيف يمكنك أن ترضى بالوضع الراهن؟ هذا التبذير والظلم وعدم المساواة؛ ينبغي وضع حد له.

- إننا -بشكل عام- نسير سيراً حسناً في هذا البلد يا جين.

قالت جين بحماسة: إن ما تحتاجون سماء جديدة وأرض جديدة. وأنت جالس هناك تستمتع بحياتك!

نهضت وخرجت من الباب الزجاجي إلى الحديقة، وظهر شيء من الدهشة وعدم الارتياح على أليستير وقال: لقد تغيرت جين كثيراً في الفترة الأخيرة. من أين تحصل على كل هذه الأفكار؟

قالت أمها: لا تهتم لما تقوله جين... إنها فتاة ساذجة، وأنت تعرف الفتيات في هذه السن وكيف يتحدثن كلاماً تافهاً لا معنى له.

- نعم، لكن جين كانت دوماً شابة ذكية صلبة الرأي.

- إنها مجرد موضة يا أليستير، هذه الأفكار منتشرة في البلد!

رد عليها بلانت: "نعم، إنها منتشرة بالتأكيد". وبدا قلقاً بعض الشيء.

نهضت السيدة أوليفيرا ففتح بوارو لها الباب، وخرجت بسرعة عابسة.

قال أليستير بلانت فجأة: أنا غير مرتاح لذلك! الجميع يقولون مثل هذا الهراء، وهو لا يعني أي شيء؛ فهو مجرد تبجح! أجد نفسي دائماً معارضاً لهذا الكلام: سماء جديدة وأرض جديدة... ماذا يعني هذا؟ هم أنفسهم لا يعرفون؛ تسحرهم الكلمات فقط!

ابتسم فجأة ابتسامة حزينة وهو يقول: إنني واحد من بقايا الحرس القديم.

قال بوارو بفضول: لو تمت... إزاحتك، فماذا سيحدث؟

- إزاحتي؟ يا لهذه الطريقة في تسمية الأمر!

ظهرت الجدية على وجهه فجأة ثم قال: سأقول لك ما الذي

سيحدث. كثير من الحمقى سيقومون بكثير من التجارب المكلفة جداً، وسيكون هذا نهاية الاستقرار؛ نهاية الفطرة السليمة والتفكير المنطقي؛ نهاية السيولة والسعة والرخاء. بل سيكون ذلك -في الواقع- نهاية إنكلترا هذه كما نعرفها.

أومأ بوارو برأسه. كان متعاطفاً أصلاً مع هذا المصرفي، وكان هو أيضاً يؤمن بالسيولة والسعة والرخاء. وبدأ يدرك -من زاوية جديدة- ما الذي يرمز إليه أليستير بلانت. لقد أخبره السيد بارنز، لكنه لم يكد يستوعب ذلك في حينها. وبشكل مفاجئ تماماً شعر بالخوف...

* * *

قال بلانت في وقت لاحق ذلك الصباح: لقد أنهيت رسائلي، وسأريك الآن حديقتي يا سيد بوارو.

خرج الرجلان معاً وبدأ بلانت يتحدث عن هوايته بحماسة. الحديقة الصخْرية بنباتاتها الجبلية النادرة كانت متعته الكبيرة، وأمضيا بعض الوقت وبلانت يدله على بعض النباتات النادرة التي يزرعها.

كان هيركيول بوارو يلبس أفضل حذاء جلدي عنده رغم بعض الضيق فيه، وكان يصغي إلى صاحبه صابراً وهو ينقل ثقله من قدم إلى الأخرى ويرفرف بجفونه، وقد جعلته حرارة الشمس يحس أن قدميه انتفختا كبالون داخل حذائه! ومضى مضيفه يتجول ويشرح. كان يُسمَع حولهما أزيز للنحل، وسمعا قربهما صوت طقطقة مقص الشجر وهو يشذب سياجاً شجرياً. كان الجو هادئاً ناعساً، وتوقف

بلانت عند نهاية الحديقة وهو ينظر وراءه، وكانت أصوات المقص قريبة جداً مع أن من يستعمله لم يكن بادياً للعيان.

قال بلانت: انظر إلى هذا الممر المشجر يا بوارو. إن القرنفل رائع هذه السنة؛ لا أظن أنني رأيته بمثل هذا الجمال من قبل. وهذه اللوبيناس الجميلة بألوانها الرائعة.

طَقّ... دوّت طلقةٌ كسرت حاجز الهدوء في ذلك الصباح. سُمع صوت أزيز في الهواء، والتفت أليستير بلانت مذعوراً إلى حيث كان يرتفع خيط باهت من الدخان من وسط نباتات السياج الشجري. علت صيحات غضب فجائية، وتحركت شجيرات الغار التي تشكل السياج بينما كان رجلان يتعاركان في داخلها.

علا صوت رجل أمريكي غاضب: "لقد أمسكت بك أيها الوغد الشقي! ألقِ هذا المسدس"، ثم خرج رجلان من بين الأشجار وهما يتعاركان. كان البستاني الشاب (الذي تظاهر ذلك الصباح بالكد والاجتهاد وهو يحفر) يتلوى مقاوماً المسكة المحكمة لرجل أطول منه بكثير.

عرف بوارو هذا الأخير على الفور، وكان قد خمّن هويته من صوته.

زمجر فرانك كارتر: اتركني، لست أنا! لم أفعل ذلك أبداً.

قال هوارد رايكز: آه، لا؟ أظن أنك كنت تطلق الرصاص على الطيور فقط!

توقف ناظراً إلى القادمين الجديدين وهو يقول: سيد بلانت؟

هذا الرجل أطلق لتوه رصاصة طائشة عليك، وقد أمسكت به متلبساً بالجريمة.

صاح فرانك كارتر: هذا كذب! كنت أقوم بتقليم أشجار السياج فسمعت طلقة ووقع المسدس تحت قدمي هنا. رفعته... وهو أمر طبيعي جداً، ثم انقض هذا الرجل عليّ.

قال هوارد رايكز عابساً: كان المسدس في يدك وكانت قد خرجت منه الرصاصة لتوها!

ثم قدّم المسدس لبوارو قائلاً: لنرَ ما سيقوله رجل التحري حول هذا الأمر! كنت محظوظاً عندما أمسكت بك في الوقت المناسب، أظن أن في مسدسك هذا عدة رصاصات أخرى.

تمتم بوارو قائلاً: بالضبط.

كان بلانت غاضباً. قال بحدة: والآن يا دانون... ما هو اسمك بالضبط؟

قاطعه هيركيول بوارو قائلاً: هذا الرجل أسمه فرانك كارتر.

التفت إليه كارتر هائجاً: إنك تقصدني منذ البداية، وقد جئت تتجسس عليّ يوم الأحد ذاك. تأكد أن هذا ليس صحيحاً؛ أنا لم أطلق عليه الرصاص أبداً.

قال بوارو بلطف: "إذن، في هذه الحالة، من الذي فعلها؟". ثم أضاف: ليس في المكان أحد غيرنا كما ترى.

* * *

جاءت جين أوليفيرا مسرعة وشعرها يتطاير وراءها. كانت عيناها متسعتين والخوف بادٍ فيهما، وقالت لاهثة: هوارد؟

قال هوارد رايكز بمرح: مرحباً يا جين. لقد أنقذت لتوي حياة عمك.

- آه! أحقاً ذلك؟

قال بلانت: "يبدو أن وصولك كان من حسن حظي يا..."، وتردد وهو يقول: يا سيد...

- إنه هوارد رايكز يا عم، وهو صديق لي.

نظر إليه بلانت، فابتسم وقال: آه، إذن فأنت صديق جين! أشكرك كثيراً.

جاءت أوليفيرا إلى المكان وهي تلهث وتنفث مثل آلة بخارية. قالت وهي على هذه الحالة: سمعت صوت طلقة. هل أليستير... آه!

نظرت إلى هوارد رايكز بنظرات خالية من التعبيرُ وقالت: أنت، كيف... كيف تجرؤ على ذلك؟

ردّت عليها جين بصوت هادئ: لقد أنقذ هوارد لتوه حياة العم أليستير يا أمي.

- ماذا؟ إنني... إنني...

- حاول هذا الرجل قتل العم أليستير وأمسك به هوارد وأخذ منه المسدس.

قال فرانك كارتر بعنف: أنتم كذابون... جميعكم.

قالت السيدة أوليفيرا وقد فغرت فاها دهشة: آه!

تطلّب منها الموقف بضع دقائق حتى استعادت وضعها الطبيعي. التفتت أولاً إلى بلانت: أليستير، عزيزي! يا له من عمل بغيض! الحمد لله أنك بخير. لا بد أنها صدمة مخيفة لك، أنا شخصياً أكاد أقع مغشياً علي. ترى... هل أحضر لك كأساً من الليمون؟

أسرع بلانت يقول: بالطبع، هيا نعُد إلى البيت.

أمسكت به من ذراعه واتكأت عليه بقوة، والتفت بلانت إلى بوارو وهوارد رايكز وقال: هلاّ أحضرتما هذا الرجل إليّ. سوف نتصل بالشرطة ونسلمه لهم.

فتح فرانك كارتر فمه لكنه لم يتفوه بكلمة، كان شاحباً كالموتى وركبتاه ترتجفان. اقتاده هاوارد بقسوة وقال: تعال معي، هيا.

تمتم فرانك كارتر بصوت أجش غير مقنع: هذا كله كذب...

نظر رايكز إلى بوارو وقال: لم يعد لديك الكثير مما يمكن أن تفاخر به كرجل تحرٍ ذائع الصيت! مالك لا تتبجح قليلاً الآن؟

- إنني أفكر يا سيد رايكز.

- أظن أنك بحاجة للتفكير؛ فربما فقدت وظيفتك نتيجة لهذا الحادث! إن أليستير لم ينجُ بفضلك أنت الآن.

- هذا هو ثاني عمل طيب تقوم به من هذا النوع يا سيد رايكز، أليس كذلك؟

- ما الذي تقصده؟

- بالأمس فقط أمسكت رجلاً اعتقدت أنه أطلق الرصاص على السيد بلانت ورئيس الوزراء؟

قال هوارد رايكز: نـ... نعم. يبدو أنها أصبحت عادة لديّ.

- ولكن يوجد فرق؛ فبالأمس لم يكن الرجل الذي أمسكت به هو الرجل الذي أطلق الرصاصة تلك. لقد أخطأت.

قال فرانك كارتر غاضباً: لقد أخطأ الآن أيضاً.

قال رايكز: اسكت أنت.

تمتم هيركيول بوارو مع نفسه: عجباً...

* * *

قطب هيركيول بوارو حاجبيه وهو ينظر إلى نفسه في المرآة ويعدل ربطة عنقه استعداداً للعشاء. لم يكن مقتنعاً، لكنه لم يستطع تفسير السبب؛ فقد كانت القضية -كما اعترف مع نفسه- واضحة جداً. لقد قبض على فرانك كارتر متلبساً بالجريمة فعلاً.

ولم تكن حيرته ناتجة عن إيمان خاص ببراءة فرانك كارتر أو عن محبة له؛ فقد أدرك أن كارتر شاب سيئ بالتأكيد. كان شاباً عدوانياً كريهاً، كما أن أقواله كلها ضعيفة إلى أبعد حد. هذه القصة حول تجنيده من قبل عملاء المخابرات السرية وعرضهم عليه وظيفة جيدة تقضي بأن يعمل بستانياً ويبلغ المخابرات عن كل ما يقوله أو يفعله البستانيون الآخرون... كانت قصة يسهل تفنيدها تماماً، ولم يكن لها أي أساس.

كانت واحدة من تلك القصص الساذجة الضعيفة التي رأى بوارو أن من شأن رجالٍ مثل كارتر أن يخترعوها، ولم يكن أي شيء ليُقال لدعم كارتر. لم يستطع تقديم أي تفسير، ما عدا زعمه بأن شخصاً آخر -دون ريب- هو الذي أطلق الرصاصة. وظل يكرر تلك الأقوال، مؤكداً أنها مسألة ملفقة.

لا، لم يكن ما يقال لمصلحة كارتر، سوى أنها تبدو مصادفة غريبة أن يكون هوارد رايكز موجوداً في تلك اللحظة بعد يومين من تواجده عندما أطلقت رصاصة طائشة أخرى على أليستير بلانت في مكان آخر.

ولكن يفترض عدم وجود شيء في ذلك. إن رايكز -بالتأكيد- لم يطلق تلك الرصاصة خارج مبنى رئاسة الوزراء، كما أن وجوده له ما يبرره؛ فقد جاء ليكون بجانب صديقته. كلا، لم يكن في قصته أي شيء بعيد الاحتمال.

ولحسن حظ هوارد رايكز فقد جاء الأمر لصالحه، فعندما ينقذ رجلٌ حياتك من الموت المحقق فإنك لا تستطيع منعه من دخول

البيت، بل إن أقل ما يمكنك أن تفعله هو إظهار الود وكرم الضيافة. كان واضحاً أن السيدة أوليفيرا لم يعجبها الأمر ولكن حتى هي لم تجد ما يمكن قوله في هذا الموقف. لقد ثبّت صديق جين غير المرغوب به قدميه في هذا البيت، وكان يعتزم البقاء هناك!

راقبه بوارو مراقبة المتأمل أثناء المساء. كان يؤدي دوره بقدر كبير من الدهاء؛ لم يتبجح بأية آراء هدامة، ولم يتحدث في السياسة، بل مضى يحدث قصصاً مسلية عن سفراته ورحلاته الجوالة إلى أماكن موحشة.

فكر بوارو في نفسه قائلاً: إنه لم يعد ذئباً. كلا، لقد لبس ثياب الحمل الوديع. ولكن ماذا يوجد تحت هذه الثياب؟ إني لأتساءل...

بينما كان بوارو يستعد للنوم في تلك الليلة سمع طرقات على الباب. صاح: "تفضل"، فدخل هوارد رايكز.

ضحك وهو ينظر إلى التعابير البادية على وجه بوارو وقال: هل فوجئت برؤيتي؟ كنت أرقبك طوال المساء، ولم تعجبني نظراتك إلي. كنت تفكر.

- ولماذا يضايقك هذا يا صديقي؟

- لا أعرف السبب، لكنه ما حدث. أظن أنك وجدت من العسير عليك فهم أمور معينة.

- صحيح؟ وفي هذه الحالة، ماذا؟

- قررت أنه من الأفضل لي أن أصارحك، أقصد بخصوص ما حدث بالأمس. كان ذلك عرضاً ملفقاً دون شك! كما ترى، فقد كنت أرقب سيادته وهو يخرج من مبنى رئاسة الوزراء ورأيت رام لال يطلق الرصاص عليه. إنني أعرف رام لال؛ وهو شاب لطيف، ينفعل قليلاً ولكنه بالغ الحساسية إزاء المظالم التي لحقت بالهند. لم يحدث أي أذى؛ فالرجلان المهمان لم يمسهما أي أذى، والرصاصة أخطأتهما أميالاً... وهكذا قررت عمل هذا العرض على أمل تبرئة ذلك الفتى الهندي. أمسكت برجل قصير رث الثياب كان بجانبي وصحت عالياً بأنني أمسكت بالمجرم على أمل أن ينصرف رام لال ويهرب، لكن رجال الشرطة السرية كانوا أذكياء جداً؛ فقد انقضوا عليه بلمح البصر. هذا ما حدث بالضبط، أفهمت؟

قال هيركيول بوارو: واليوم؟

- هذا أمر مختلف، فلم يكن في الأمر رام لال آخر اليوم. كان كارتر هو الرجل الوحيد في المكان، وهو الذي أطلق تلك الرصاصة دون شك! كان المسدس في يده عندما قفزت عليه، وأظنه كان يحاول إطلاق رصاصة ثانية.

- هل كنت مهتماً جداً بالحفاظ على سلامة السيد بلانت؟

ابتسم رايكز ابتسامه جذابة وقال: أترى ذلك غريباً بعض الشيء بعد كل ما قلته لك؟ آه، أعترف بهذا. أظن أن بلانت رجل ينبغي التخلص منه من أجل تقدم الإنسانية، ولكن لا يوجد شيء شخصي بيننا؛ فهو رجل لطيف على الطريقة الإنكليزية. نعم، أنا أعتقد أنه ينبغي أن يزول، ومع ذلك عندما أرى شخصاً يطلق عليه الرصاص

أقفز وأتدخل لحمايته. هذا يريك كيف أن الحيوان البشري غير منطقي. إنه جنون، أليس كذلك؟

- إن الهوة واسعة بين النظرية والتطبيق.

- نعم.

نهض السيد رايكز واقفاً. كانت ابتسامته مريحة وعفوية وهو يقول: فكرت بالمجيء لأشرح لك الأمر.

خرج وأغلق الباب وراءه بعناية.

* * *

صباح اليوم التالي رافق بوارو مضيفه بعد الإفطار إلى الحديقة، وخرج معهما السيد رايكز. وهناك كانت جين وأمها تتمشيان بين صفّي الأشجار في الممر، وكانت السيدة أوليفيرا تغني بصوت قوي تلك الأغنية الشعبية دون المحافظة على النغم وتقول: "نجّني -يا إلهي- واحفظني من الرجل الشرير". وكانت القسوة بادية في نطقها بتلك العبارة مما جعل بوارو يستنتج أن السيد هوارد رايكز هو الرجل الشرير الذي تعنيه.

ولكن لم يبدُ أن جين قد التفتت إلى شيء من هذا المعنى، فأكملت المقطع قائلة: "لقد شحذوا ألسنتهم كالأفاعي، سم الأفاعي في أفواههم". وردّت أمها بقوة: "احفظني يا الله من أيدي الأشرار. احمني من الأوغاد الذين يريدون تخريب مسيرتي".

أكمل هيركيول بوارو الأغنية بصوت جهوري: "لقد وضع لي

المغرور فخاً ونصب لي شبكة بحبال. نعم، ونصب الأشراك في طريقي...".

ظل فمه مفتوحاً. لقد فهم الأمر... رأى بوضوح الفخ الذي كاد يقع فيه قبل قليل!

ظل هيركيول بوارو ذاهلاً كمن أغشي عليه، فمه مفتوح وهو يحدق إلى الفراغ. ظل كذلك جامداً إلى أن شدته جين أوليفيرا من ذراعه وقالت بصوت حاد: "هيا بنا، إنهم يمشون".

مضى بوارو معها إلى حيث كان القوم يتحدثون، ولكنه لم يسمع من حديثهم أي شيء؛ فقد كان ذهنه مشغولاً بشكل محموم: فخ وضع بمكر... شبكة بحبال مفتوحة قليلاً عند قدميه... وحُفرة حُفرت له بحيث يتأكد وقوعه فيها. كان في حالة انبهار، انبهار شديد؛ حيث قفزت الحقائق غير المترابطة وحامت كزوبعة أمام ناظريه قبل أن تنتظم جميعها في أماكنها المحددة لها.

كل الحقائق تجمعت: إبزيم الحذاء، والجوارب من مقاس ١٠ بوصات، والوجه المهشم، والذوق الأدبي المتدني للخادم ألفريد، وأنشطة السيد أمبيريوتيس، والدور الذي لعبه السيد مورلي... كل تلك الحقائق حامت في دوامة ثم استقرت في نمط منسجم متماسك.

أصبح هيركيول بوارو ينظر إلى القضية لأول مرة من زاوية صحيحة. ثم مشى خلف القوم وكأنه كان يعيش حلماً.

* * *

الفصل السابع

- هل أنت السيد ريلي؟

التفت الشاب الأيرلندي جفلاً إلى صاحب الصوت الذي كان وراءه. كان يقف وراءه في الطابور في شركة الملاحة رجل صغير الحجم بشاربين كبيرين ورأس بيضوي. قال: ربما كنت لا تذكرني؟

- لقد ظلمت نفسك يا سيد بوارو؛ أنت رجل ليس من السهل نسيانه.

التفت إلى الوراء ليتكلم مع الكاتب الذي يجلس وراء الطاولة والذي كان ينتظر.

خاطبه بوارو قائلاً: هل أنت مسافر إلى الخارج في إجازة؟

- إنها ليست إجازة. وأنت يا سيد بوارو؟ أرجو أن لا تكون قد أدرت ظهرك لهذا البلد؟

قال هيركيول بوارو: أحياناً أعود إلى بلدي، بلجيكا، لقضاء فترة قصيرة.

أجابه السيد ريلي: أنا ذاهب أبعد من ذلك. إنني ذاهب إلى أميركا، ولا أحسب أنني سأعود.

- إنني آسف لسماع هذا الخبر يا سيد ريلي. إذن فأنت قد تخليت عن عملك في العيادة بشارع الملكة شارلوت.

- الأصح أن تقول إنها هي التي تخلت عني.

- حقاً؟ هذا محزن جداً.

- إنه لا يزعجني. عندما أفكر في الديون التي سأتركها ورائي دون أن أدفعها أحس أنني رجل سعيد.

ابتسم ابتسامة جذابة وقال: ليس أنا من يقتل نفسه بسبب مشكلات مالية، إن مبدئي هو ترك هذه المشكلات ورائي والبدء من جديد. لديّ مؤهلات، وهي مؤهلات جيدة حسب ظني.

تمتم بوارو: رأيت الآنسة مورلي قبل أيام.

- هل أسعدك ذلك؟ لا أظنه أسعدك؛ إنها امرأة بغيضة الوجه نكدة.

- هل توافق على حكم قاضي التحقيق بخصوص وفاة شريكك؟

ردّ عليه ريلي جازماً: كلا.

- ألا تعتقد إنه أخطأ في الحقنة؟

- لو كان مورلي قد حقن ذلك اليوناني بالكمية التي قالوا إنه حقنه بها فإما أنه كان ثملاً أو أنه أراد قتل الرجل، ولم يسبق لي أن رأيت مورلي سكران أبداً.

- إذن فأنت ترى أن الأمر متعمد؟

- لا أحب أن أقول هذا. إنه اتهام خطير، والصحيح أنني لا أصدق ذلك.

- لا بد من وجود تفسير.

- نعم، لا بد. لكني لم أفكر فيه بعد.

- متي كانت آخر مرة رأيت فيها السيد مورلي على قيد الحياة؟

- دعني أتذكر الآن، لقد مضى وقت طويل على تذكر شيء كهذا. ربما كان ذلك في الليلة التي سبقت وفاته، في نحو السابعة إلاّ ربعاً تقريباً.

- ألم تره في اليوم الذي قتل فيه؟

هز ريلي رأسه نافياً.

أصر عليه بوارو قائلاً: هل أنت واثق؟

- آه، لا أقول هذا. لكني لا أتذكر.

- ألم تدخل إلى غرفته -على سبيل المثال- في الساعة الحادية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة تقريباً، عندما كان لديه مريض؟

- أنت على حق. بلى، ذهبت إليه، وكنت أريد سؤاله سؤالاً فنياً بخصوص بعض الأدوات التي كنت أريد شراءها واتصلت بي الشركة بخصوصها. لكنني مكثت عنده دقيقة واحدة فقط، ولذلك فاتني تذكر ذلك، وكان عنده أحد المرضى في ذلك الوقت.

أومأ بوارو ثم قال: لديّ سؤال آخر كنت أريد سؤالك عنه دائماً. مريضك الذي تعالجه، السيد رايكز، أُلغي موعده بخروجه من العيادة. ماذا كنت تفعل خلال نصف الساعة التي كانت مخصصة لموعده؟

- ما أفعله دائماً عندما يكون عندي وقت فراغ. صببت لنفسي كوباً من الشاي، وكما قلت لك أجريت مكالمة هاتفية وصعدت لرؤية مورلي لدقيقة واحدة.

- كما علمت أنه لم يكن عندك مرضى بين الثانية عشرة والنصف وحتى الواحدة بعد مغادرة السيد بارنز. على فكرة، متى غادر عيادتك؟

- بعد الثانية عشرة والنصف بقليل.

- وماذا فعلت بعدها؟

- كما فعلت من قبل؛ شربت كوباً آخر من الشاي!

- وهل صعدت لرؤية مورلي ثانية؟

ابتسم السيد ريلي وقال: هل تريد أن تقول إني قد صعدت إليه

وقتلته؟ لقد أخبرتك من قبل، منذ زمن طويل، بأنني لم أفعل. ولكن ما من دليل على ذلك إلاّ كلامي أنا.

- ما رأيك بخادمة الاستقبال في المنزل، أغنيس؟

حدّق فيه ريلي قائلاً: هذا سؤال غريب تسألني إياه.

- لكني أريد أن أعرف.

- سوف أجيبك: لا رأي لي بها. كانت جورجينا تراقب الخادمات مراقبة صارمة، وهي محقة تماماً في هذا. لم تكن الفتاة تنظر باتجاهي أبداً، وهو دليل على ذوقها السيئ!

قال بوارو: "لدي إحساس بأن الفتاة تعرف شيئاً". ثم نظر إلى السيد ريلي متسائلاً.

ابتسم الأخير وهز رأسه وقال: لا تسألني. لا أعرف شيئاً عن هذا، ولا أستطيع مساعدتك أبداً.

جمع تذاكره التي كانت أمامه وخرج وهو يومئ برأسه ويبتسم، وأوضح بوارو للموظف الصابر بأنه لم يقرر أمره بخصوص تلك الرحلة إلى العواصم الشمالية بعد.

* * *

.قام بوارو بزيارة أخرى إلى هامبستيد. ربما فوجئت السيدة آدمز قليلاً برؤيته، ورغم أن أحد كبار مفتشي سكوتلانديارد كان قد زكّاه إلاّ أنها -مع ذلك- اعتبرته مجرد أجنبي مُهندم ولم تصدق

مزاعمه أو تأخذها على محمل الجد، ومع ذلك كانت راغبة جداً في الحديث.

بعد الإعلان الأول المثير عن هوية الضحية لم يهتم الناس كثيراً بنتائج التحقيق، فقد كانت قضية خطأ في تحديد الهوية، حيث أخطأت الشرطة في تحديد هوية صاحبة الجثة عندما قالت إنها جثة الآنسة سينسبري سيل مع أنها جثة السيدة تشابمان. كان ذلك كل ما عرفه الناس، ولم يتم التشديد على حقيقة أن الآنسة سينسبري سيل ربما كانت آخر من رأى السيدة تشابمان البائسة على قيد الحياة، ولم تنشر الصحف أية إشارة إلى احتمال أن تكون الآنسة سينسبري سيل مطلوبة للشرطة بتهمة جنائية.

ارتاحت السيدة آدمز كثيراً عندما علمت أن الجثة التي كُشفت بصورة مأساوية ليست جثة صديقتها، وقد ظهر أنها لا تعرف أي شيء عن احتمال وجود شبهات حول مابيل سينسبري سيل.

- لكنه أمر غريب جداً أن تختفي بهذه الطريقة. أنا متأكدة -يا سيد بوارو- أنها فقدت ذاكرتها دون شك.

ردّ عليها بوارو بأن ذلك أمر محتمل جداً؛ فقد عرف حالات كهذه من قبل.

قالت: نعم، أتذكر صديقة لإحدى قريباتي. كانت تكبت في نفسها الكثير وكانت قلقة جداً ممّا أدى بها إلى تلك الحالة. أظن أنهم يسمونه مرض فقد الذاكرة.

أجابها بوارو بأن ذلك هو اسم المرض فعلاً. سكت قليلاً ثم

سأل السيدة آدمز إن كانت قد سمعت الآنسة سينسبري سيل تتكلم عن السيدة ألبرت تشابمان؟

كلا، فالسيدة آدمز لم تتذكر أبداً أن صديقتها ذكرت واحدة بذلك الإسم، لكنها أضافت بأنه ليس من المحتمل أن تذكر الآنسة سينسبري سيل كل شخص تعرفه. سألته من تكون السيدة تشابمان هذه؟ هل يعرف الشرطة أي شيء عمّن عساه قتلها؟

هز بوارو رأسه وقال: ما زال لغزاً يا سيدتي.

ثم سألها إن كانت هي التي نصحت الآنسة سينسبري سيل بالعلاج عند السيد مورلي أم لا، فأجابته السيدة آدمز سلباً؛ فهي نفسها كانت تذهب إلى طبيب فرنسي في شارع هارلي، ولو أن مابيل سألتها عن طبيب أسنان تذهب إليه لكانت قد أرسلتها إلى ذلك الطبيب.

رأى بوارو أنه من الممكن أن تكون السيدة تشابمان هذه هي التي أوصت الآنسة سينسبري سيل بالذهاب إلى عيادة السيد مورلي، ووافقته السيدة آدمز بأن ذلك قد يكون صحيحاً. قالت: ألم يعرفوا ذلك من عيادة الطبيب؟

لكن بوارو كان قد سأل الآنسة نيفيل ذلك السؤال من قبل ولم تعرف الآنسة نيفيل أو تتذكر. لقد تذكرت السيدة تشابمان لكنها لم تذكر أنها ذكرت اسم الآنسة سينسبري سيل أمامها، فهذا الاسم غريب بعض الشيء، ولو كانت السيدة تشابمان ذكرته أمامها لكانت قد تذكرته.

واصل بوارو أسئلته: لقد عرفت السيدة آدمز الآنسة سينسبري سيل أول مرة في الهند، أليس كذلك؟

وافقته السيدة آدمز.

هل كانت السيدة آدمز تعرف إن كانت الآنسة سينسبري سيل قد التقت بالسيد أليستير بلانت أو زوجته في أي وقت وهي هناك بالهند؟

- آه، لا أظن ذلك يا سيد بوارو. هل تقصد رجل البنوك الكبير؟ كانا هناك قبل بضع سنوات مع بنك فايسروي، لكني واثقة أن مابيل كانت ستتحدث عنهما أو تذكرهما لو أنها التقت بهما.

ثم أضافت السيدة آدمز وهي تبتسم ابتسامة باهتة: إن المرء يذكر دوماً الناس المهمين. إننا نشعر بمثل هذا النقص إزاء المشاهير.

- ألم تذكر بلانت وزوجته أبداً؟ السيدة بلانت على وجه الخصوص؟

- أبداً.

- لو كانت صديقة مقربة من السيدة بلانت لكنت عرفت ذلك، أليس كذلك؟

- آه، بلى؛ لا أظن أنها كانت تعرف واحدة كتلك. إن صديقات مابيل جميعهن عاديات جداً... مثلنا.

قال بوارو بكبرياء: هذا ما لا أسمح به يا سيدتي.

واصلت السيدة آدمز الحديث عن مابيل سينسبري سيل كواحدة تتحدث عن صديقة لها ماتت حديثاً. ذكرت جميع حسنات مابيل ولطفها وعملها الجاد والمخلص من أجل المشروعات الخيرية وحماستها وجديتها.

أصغى بوارو إليها. لقد كانت مابيل سينسبري سيل -كما قال جاب- إنسانة حقيقية. لقد عاشت في كلكتا وكانت تدّرس فن الخطابة وتعمل بين السكان الهنود، وكانت امرأة محترمة حسنة النية. وربما كانت ثرثارة قليلاً وغبية بعض الشيء لكنها أيضاً امرأة ذات قلب من ذهب.

أكملت السيدة آدمز تقول: كانت جدية كثيراً في كل شيء يا سيد بوارو، وكانت ترى الناس غير مبالين ويصعب إيقاظهم من غفلتهم. كان صعباً جداً الحصول منهم على تبرعات، وكانت الأمور تزداد سوءاً عاماً بعد عام، مع ارتفاع ضريبة الدخل وتكاليف المعيشة وكل شيء. قالت لي ذات مرة: "عندما يعرف المرء ما يمكن للمال أن يفعله والإنجازات العظيمة التي يمكن تحقيقها به... فإنني -يا أليس- أشعر أحياناً أنني مستعدة لأن أرتكب جريمة للحصول عليه". ألا يوضح هذا مبلغ حماستها يا سيد بوارو؟

قال بوارو متأملاً: هل قالت ذلك حقاً؟

سألها سؤالاً عارضاً متى قالت الآنسة سينسبري سيل تلك العبارة بالتحديد، وعرف أن ذلك كان قبل ثلاثة أشهر تقريباً.

غادر المنزل وسار وهو مستغرق في التفكير.

كان يفكر في شخصية مابيل سينسبري سيل: امرأة لطيفة... امرأة جادة ولطيفة... امرأة محترمة محتشمة. لقد أشار السيد بارنز إلى أن القاتل المحتمل قد يكون بين هذا النوع من الناس.

كانت قد عادت من الهند على نفس السفينة التي عاد بها السيد أمبيريوتيس، ويبدو أنه يوجد سبب للاعتقاد أنها تناولت معه الغداء في فندق سافوي.

كانت قد اقتربت من أليستير بلانت وزعمت أنها تعرفه وزعمت أنها صديقة حميمة لزوجته. كانت قد زارت مجمعات الملك ليوبولد مرتين حيث وُجدت بعد ذلك جثة امرأة تلبس ملابسها وبجانبها حقيبتها التي تدل على هويتها بشكل يفي بالغرض.

كان ذلك مبالغة في الإيفاء بالغرض!!

كانت قد خرجت من فندق غلينغوري كورت فجأة بعد مقابلة مع الشرطة.

هل النظرية التي يعتقد هيركيول بوارو بأنها صحيحة تنسجم مع كل هذه الحقائق وتفسرها؟

رأى أن ذلك ممكن.

* * *

شغلت هذه التأملات ذهن هيركيول بوارو في طريق عودته إلى البيت حتى وصل إلى حديقة ريجنت. قرر أن يجتاز جزءاً من

الحديقة قبل أن يستقل سيارة أجرة، وكان يعرف من خلال خبرته الطويلة وبشكل صحيح اللحظة التي يبدأ بها حذاؤه الجلدي الضغط على قدميه وإيلامه.

كان يوماً صيفياً رائعاً، وراقب بوارو مربيات الأطفال ومعهن الصغار يلهون ويلعبون، ونبحت الكلاب وركضت، وراح الأولاد الصغار يلقون بقوارب من ورق في الماء. وتحت كل شجرة تقريباً جلس اثنان قريبين بعضهما من بعض.

همس بوارو وقد أثّر فيه المنظر: آه! شباب، شباب!

لاحظ أن مربيات الأطفال لم يكنّ الوحيدات اللاتي كان الشباب يخطبون ودّهن تحت أشجار حديقة ريجنت، فهناك فتاة كان مظهرها يدل على الأناقة والغنى تحت شجرة الزيزفون تلك ومعها شاب يقرّب رأسه من رأسها ويتوسل إليها. وفجأة أدرك -وهو ما زال يراقبهما- أن فيهما شيئاً مألوفاً.

إذن فقد جاءت جين أوليفيرا إلى حديقة ريجنت لتقابل صديقها الأمريكي الشاب الثائر؟ ظهر الحزن والعبوس على وجهه. وبعد تردد قصير عبر إليهما العشب وقال وهو يرفع قبعته مزهواً: صباح الخير يا آنسة.

أحس أن جين أوليفيرا لم تكن مستاءة كثيراً من رؤيته، لكن هوارد رايكز بدا منزعجاً كثيراً من هذه المقاطعة. هدر قائلاً: آه، هذا أنت ثانية؟!

قالت جين: مرحباً يا سيد بوارو. أنت تظهر دائماً على نحو غير متوقع، أليس كذلك؟

قال رايكز وهو ينظر إلى بوارو بفتور: كعفريت اللعبة.

سألها بوارو باهتمام: هل تطفلت عليكما؟

ردّت عليه جين أوليفيرا بلطف: أبداً.

لم يقل هوارد رايكز شيئاً.

قال بوارو: إنه مكان جميل هذا الذي تجلسان فيه.

قال رايكز: كان كذلك.

قالت جين: اسكت يا هوارد؛ لا بد أن تتعلم السلوك.

سألها رايكز متأففاً: وما فائدة السلوك؟

- سوف تعرف أنه يساعدك. لا أعرف -أنا شخصياً- قواعد السلوك لكن هذا لا يهم كثيراً؛ فأنا غنية أولاً، ولا بأس بشكلي، وعندي أصدقاء ذوو نفوذ. ولذا أستطيع النجاح في الحياة دون حاجة هذا السلوك.

قال رايكز: لست في مزاج يسمح لي بالحديث يا جين، أريد أن أرحل.

نهض وأومأ لبوارو برأسه بطريقة جافة ثم ذهب.

حدقت جين أوليفيرا وراءه ويدها على ذقنها. وقال بوارو وهو

يتنهد: للأسف، إن المثل صحيح... "في أوقات الغزل يكون أكبر عدد ممكن هو اثنان"، أليس كذلك؟ الثلاثة رقم يفسد الأمر.

- الغزل؟ يا لها من كلمة!

- نعم، إنها الكلمة الصحيحة، أليس كذلك؟ بالنسبة لشاب يصغي باهتمام لفتاة قبل أن يطلب يدها للزواج. ألا يسمونهما عاشقين متغازلين؟

- يبدو أن أصدقاءك يقولون أشياء غريبة جداً.

- انظري إلى الجميع حولنا... إنهم كذلك.

ردّت عليه جين بحدة: نعم، إنني مجرد واحدة من هذا الجمع كما أظن...

وفجأة التفتت إلى بوارو وقالت: أريد أن أعتذر لك؛ فلقد أخطأت بالأمس. اعتقدت أنك تطفلت وجئت إلى إيكسهام لكي تتجسس على هوارد، لكن العم أليستير أخبرني فيما بعد بأنه هو الذي طلب منك المجيء لأنه أراد منك كشف هذا الأمر المتعلق بالمرأة المفقودة... سينسبري سيل. أليس هذا صحيحاً؟

- بالتأكيد.

- لذلك فأنا آسفة لما بدر مني تجاهك تلك الليلة، لكن الأمر كان يبدو كذلك. أقصد... وكأنك كنت تتابع هوارد وتتجسس علينا نحن الاثنين.

- حتى لو كان ذلك صحيحاً يا آنسة، فإنني شاهد ممتاز على حقيقة أن السيد رايكز قد أنقذ بشجاعة حياة عمك عندما وثب على المهاجم ومنعه من إطلاق رصاصة أخرى.

- إنك تقول الأشياء بطريقة غريبة يا سيد بوارو. لا أعرف إن كنت جاداً أم غير ذلك.

قال بوارو بوقار: أنا -في هذه اللحظة- جاد جداً يا آنسة أوليفيرا.

قالت جين وفي صوتها نبرة انكسار ضعيفة: لماذا تنظر إليّ هكذا؟ وكأن... وكأنك تأسف على حالي؟

- ربما يا آنسة لأنني آسف على أشياء يتوجب علي أن أفعلها قريباً جداً.

- حسناً. إذن... لا تفعلها!

- للأسف يا آنسة، عليّ أن أفعلها.

حدقت إليه بعض الوقت ثم قالت: هل وجدت تلك المرأة؟

- لنقل... إنني أعرف مكانها.

- أهي ميتة؟

- لم أقل هذا.

- إذن فهي على قيد الحياة؟

- ولم أقل هذا أيضاً.

نظرت جين إليه غاضبة وهتفت: ولكن لا بد أن يكون الأمر واحداً من الاثنين، أليس كذلك؟

- الواقع أن الأمر ليس بهذه البساطة.

- أعتقد أنك تحب تعقيد الأمور فقط!

اعترف هيركيول بوارو: لقد قيل ذلك عني من قبل!

ارتعدت جين. قالت: أليس هذا غريباً؟ إنه يوم دافئ جميل، ومع ذلك أشعر فجأة بالبرد.

- ربما من الأفضل أن تسيري يا آنسة.

نهضت جين واقفة. ظلت مترددة بعض الوقت، ثم قالت فجأة: هوارد يريد أن يتزوجني فوراً... دون إبلاغ أحد بالأمر. إنه يقول... إنه يقول إنها الطريقة الوحيدة التي يمكنني من خلالها أن أتزوج، لأنني ضعيفة.

سكتت ثم أمسكت بذراع بوارو بقوة وقالت: ماذا أفعل يا سيد بوارو بخصوص هذا الأمر؟

- لماذا تطلبين نصيحتي؟ يوجد من هم أقرب إليك مني!

- أمي؟ إنها ستقلب البيت رأساً على عقب عندما تسمع الخبر! العم أليستير؟ سيكون حذراً ومضجراً. سيقول لي بأن في الوقت متسعاً وأن علينا أن نتأكد منه تماماً، وسيقول بأن هذا الشاب غريب الأطوار وأنه لا داعي للتهور...

- وأصدقاؤك؟

- ليس لديّ أصدقاء. فقط بعض البنات الغبيات أخرج معهن ونتبادل كلاماً فارغاً! هوارد هو الشخص الحقيقي الذي التقيت به.

- ومع ذلك... لماذا تسأليني أنا يا آنسة أوليفيرا؟

قالت جين: لأن في وجهك نظرات غريبة. وكأنك تأسف على شيء... وكأنك تعرف أن شيئاً سوف... سوف يأتي...

سكتت. ثم سألته: حسناً؟ ماذا تقول؟

هز هيركيول بوارو رأسه ببطء.

* * *

عندما وصل بوارو إلى البيت قال له جورج: رئيس المفتشين جاب موجود هنا يا سيدي.

ابتسم جاب عندما دخل بوارو الغرفة ابتسامة حزينة وقال: ها أنت أيها العجوز. جئت لأقول لك كم أنت رائع، وأسألك كيف فعلتها؟ ما الذي يجعلك تفكر بهذه الأمور؟

- ماذا يعني كل هذا...؟ أرجو المعذرة، هل أدعو لك بفنجان من القهوة؟

- نعم، فنجان من القهوة سيكون جيداً لي.

بعد دقائق قليلة كان جاب يرتشف فنجان القهوة ويقول: أنت دائماً على حق يا بوارو!

- لا، لا يا صديقي.

- كانت لدينا قضية انتحار جميلة، ولكن هيركيول بوارو يقول بأنها جريمة قتل. يريدها أن تكون جريمة قتل... فكانت جريمة قتل!

- آه! فأنت توافقني الرأي أخيراً؟

- لا أحد يمكن أن يصفني بالعنيد. إنني لا أكابر عند وجود أدلة، ولكن المشكلة كانت عدم وجود أي دليل.

- ولكن يوجد دليل الآن، أليس كذلك؟

- بلى، وقد جئتك الآن معتذراً ومعترفاً بخطئي، ولأزفّ لك النبأ الجديد.

- كلّي لهفة لسماعه يا صديقي.

- حسناً. إن المسدس الذي حاول فرانك كارتر قتل بلانت به يوم السبت مماثلٌ تماماً للمسدس الذي قُتل به مورلي!

حدّق بوارو ذاهلاً: لكن هذا غريب!

- نعم، هذا يجعل المشكلات تتكالب على الأستاذ فرانك.

- هذا ليس دليلاً قاطعاً.

- كلا، لكنه كافٍ لجعلنا نعيد النظر في الحكم الذي اعتبر القضية انتحاراً. إنهما مسدسان من صنع أجنبي ومن نوع غير شائع أيضاً!

حدّق هيركيول بوارو ثم قال: فرانك كارتر؟ كلا... كلا بالتأكيد!

قال جاب لاهثاً: ماذا دهاك يا بوارو؟ قلتَ أولاً إنك مقتنع بأن مورلي قد قتل ولم ينتحر، ثم عندما جئتك وقلت لك إننا نميل إلى الأخذ برأيك الآن أخذت تهمهم وتتردد وكأنك غير مقتنع.

- هل تعتقد حقاً أن فرانك كارتر هو الذي قتل مورلي؟

- إنه مطابق للواقع. كان كارتر يحقد على مورلي، وهو ما كنا نعرفه منذ البداية. جاء إلى العيادة ذلك الصباح، وزعم بعدها أنه ذهب هناك ليخبر صديقته بأنه حصل على وظيفة، لكننا اكتشفنا الآن بأنه لم يكن قد حصل على الوظيفة وقتها. إنه لم يحصل عليها إلاّ في وقت متأخر ذلك اليوم. إنه يعترف بهذا الآن. إذن لدينا الكذبة رقم واحد. لا يستطيع تبرير مكان وجوده في الساعة الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة وما بعدها. قال بأنه كان يسير في شارع ماريلبون، لكن الشيء الوحيد الذي يستطيع إثباته هو أنه كان يشرب في إحدى الحانات في الواحدة وخمس دقائق، ويقول عامل البار بأنه كان في حالة غير طبيعية... يده ترتجف ووجهه شاحب!

تنهد هيركيول بوارو وهز رأسه وهو يقول: هذا لا يتوافق مع أفكاري.

- وما هي أفكارك هذه؟

- إن ما تقوله لي يشوش أفكاري كثيراً؛ لأنك إن كنت على حق في أقوالك...

فتح الباب بهدوء ودخل جورج وهو يهمس قائلاً: أرجو المعذرة يا سيدي، ولكن...

لم يكمل حديثه، فقد دفعته الآنسة غلاديس نيفيل جانباً ودخلت الغرفة هائجة وهي تبكي: آه، سيد بوارو...

أسرع جاب يقول: "أنا ذاهب"، ثم غادر الغرفة بسرعة.

نظرت إليه غلاديس نيفيل نظرات حقد وكراهية: هذا هو... ذلك المفتش المرعب من سكوتلانديارد. إنه هو الذي لفق القضية كلها للمسكين فرانك.

- يجب أن لا تثيري نفسك.

- لكن هذا صحيح. في البداية زعموا أنه حاول قتل السيد بلانت، ولم يقتنعوا بهذا فقط بل اتهموه بقتل السيد مورلي المسكين.

تنحنح هيركيول بوارو وقال: كنت هناك في إيكسهام عندما أطلقت الرصاصة على السيد بلانت.

ردّت غلاديس مرتبكة: ولكن حتى لو كان فرانك هو الذي فعل... فعل شيئاً غبياً كهذا. إنه واحد من تلك الجماعات المتعصبة التي يمشي أفرادها وهم يحملون الرايات ويؤدون تلك التحية السخيفة، وهذه الجماعات تعبئ مشاعر هؤلاء الشباب المساكين... يكونون شباباً مسالمين في العادة مثل فرانك، ولكنهم يعبئونهم إلى أن يعتقدوا أنهم يفعلون شيئاً رائعاً ووطنياً.

سألها بوارو: هل هذا هو دفاع السيد كارتر؟

- آه، لا. إن فرانك يقسم بأنه لم يفعل أي شيء وأنه لم ير المسدس من قبل. لم أتكلم معه بالطبع؛ فهم لم يسمحوا لي، ولكن لديه محامياً وقد أخبرني المحامي بما قاله فرانك. إنه يقول بأن القضية كلها ملفقة.

- وهل يرى المحامي أن على موكله أن يبحث عن قصة أكثر إقناعاً من هذه؟

- المحامون يصعب التعامل معهم؛ فهم لا يقولون أي شيء صراحة. لكن ما يقلقني هو تهمة القتل. آه! أنا واثقة يا سيد بوارو أن فرانك لا يمكن أن يكون قاتل السيد مورلي، أقصد أنه لا يوجد أي سبب لذلك فعلاً.

- هل صحيح أنه عندما جاء صباح ذلك اليوم لم يكن قد حصل على الوظيفة بعد؟

- الحق يا سيد بوارو أنني لا أرى أي فرق في ذلك. سواء حصل على الوظيفة في الصباح أو في المساء فهذا لا يهم.

- لكنه قال إنه جاء ليخبرك عن حظه السعيد، ويبدو الآن أن الحظ لم يكن قد حالفه بعد. إذن لماذا جاء؟

- كان المسكين يائساً ومنزعجاً، والحقيقة أنني أعتقد بأنه كان ثملاً قليلاً. إن فرانك المسكين يتأثر بالشراب سريعاً، والشراب يجعله قلقاً... وهكذا أحس برغبته في إحداث شجار، فجاء إلى

العيادة ليتعارك مع السيد مورلي. إن فرانك شاب حساس جداً، وقد تضايق كثيراً عندما أحس أن السيد مورلي كان يكرهه وأنه كان يسمم أفكاري على حد تعبيره.

– ولذلك فقد قرر إحداث فضيحة أثناء ساعات العمل؟

– نعم، أظن أن هذه هي فكرته. إن عمله هذا بالطبع خاطئ جداً.

نظر بوارو إلى الفتاة الشقراء الباكية أمامه متأملاً ثم قال: هل كنت تعرفين أن فرانك كارتر يمتلك مسدساً... أو زوجاً من المسدسات؟

– لا يا سيد بوارو. أقسم أنني لم أكن أعرف، ولا أظن أن هذا صحيح أيضاً.

هز بوارو رأسه ببطء متحيراً وقال: إنني لا أنحاز إلى أي جانب. الجانب الوحيد الذي أنحاز له هو جانب الحقيقة.

* * *

بعد أن تخلص بوارو من الفتاة اتصل بسكوتلانديارد. لم يكن جاب قد عاد بعد لكن التحري الرقيب بيروس كان متعاوناً وأعطاه المعلومات المطلوبة. أخبره بأن الشرطة لم يجدوا -بعد- أي دليل يثبت حيازة فرانك كارتر للمسدس قبل الحادث الذي وقع في إيكسهام.

أنهى بوارو المكالمة متأملاً. هذه النقطة في صالح كارتر، لكنها النقطة الوحيدة حتى الآن.

وكان قد علم من بيروس أيضاً بعض التفصيلات المتعلقة بأقوال فرانك كارتر بخصوص عمله بستانياً، وقد أصر على روايته حول عمله في المخابرات السرية، كما قال إنه أخذ مالاً مقدماً إضافة إلى بعض شهادات الخبرة حول كفاءته في العمل كبستاني، وأخبر بأن يقدم طلب العمل إلى السيد ماك أليستر رئيس البستانيين. وكانت التعليمات التي أعطيت له هي الإصغاء إلى الأحاديث التي تدور بين البستانيين الآخرين ليكشف إن كانت لهم ميول شيوعية أم لا، كما طلب منه أن يتظاهر بأنه يميل قليلاً للشيوعية أيضاً.

وقد قابلته امرأة قالت له إنها تُعرف بالاسم « ك هـ ٥٦ » وهي التي أعطته التعليمات المتعلقة بمهمته، وقد قابلته في غرفة ذات ضوء خافت ولا يظن أنه سيعرفها لو رآها مرة أخرى. كانت امرأة ذات شعر أحمر وتضع كثيراً من مساحيق التجميل على وجهها.

تأوه بوارو. ها هي لمسات الجاسوسية والعالم السري تعود إلى الظهور، وأحس بوارو بالحاجة لاستشارة السيد بارنز حول هذا الموضوع، فكما أخبره السيد بارنز من قبل: إن مثل هذه الأشياء تحدث فعلاً.

وقد ساهمت آخر رسالة جاءته في زيادة حيرته واضطرابه. مغلف رخيص عليه كتابة رديئة باليد وعليه طابع بريد ومختوم من هيرتفورد شاير.

فتحه بوارو وقرأ:

"سيدي العزيز،

أرجو أن تعذرني على إزعاجك، لكني متضايقة جداً ولا أعرف ماذا أفعل، ولا أريد التورط مع الشرطة بأي شكل من الأشكال. أعرف أنه ربما كان علي أن أقول شيئاً كنت أعرفه قبل هذا الوقت، ولكن بما أنهم قالوا إن سيدي قد انتحر فقد ظننت أن الأمر كان كذلك، كما أنني لم أرد توريط صديق الآنسة نيفيل ولم أفكر لحظة واحدة بأنه قد فعلها، لكني الآن أرى أنه قد ألقي القبض عليه بتهمة إطلاق الرصاص على رجل محترم في الريف، وبالتالي كان يتوجب علي أن أقول بأنه ليس مستقيماً. لكني فكرت أن أكتب إليك كونك صديقاً لسيدتي، ولأنك كنت حريصاً في ذلك اليوم على سؤالي أنا تحديداً إن كان عندي شيء أريد أن أقوله، وتمنيت لو أنني أخبرتك ساعتها. لكني أرجو أن لا يؤدي هذا إلى توريطي مع الشرطة لأني لا أحب هذا، كما أن والدتي لا تريده هي الأخرى، وقد كانت دوماً كثيرة الإلحاح جداً في مثل هذه الأمور.

المخلصة: أغنيس فليتشر"

تمتم بوارو قائلاً: كنت أعرف دائماً أن الأمر له علاقة برجل ما. كل ما في الأمر أنني أخطأت بتحديد الرجل.

* * *

الفصل الثامن

جرت المقابلة مع أغنيس فليتشر في هيرتنورد في مقهى مهجور إلى حد ما، لأن أغنيس كانت حريصة على أن لا تخبر بوارو بقصتها تحت سمع وبصر الآنسة مورلي.

مضت أول ربع ساعة وبوارو يصغي لأغنيس وهي تتحدث عن تزمت والدتها، وكيف أن والدها أيضاً -رغم طبيعة أعماله المتنوعة- لم يحدث له احتكاك مع الشرطة. وحدثته أغنيس أنها لو تورطت مع الشرطة بأي حال من الأحوال فإن أباها وأمها سيموتان قهراً لأن رأسيهما -كما تقول- ظلا مرفوعين عالياً ولم تقع بينهما وبين الشرطة أي مشكلة.

وبعد هذا الحدث الطويل وتكراره عدة مرات اقتربت أغنيس من موضوع المقابلة. قالت: لم أحب أن أقول أي شيء للآنسة مورلي يا سيدي لأنها ستوبخني وتسألني لماذا لم أقل هذا من قبل، وقد تبادلت الرأي في هذا الأمر مع الطاهية ولم نر أنه يخصنا لأننا قرأنا في الصحف كيف أن السيد مورلي قد أخطأ في الحقنة التي أعطاها للمريض وأنه انتحر وكان المسدس بيده. لذلك بدا الأمر واضحاً تماماً يا سيدي، أليس كذلك؟

كان بوارو يأمل أن تقترب من المكاشفة الموعودة قليلاً عن طريق تشجيعها ولكن ليس بسؤال مباشر منه، سألها: متى بدأت تشعرين شعوراً مختلفاً؟

- عندما قرأت ذلك الخبر عن فرانك كارتر في الصحيفة. عندما قرأت أنه أطلق الرصاص على ذلك الرجل المحترم حيث كان يعمل بستانياً عنده، وفكرت في أنه ربما كان فيه مس من جنون؛ لأني أعرف أن ناساً مثله يعتقدون أنهم مضطهدون من قبل أعدائهم، ولذلك فإن من الخطر إبقاءهم في بيوتهم ويجب إرسالهم إلى المصحات العقلية. وقد رأيت أن فرانك كارتر قد يكون مثلهم؛ لأني أتذكر أنه اعتاد أن يكثر الكلام عن السيد مورلي، وكان يقول إن السيد مورلي يعاديه ويحاول إبعاده عن الآنسة نيفيل. أنا وإيما لا نستطيع إنكار أن السيد كارتر كان وسيماً ومحترماً، لكننا -بالطبع- لم نعتقد حقاً أنه فعل شيئاً للسيد مورلي. لقد ظننّا الأمر غريباً بعض الشيء وحسب.

قال بوارو صابراً: ما الذي كان غريباً؟

- في صباح ذلك اليوم يا سيدي، اليوم الذي انتحر فيه السيد مورلي. كنت أتساءل إن كان بوسعي أن أتجرأ وأنزل لأخذ البريد؛ فساعي البريد كان قد وصل، لكن ألفريد لم يحضر الرسائل إلينا في الطابق العلوي، وهو يصنع ذلك -في العادة- فقط إذا كانت الرسائل للآنسة مورلي أو للسيد مورلي، أما إذا كانت الرسائل لإيما أو لي أنا فإنه لا يهتم بإحضارها حتى ساعة الغداء. ولذلك خرجت إلى استراحة الدرج ونظرت من أعلى. لم تكن الآنسة مورلي تحب أن ننزل إلى الصالة أثناء ساعات عمل سيدي في عيادته، ولذا فكرت

أن أنتظر ألفريد حتى أراه لدى عودته بعد إدخال المريض على السيد مورلي، وفكرت أنني يمكن أن أناديه عندئذ وأطلب منه إحضار البريد. ـ

لهثت أغنيس وأخذت نفساً عميقاً ثم أكملت: عندها رأيته... أقصد فرانك كارتر. كان في وسط الدرج، الدرج الذي يصل شقتنا بطابق العيادة. وكان يقف هناك ينتظر وينظر أسفل منه، وأحسست أكثر وأكثر أن هذا أمر غريب. يبدو أنه كان يصغي لشيء ما باهتمام شديد.

- متى كان ذلك؟

- لا بد أنه كان قريباً من الساعة الثانية عشرة والنصف يا سيدي. وفكّرت: "ها هو فرانك كارتر قد جاء والآنسة نيفيل في إجازة اليوم، وسوف يخيب أمله". وتساءلت إن كان يجب عليّ أن أنزل وأخبره عن الآنسة نيفيل، إذ يبدو أن المغفل ألفريد نسي أن يخبره وإلاّ لما وقف هناك ينتظرها. وبينما كنت مترددة، بدا أن السيد كارتر قد حزم أمره ونزل الدرج بسرعة وسار في الممر باتجاه عيادة سيدي، وفكرت في نفسي بأن سيدي لن يعجبه هذا التصرف، وفكرت في احتمال وقوع شجار. لكن إيما نادتني لحظتها وسألتني عن سبب وقوفي هناك، وصعدت ثانية، وبعدها سمعت أن سيدي قد انتحر فأنساني هذا الحادث الفظيع كل شيء. وبعد ذلك، عندما ذهب مفتش الشرطة، قلت لإيما إنني لم أقل شيئاً عن وجود السيد كارتر مع سيدي هذا الصباح. وسألتني: "هل كان عنده حقاً؟"، وقصصت عليها ما رأيته، فقالت إنه ربما كان عليّ أن أخبر المفتش بذلك. لكني قلت لها إنني أريد الانتظار قليلاً ووافقتني، لأننا -كلينا- لم نرد إيقاع

فرانك كارتر في ورطة إن كان باستطاعتنا ذلك. وعندما جاء التحقيق وتبين أن سيدي قد أخطأ في إعطاء الحقنة وأنه ارتاع وقتل نفسه، بدا ذلك أمراً طبيعياً جداً، ولم تبقَ -بالطبع- أية حاجة للتحدث عن أي شيء. لكنني عندما قرأت ذلك الخبر في الصحيفة قبل يومين... آه، أذهلني ذلك! وقلت في نفسي: "إن كان كارتر واحداً من هؤلاء المجانين الذين يعتقدون أنهم مضطهدون ولذلك يقتلون الناس هنا وهناك، إذن فربما يكون بالفعل قد قتل سيدي أيضاً!".

كان الخوف والقلق باديين في عينيها وهي تنظر إلى هيركيول بوارو نظرات رجاء.

حاول أن يطمئنها قدر الإمكان قائلاً: تأكدي -يا أغنيس- أنك فعلت الصواب عندما أخبرتني بهذا الأمر.

- لقد أزاح ذلك عن ضميري عبئاً ثقيلاً يا سيدي. كنت دائماً أقول لنفسي إنني ربما أخطأت بعدم الإبلاغ، ثم -كما قلت لك آنفاً- فكرت في مسألة التورط مع الشرطة وفيما ستقوله أمي. إنها تهتم بأمورنا كثيراً...

- نعم، نعم.

شعر بوارو أن الجرعة التي تجرعها بخصوص أم أغنيس كانت أقصى ما يمكن تجرعه في يوم واحد.

* * *

زار بوارو شرطة سكوتلانديارد وسأل عن جاب، وعندما وصل إلى غرفة رئيس المفتشين قال: أريد رؤية كارتر.

نظر إليه جاب نظرة سريعة بطرف عينه وقال: وما هو هذا الدافع المهم لذلك؟

- ألا تريد أن تسمح لي برؤيته؟

رفع جاب كتفيه بلامبالاة وقال: آه، لن أعارض؛ فلا فائدة من معارضتي. من هو الطفل المدلل عند وزير الداخلية؟ أنت. من الذي يضع أعضاء الحكومة في جيبه؟ أنت. إنك تساعد في التستر على فضائحهم.

تذكر بوارو القضية التي سماها قضية «أوجين ستيبلز». تمتم بشيء من الزهو: كانت قضية رائعة، أليس كذلك؟ يجب أن تعترف بهذا. لنقل إنها كانت مرسومة بشكل جيد.

- ما كان لأحد غيرك أبداً أن يفكر بذلك الشيء! أحياناً -يا بوارو- أعتقد أنك لا تملك أي وازع على الإطلاق!

تجهم وجه بوارو فجأة وقال: هذا ليس صحيحاً.

- حسناً يا بوارو، لم أقصد ذلك. لكنك تبالغ بالاغترار بعبقريتك في بعض الأحيان. لماذا تريد رؤية كارتر؟ لتسأله إن كان قد قتل مورلي حقاً؟

ولدهشة جاب، أومأ بوارو برأسه مؤكداً وقال: نعم يا صديقي، هذا هو السبب بالضبط.

- وأظن أنك تعتقد بأنه سيخبرك لو كان قتله فعلاً؟

كان جاب يضحك وهو يتكلم، لكن هيركيول بوارو بقي هادئاً وقوراً. قال: قد يخبرني... نعم.

نظر إليه جاب بفضول وقال: هل تعلم؟ أنا أعرفك منذ وقت طويل، ربما منذ عشرين سنة، لكني ما زلت أعجز عن فهم مرادك دائماً. أعرف أن لديك هاجساً يستحوذ عليك بخصوص الشاب فرانك كارتر، فأنت لا تريده مذنباً لسبب أو لآخر.

هز هيركيول بوارو رأسه بقوة: لا، لا، أنت مخطئ في هذا. الأمر على العكس من ذلك.

- ظننت أن ذلك ربما كان بسبب تلك الفتاة، صديقته الشقراء. أحياناً تنساق وراء عواطفك أيها العجوز...

انقلب بوارو ساخطاً على الفور: لست أنا العاطفي؛ فهذا عيب إنكليزي! في إنكلترا يبكون وينتحبون على الأحبة الصغار والأمهات المحتضرات، أما أنا فمنطقيٌّ. إذا كان فرانك كارتر قاتلاً فأنا لست من العاطفة بحيث أجمعه في رابطة زواج مع فتاة لطيفة.

- إذن لماذا لا تريد أن تصدق بأنه مذنب.

- بل أنا أرغب فعلاً بأن أصدق أنه مذنب!

- أظن أنك تقصد بأنك أمسكت بشيء يثبت براءته بشكل حاسم نوعاً ما؟ لماذا -إذن- تخفي الأمر عنّا؟ ينبغي أن يكون تعاملك معنا نزيهاً يا بوارو.

- أنا نزيه معك. بعد وقت قصير سأعطيك اسم وعنوان شاهدة لا تقدر بثمن، وهي شاهدة إثبات لك، فشهادتها يجب أن تثبت القضية عليه.

- إذن... آه! لقد حيرتني. لماذا أنت مهتم جداً برؤيته.

قال بوارو: "حتى أرضي نفسي". ولم يَزِدْ على ذلك.

* * *

نظر فرانك كارتر الهزيل الشاحب -وهو يحافظ على قدر ضئيل من تبجحه- إلى زائره غير المتوقع نظرات استياء واضحة. قال بوقاحة: إذن هذا أنت، أيها الأجنبي الصغير؟ ماذا تريد؟

- أريد رؤيتك والحديث إليك.

- ها أنت قد رأيتني، لكني لن أتكلم. لن أتكلم بغياب محاميّ؛ هذا من حقوقي، أليس كذلك؟ لا يمكنك أن تعترض على هذا، عندي الحق في أن يكون محاميّ حاضراً قبل أن أتفوه بكلمة واحدة.

- بالتأكيد، يمكنك أن ترسل في طلبه إن شئت، لكني أفضّل أن لا تفعل.

- طبعاً أنت تفضل ذلك. هل تعتقد أن بإمكانك أن توقع بي لأدلي باعترافات مدمرة؟

- تذكّر أننا هنا وحدنا.

- هذا غريب بعض الشيء، أليس كذلك؟ لا شك أن أصدقاءك من الشرطة يتنصتون علينا.

- أنت مخطئ؛ فهذه مقابلة خاصة بيني وبينك.

ضحك فرانك كارتر. بدا كريهاً ماكراً وهو يقول: دعك من كل ذلك! لا تستطيع أن تخدعني بهذه الحيلة القديمة.

- هل تتذكر فتاة تدعى أغنيس فليتشر؟

- لم أسمع بها من قبل.

- أظن أنك ستتذكرها، رغم أنك لم تلحظها كثيراً. إنها خادمة الاستقبال في البيت رقم ٥٨ بشارع الملكة شارلوت.

- حسناً، وماذا عنها؟

ردّ عليه هيركيول بوارو ببطء: في صباح اليوم الذي قتل فيه السيد مورلي، صدف أن كانت هذه الفتاة تطلُّ من فوق درابزين الدرج في الطابق العلوي، وقد رأتك على الدرج... تنتظر وتصغي، وسرعان ما رأتك تذهب إلى غرفة السيد مورلي. كان ذلك في الثانية عشرة وست وعشرين دقيقة أو قريباً من هذا.

ارتجف فرانك كارتر بقوة. تصبب العرق من جبينه، وانتقلت عيناه -وقد بلغ المكر فيهما مداه- من جانب إلى آخر وصاح غاضباً: هذا كذب! كذبة لعينة! لقد دفعتم لها... الشرطة دفعوا لها حتى تقول إنها رأتني.

- في ذلك الوقت، وحسب روايتك، المفروض أنك كنت خارج المنزل تسير في شارع ماريلبون.

- نعم، هذا صحيح. هذه الفتاة تكذب، لا يمكن أن تكون قد رأتني. إنها مؤامرة قذرة. لو كانت صحيحة لماذا لم تقلها من قبل؟

ردّ عليه بوارو بهدوء: لقد ذكرت ذلك في حينه لصديقتها وزميلتها الطاهية. كانتا متضايقتين ومتحيرتين ولم تعرفا ماذا تفعلان، وعندما صدر الحكم بأنه حادث انتحار ارتاحتا كثيراً وقررتا أنه ليس ضرورياً أن تقولا أي شيء.

- لا أصدق كلمة واحدة من هذا! إنهما متآمرتان... فتاتان كاذبتان وقذرتان.

ثم بدأ يسبُّ ويلعن، فانتظره بوارو حتى فرغ، ثم تكلم بنفس الصوت الهادئ الرزين: الغضب والسباب لن يساعداك. هاتان الفتاتان ستدليان بأقوالهما وسوف تُصدّقان لأنهما تقولان الحقيقة. فالفتاة أغنيس فليتشر رأتك فعلاً، كنت هناك على الدرج في ذلك الوقت ولم تغادر المنزل، وذهبت فعلاً إلى غرفة السيد مورلي.

توقف قليلاً ثم سأله: ماذا حدث عندها؟

- قلت لك إن هذا كذب!

أحس هيركيول بوارو بالتعب الشديد وبالشيخوخة. لم يكن يحب فرانك كارتر، بل كان يكرهه كثيراً ويرى أنه شاب مستأسد كذاب مخادع، من النوع الذي يمكن للعالم أن يرتاح دون وجوده.

وما كان على بوارو إلا أن يتنحى جانباً ويدع هذا الشاب يصر على أكاذيبه ليتخلص العالم من واحد من سكانه البغيضين...

قال بوارو: أرى أن تخبرني بالحقيقة.

كان يدرك المسألة بوضوح تام. فرانك كارتر كان غبياً، لكنه لم يكن غبياً لدرجة عدم فهمه أن إصراره على الإنكار هو أفضل وآمن طريقة؛ إذ بمجرد أن يعترف بأنه ذهب إلى تلك الغرفة في الساعة الثانية عشرة وست وعشرين دقيقة فإنه يخطو خطوة نحو الخطر المهلك؛ لأن أي شيء يقوله بعد ذلك سيُعتبر مجرد كذبة.

إذن دعه يصر على الإنكار، ولو حدث ذلك فسوف ينتهي واجب هيركيول بوارو؛ فوفق كل الاحتمالات سيعدم فرانك كارتر بتهمة قتل هنري مورلي... وقد يكون ذلك حكماً عادلاً.

ما على بوارو إلا أن ينهض ويذهب.

قال فرانك كارتر مرة أخرى: "هذا كذب!"، ثم سكت.

لم ينهض بوارو أو يذهب. كان يرغب بذلك... كثيراً، ومع ذلك ظل مكانه. مال إلى الأمام، وقال بنبرة آمرة تحمل كل قوة شخصيته: أنا لا اكذب عليك، إنما أطلب منك أن تصدقني. إذا لم تقتل مورلي فإن أملك الوحيد هو أن تخبرني بالحقيقة التامة لما حدث ذلك الصباح.

تردد الوجه الخسيس الغادر وهو ينظر إليه، أحجم عن الكلام، ودارت عيناه من جانب إلى آخر كعيني حيوان خائف مرعوب. كان الوضع دقيقاً وحرجاً...

ثم -فجأة- استسلم فرانك كارتر أمام قوة شخصية الرجل الذي يواجهه وقال بصوت أجش: حسناً، سأخبرك، وليلعنك الله إن خذلتني بعدها! نعم، دخلت غرفته... ارتقيت الدرج وانتظرت حتى أتأكد من أنه يجلس وحده في الغرفة. انتظرت هناك عند استراحة الدرج فوق عيادة مورلي، ثم خرج رجلٌ ونزل الدرج... وكان رجلاً بديناً. كنت أكاد أحزم أمري على الذهاب عندما خرج رجل آخر من غرفة مورلي ونزل هو أيضاً، وعرفت أن عليّ أن أسرع. ذهبت مباشرة ودخلت غرفته دون أن أطرق على الباب، وكنت مستعداً للشجار معه بعدما لوث سمعتي وحرض عليّ فتاتي... تباً له.

ثم سكت، فقال هيركيول بوارو بصوت ما زال قوياً مؤثراً: نعم، وبعد؟

قال كارتر بصوت مرتعش: وكان ممدداً هناك... ميتاً. هذا صحيح، أقسم أنه صحيح! كان ممدداً تماماً كما وصفوه في التحقيق. ولم أستطع تصديق الأمر في البداية، فانحنيت فوقه، ولكنه كان ميتاً دون شك. كانت يده متصلبة وباردة، ورأيت فتحة الرصاصة في رأسه وحولها دم متجمد...

حينما كان كارتر يتذكر ذلك كان العرق يتصبب من جبينه، ومضى يقول: عرفت -وقتها- أنني وقعت في ورطة؛ فسوف يقولون إنني قتلته. لم أكن قد لمست شيئاً سوى يده ومقبض الباب، وعندما خرجت مسحت بصماتي عن مقبض الباب بمنديل كان معي، مسحتها من الداخل والخارج، ثم نزلت الدرج متسللاً وبسرعة قدر استطاعتي. ولم يكن في الصالة أحد فخرجت بأسرع ما يمكن. لا بد أن يقولوا بعد ذلك إنهم شاهدوني بحالة غريبة.

سكت، نظر إلى بوارو بعينين خائفتين ثم قال: هذه هي الحقيقة، أقسم أن هذه هي الحقيقة... كان ميتاً قبل أن أدخل عليه. يجب أن تصدقني!

نهض بوارو وقال بصوت متعب حزين: إنني أصدقك.

تحرك نحو الباب، فصاح فرانك كارتر: سيشنقونني... سيشنقونني -دون شك- إن عرفوا أنني كنت في الغرفة.

قال بوارو: بقولك الحقيقة أنقذت نفسك من حبل المشنقة.

- لا أظن ذلك. سيقولون...

قاطعه بوارو قائلاً: إن قصتك أكدت ما كنت أعرفه وأعتبره الحقيقة، اترك الأمر لي الآن.

ثم خرج. لم يكن بوارو سعيداً أبداً.

* * *

وصل إلى بيت السيد بارنز في إيلنغ في الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة، وتذكر أن السيد بارنز يعتبر ذلك الوقت وقتاً مناسباً.

كان السيد بارنز يعمل في حديقة منزله. قال على سبيل التحية والترحيب: إننا نحتاج إلى المطر يا سيد بوارو... نحتاجه كثيراً.

ثم نظر إلى ضيفه متأملاً وقال: أنت لا تبدو بصحة جيدة يا سيد بوارو؟

رد عليه بوارو: أحياناً لا أحب أشياء يتوجب عليّ فعلها.

أومأ السيد بارنز برأسه متعاطفاً مع موقفه وقال: أعرف.

نظر هيركيول بوارو نظرات غامضة حوله حيث مساكب الزهور الصغيرة المرتبة، وقال: هذه الحديقة جيدة التخطيط، وكل شيء مرتب ومنظم. حديقة صغيرة لكنها متقنة.

قال السيد بارنز: عندما يكون المكان صغيراً عليك أن تستفيد منه كله. إنك لا تتحمل الوقوع في الخطأ في عملية التخطيط.

أومأ هيركيول بوارو موافقاً، فأكمل بارنز يقول: علمت أنك قد أمسكت برجلك؟

- فرانك كارتر؟

- نعم، الحق أن ذلك فاجأني.

- أظنك لم تحسبها جريمة قتل خاصة إذا صح التعبير، أليس كذلك؟

- بصراحة لم أحسبها كذلك، وذلك بسبب أمبيريوتيس وأليستير بلانت؛ فقد تأكدت أنها واحدة من أعمال التجسس والتجسس المضاد.

- هذا ما شرحته لي في أول لقاء بيننا.

- أعرف، كنت واثقاً من ذلك في حينه.

قال بوارو ببطء: لكنك كنت مخطئاً.

- نعم، لا تذكّرني بذلك. المشكلة أن المرء يعتمد في استنتاجاته على خبرته الخاصة. لقد شاركت في ذلك النوع من الأعمال كثيراً ولذلك فإنني أميل إلى رؤية كل شيء بهذا المنظور.

قال بوارو: أظنك قد شاهدت في وقت ما ساحراً يقدم لك بطاقة، أو يجبرك على أخذ بطاقة ما، أليس كذلك؟

- بلى، بالطبع.

- وهذا ما حدث هنا. كلما أراد المرء التفكير بسبب خاص شخصي لمقتل مورلي لا يلبث أن تأتيه سريعاً صيحة الساحر: ها... خذ. ويتم فرض البطاقة عليه، وسرعان ما يُذكر أمبيريوتيس وأليستير بلانت والأوضاع السياسية غير المستقرة للبلاد.

ثم رفع كتفيه حيرة وقال: أمّا أنت -يا سيدي- فقد ضللتني أكثر من أي شخص آخر.

- آه، إنني آسف يا بوارو، أنا آسف بصدق.

- كنتَ في موقع يمكنك فيه أن تعرف، لذلك كانت كلماتك ذات أهمية.

- كنتُ مؤمناً بما قلت. هذا هو الاعتذار الوحيد الذي يمكنني تقديمه.

سكت وتنهد، ثم قال: إذن فقد كان الدافع خاصاً محضاً طوال الوقت؟

- بالضبط، لقد قضيت وقتاً طويلاً حتى استطعت رؤية سبب

جريمة القتل... رغم أنني كنت محظوظاً دون شك في مسألة صغيرة تماماً.

- وما هي؟

- جزء من حديث. جزء صغير كان موحياً جداً لو أنني فهمت دلالته في ذلك الوقت.

حك السيد بارنز أنفه بطرف المجرفة الصغيرة التي يحملها وهو يتأمل، فعلقت حبة صغيره من تراب على أنفه. ثم سأل بوارو بلطف: أراك تتكلم كلاماً ملغزاً، أليس كذلك؟

رفع هيركيول بوارو كتفيه بأسى وقال: إنني حزين لأنك لم تكن صريحاً معي.

- أنا؟

- نعم.

- يا عزيزي، لم أكن أعرف شيئاً عن جرم كارتر، كل ما كنت أعرفه أنه غادر العيادة قبل مقتل مورلي بوقت طويل. أظن أنهم كشفوا الآن أنه لم يغادرها في الساعة التي ادعى أنه غادر فيها.

- كان كارتر في العيادة في الساعة الثانية عشرة وست وعشرين دقيقة، والواقع أنه شاهد القاتل.

- إذن فإن كارتر لم...

- قلت لك بأن كارتر شاهد القاتل!

- هل استطاع تمييزه؟

هز هيركيول بوارو رأسه ببطء.

* * *

الفصل التاسع

في اليوم التالي أمضى هيركيول بوارو بضع ساعات مع وكيل مسرحي كان يعرفه، وذهب بعد الظهر إلى أوكسفورد، وفي اليوم الذي أعقب ذلك إلى الريف، وكان الوقت متأخراً عندما عاد.

كان قد اتصل هاتفياً قبل مغادرته ليأخذ موعداً مع السيد أليستير بلانت في مساء ذلك اليوم، وكانت الساعة التاسعة والنصف ليلاً عندما وصل إلى منزله. كان أليستير بلانت يجلس وحيداً في مكتبته عندما دخل عليه بوارو.

نظر إلى زائرة نظرات متلهفة وهو يصافحه وقال: حسناً؟

أومأ هيركيول بوارو برأسه ببطء.

نظر إليه بلانت بتقدير وهو لا يكاد يصدق إيماءة بوارو ثم قال: هل وجدتها؟

- نعم، نعم. لقد وجدتها.

جلس وتنهد، قال بلانت: هل أنت متعب؟

- نعم، إنني متعب. وما أريد قوله لك ليس بالأمر المفرح.

- هل هي ميتة؟

- هذا يعتمد على كيفية نظرك إلى الأمر.

قطب بلانت جبينه وقال: يا عزيزي، الإنسان إما أن يكون ميتاً أو حياً. لا بد أن تكون الآنسة سينسبري سيل واحدة من هذين.

- آه، ولكن من تكون الآنسة سينسبري سيل حقاً؟

- هل تريد القول إنه... إنه لا توجد واحدة بهذا الاسم؟

- لا، لا. بل كانت توجد واحدة بهذا الاسم، وقد عاشت في كلكتا بالهند وكانت تقوم بتدريس فن الإلقاء وتشغل أوقاتها في أعمال خيرية. وقد جاءت إلى إنكلترا على السفينة ماهارانا، وهي نفس السفينة التي جاء فيها السيد أمبيريوتيس. ورغم أنهما لم يكونا يركبان في نفس الدرجة إلا أنه ساعدها في مسألة ما، مشكلة حدثت حول أمتعتها، ويبدو أنه كان رجلاً لطيفاً من بعض النواحي. وأحياناً - يا سيد بلانت- يأتي جزاء اللطف بطريقة غير متوقعة، وهذا ما حدث مع السيد أمبيريوتيس؛ فلقد صدف أن التقى بالمرأة مرة أخرى في أحد شوارع لندن، وكان يشعر بالأريحية كما يبدو فدعاها -بحسن نية- لتناول الغداء معه في فندق سافوي.

كانت تلك وليمة رائعة لم تتوقعها المرأة، كما كانت بالنسبة لأمبيريوتيس ضربة حظ ساقتها الأقدار دون توقع، لأن لطفه لم يكن لغرض معين. لم يكن يعرف أن تلك المرأة العادية كانت ستهديه

ولكن هل كانت حينيت تكره إمحوتب أيضاً؟ بالتأكيد لا. كانت تحوم حوله سنين عديدة تتذلل إليه وتطريه... وكان يؤمن بها تماماً. لا يمكن أن يكون كل هذا التفاني زائفاً بالتأكيد.

ولكن إذا كانت مخلصة له هل يمكنها أن تقوم متعمدة بإحداث كل هذا الحزن والخسارة له؟ ولكن لنفترض أنها تكرهه أيضاً وأنها كانت تكرهه دوماً، وأنها كانت تطريه متعمدة لتظهر نقاط ضعفه... لنفترض أن كرهها تركز على إمحوتب أكثر من غيره، وما الذي يسبب السرور لعقل منحرف شرير أكثر من هذا؟ أن تدَعه يرى أولاده يموتون واحداً تلو الآخر.

- ما الأمر يا رينيسنب؟ إنك تبدين غريبة.

كانت كيت تحدق إليها. نهضت رينيسنب وقالت: أشعر كأنني أوشك أن أتقيأ.

كان ذلك صحيحاً إلى حد ما، فقد أثارت الصورة التي تخيلتها شعوراً قوياً بالغثيان، وتقبلت كيت كلماتها بمعناها الظاهر فقالت: لقد أكلتِ كثيراً من البلح الأخضر، أو لعله السمك.

- لا، لا، لم يكن ذلك بسبب شيء أكلته. إنه ذلك الأمر الفظيع الذي نعيش فيه.

- آه، هذا؟

كانت لامبالاة كيت واضحة مما دفع رينيسنب إلى أن تحدق إليها وتقول: كيت، ألست خائفة؟

فكرت كيت قليلاً قبل أن تجيب: نعم، لا أظن أنني خائفة. إذا حدث أي شيء لإمحوتب فسوف يحمي حوري الأطفال. حوري أمين، وسوف يحافظ على ميراثهم.

- سوف يفعل يحموس ذلك.

- سيموت يحموس أيضاً.

- كيت، إنك تقولين هذا بهدوء! ألا تهتمين أبداً؟ أعني ألا تهتمين بموت والدي ويحموس؟

فكرت كيت لحظات ثم هزت كتفيها قائلة: إننا امرأتان معاً. دعينا نكنْ صادقتين؛ لقد نظرت إلى إمحوتب دوماً كطاغية وظالم، تصرف ببشاعة عندما غضبت جاريته وأقنعته بحرمان أولاده الذين هم من لحمه ودمه من الميراث. لم أحب إمحوتب أبداً، أما يحموس فإنه نَكِرة... كانت ساتيبي تسيطر عليه، وأخيراً ومنذ وفاتها أعطى نفسه السلطة وبدأ يعطي الأوامر. سوف يفضّل أولاده دائماً على أولادي، وهذا طبيعي، لذلك فإذا مات فهو أفضل لأولادي... هكذا أرى الأمر. أما حوري فليس لديه أطفال وهو عادل. كل الأمور التي حدثت مزعجة، لكنني بدأت أفكر - مؤخراً - بأنها ربما كانت تحمل في طياتها خيراً.

- كيف تقولين هذا يا كيت بهدوء وبرود، وقد كان زوجك الذي أحببتِه أولَ من قُتل؟

لاح على وجه كيت تعبير غامض؛ نظرت إلى رينيسنب نظرة فيها شيء من السخرية المزرية وقالت: إنك تشبهين تيتي يا رينيسنب

في بعض الأحيان... حقاً يمكن للمرء أن يقسم أنك لست أكبر منها.

تحدثت رينيسنب ببطء: أنت لا تحزنين على سوبك؛ لقد لاحظت ذلك.

- دعك من ذلك يا رينيسنب. لقد وفيت بكل العهود، وأعرف كيف يجب على أرملة حديثة العهد أن تتصرف.

- نعم، وهذا هو كل ما فعلتِه تجاه موته. إذن فهذا يعني أنك لم تكوني تحبين سوبك؟

هزت كيت كتفيها وقالت: ولماذا أحبه؟

- كيت! لقد كان زوجك، لقد أعطاك أطفالاً!

رقّت ملامح كيت ونظرت إلى الصبيّين الصغيرَين المنهمكين في اللعب بالطين، ثم نظرت حيث كانت آنخ تتدحرج وتنشد وتلوح بقدميها. قالت: أجل، لقد منحني أطفالي، وأنا شاكرة له لهذا السبب. لكن، ماذا كان هو؟ رجلاً وسيماً متبجحاً يلهث دوماً خلف النساء. إنه لم يتخذ زوجة بطريقة شريفة ويحضرها إلى بيته، زوجة متواضعة كان يمكن لها أن تنفعنا جميعاً، بل كان يذهب إلى البيوت سيئة السمعة ويصرف الكثير من الذهب والنحاس هناك ويشرب ويطلب أغلى الراقصات... لقد كان من حسن الحظ أن إمحوتب تركه محتاجاً وكان يحاسبه جيداً عن كل الصفقات التي أجراها للمزرعة. أي حبٍّ واحترام يجب أن أكنّه لرجل مثل هذا؟ وما هم الرجال بأي حال؟ إنهم ضرورة لإنجاب الأطفال، هذا كل شيء، لكن قوة العِرْق

في النساء. نحن يا رينيسنب اللاتي نورث لأبنائنا كل ما لدينا، وأما الرجال فدعيهم ينجبون ثم يموتون مبكراً.

زاد الازدراء والاحتقار في صوت كيت تدريجياً وقد تغير وجهها القوي البشع. وفكرت رينيسنب باستياء: كيت قوية، وإذا كانت غبية فإنه غباء يسبب لها الرضا. إنها تكره الرجال وتحتقرهم. كان يجب أن أعرف... لقد لاحظت ذات مرة ميزة الكره هذه. نعم، إن كيت قوية.

وبلا تفكير وقعت عينا رينيسنب على يدي كيت. كانتا تضغطان وتعجنان الطين، وفكرت رينيسنب: يدان قويتان، رجوليتان!

وفكرت رينيسنب -وهي تراقبهما تضغطان الطين- في آيبي واليدين القويتين اللتين تدفعان رأسه إلى الماء وتبقيان عليه هناك بلا رحمة، أجل، تستطيع يدا كيت فعل ذلك.

تدحرجت الفتاة الصغيرة آنخ إلى نبتة شوكية وأطلقت صرخة باكية، فأسرعت كيت إليها ورفعتها وقرّبتها إلى صدرها وهي تدندن لها، وامتلأ وجهها بالحب والعطف.

وأسرعت حينيت تركض من الشرفة تنادي: هل حدث شيء؟ إن صراخ الطفلة مرتفع. لقد ظننت، ربما...

ثم سكتت وهي تشعر بخيبة الأمل، وتراجع وجهها المتلهف اللئيم الحاقد الذي كان يأمل حدوث كارثة.

ونظرت رينيسنب إلى المرأتين: الكره في وجه الأولى والحب في وجه الأخرى، وتساءلت: أيهما أكثر فظاعة؟

-٣-

- يحموس، احذر، احذر كيت!

- كيت؟ كيت؟!

بدت الدهشة على يحموس وقال: عزيزتي رينيسنب...

- أقول لك إنها خطيرة.

- كيت الهادئة؟ كانت دائماً امرأة خانعة وخاضعة وغير ذكية.

قاطعته رينيسنب: إنها ليست خنوعة، وأنا أخاف منها يا يحموس. أريد منك أن تأخذ حذرك.

أجابها غيرَ مصدّق: مِن كيت؟ لا أستطيع أن أرى كيت تنشر الموت هنا! ليس لديها الذكاء الكافي لذلك.

- لا أظن أن العقل هو المطلوب. كل ما يحتاجه الأمر هو معرفة في السموم، وأنت تعلم أن مثل هذه المعرفة تكون بين بعض العائلات. إنهم يتناقلونها من الأمهات حتى البنات، يحضّرون هذه السموم بأنفسهم من أعشاب فعالة؛ نوع من المعارف الشعبية ربما تكون كيت حصلت عليه بسهولة... إنها تحضّر الدواء لأولادها حين يمرضون كما تعلم.

تحدث يحموس وهو يفكر: نعم، هذا صحيح.

- وحينيت أيضاً امرأة شريرة.

- حينيت؟ نعم، لم نحبها أبداً. وفي الحقيقة لولا حماية والدي...

- والدي مخدوع بها.

- لعل هذا صحيح، إنها تخادعه.

نظرت إليه رينيسنب لحظة باندهاش. للمرة الأولى تسمع يحموس يتفوّه بجملة فيها انتقاد لإمحوتب؛ فقد بدا خائفاً من والده دائماً من قبل. ولكنها أدركت الآن أن يحموس يتولى القيادة تدريجياً. لقد هرم إمحوتب عدة سنوات خلال الأسابيع القليلة الماضية ولم يعد قادراً على إعطاء الأوامر أو اتخاذ القرارات، حتى نشاطه الجسدي ضعف فصار يُمضي ساعات طويلة محدّقاً أمامه وعيناه ذاهلتان تعلوهما الغشاوة، ويبدو أحياناً كأنه لا يفهم الكلام الذي يوجَّه إليه.

- أتظن أنها...

سكتت ونظرت حولها، ثم عادت تقول: أتظن أنها هي التي... التي...

أمسك يحموس بذراعها وقال: اهدئي يا رينيسنب؛ من الأفضل لهذه الأمور ألاّ تُقال، بل ينبغي أن يُهمَس بها.

- إذن فأنت أيضاً تظن...؟

قال يحموس بلطف وإلحاح: لا تقولي الآن أي شيء؛ فلدينا خططنا.

* * *

الفصل الثاني والعشرون
الشهر الثاني من فصل الصيف
اليوم السابع عشر

-١-

كان اليوم التالي هو يوم الاحتفال بالقمر الجديد، واضطر إمحوتب أن يصعد إلى الضريح لكي يقدم القرابين. رجا يحموس والدَه أن يدَعه يقوم بالأمر في هذه المناسبة لكن إمحوتب كان مصمّماً، وقال هامساً فيما بدا الآن محاكاة ضعيفة مضحكة لأسلوبه القديم: إذا لم أهتم بالأمور بنفسي فكيف أتأكد أنها نفذت بدقة؟ هل تهربت يوماً من واجباتي؟ ألم أنفق عليكم جميعاً وأعلتكم جميعاً؟

وتوقف صوته وهو يقول: جميعكم؟ الجميع... آه! لقد نسيت... أبنائي الشجعان، سوبك الوسيم وآيبي الذكي المحبوب، ذهبا مني! يحموس وابنتي رينيسنب، بُنيّ وابنتي العزيزين، إنكما لا تزالان معي، ولكن حتى متى؟ حتى متى؟

قال يحموس: لسنوات طويلة عديدة كما نأمل.

تحدث يحموس بصوت مرتفع كأنه يتحدث إلى رجل أصم، فهتف أبوه: آه! ماذا؟

بدا إمحوتب وكأنه قد دخل في غيبوبة، وقال فجأة: الأمر يعتمد على حينيت، أليس كذلك؟ بلى، يعتمد على حينيت.

تبادل يحموس و رينيسنب النظرات، وقالت رينيسنب برقة ووضوح: لا أفهمك يا أبي.

همس إمحوتب بحديث لم يفهمه يحموس ورينيسنب، ثم قال وقد رفع صوته قليلاً وعيناه ما تزالان معتمتين وفارغتين: حينيت تفهمني وتعرف كم هي كبيرة المسؤوليات الملقاة على عاتقي. نعم، كم هي ضخمة! ودائماً الجحود، إذن فلا بد من التوبيخ. أظن أن هذا تقليد مُتّبع؛ لا بد من معاقبة الوقاحة. كانت حينيت متواضعة دائماً ومخلصة، سوف تُكافَأ...

ثم استقام وقال بتفاخر: هل تفهم يا يحموس؟ يجب أن تحصل حينيت على كل ما تريد، يجب أن تطاع أوامرها!

- لكن لماذا يا والدي؟

- لأنني أقول ذلك؛ لأن حينيت إذا حصلت على ما تريد فلن تحصل مزيد من الوَفَيات.

أومأ برأسه بحكمة ثم ابتعد تاركاً يحموس ورينيسنب يحدقان بعضهما إلى بعض بدهشة وذعر.

- ما معنى هذا يا يحموس؟

- لا أعلم يا رينيسنب. أحياناً أظن أن والدي لم يعد يدري ما يفعله أو يقوله.

- لا، لا أعتقد ذلك، ولكني أظن -يا يحموس- أن حينيت تعلم جيداً ما تقوله وتفعله. لقد قالت لي بالأمس إنها هي التي ستلوح بالسوط ذات يوم في هذا المنزل.

نظر إليها، ثم وضع يده على ذراعها وقال: لا تغضبيها، إنك تظهرين عواطفك بوضوح يا رينيسنب، وقد سمعت ما الذي قاله والدي: إذا حصلت حينيت على ما تريده فلن يكون مزيد من الوفيات.

-٢-

جلست حينيت في أحد المخازن تعد كوماً من الملاءات. كانت ملاءات قديمة، وأمسكت بالعلامة الظاهرة عند زاوية إحداها وأغمضت عينيها وهمست: آشايت... ملاءات آشايت، ومكتوب عليها السنة التي قدمت فيها هنا، هي وأنا معاً. كان ذلك منذ زمن بعيد، أتعلمين لماذا تُستعمل ملاءاتك الآن يا آشايت؟

قاطعتها ضحكة فجفلت، وجعلها الصوت تنظر وراءها...

كان يحموس، وسألها قائلاً: ماذا تفعلين يا حينيت؟

- المحنّطون بحاجة إلى مزيد من الملاءات... لقد استعملوا أربعمئة ذراع أمس فقط. إن هذه الجنازات تستهلك الملاءات بشكل

فظيع! يجب أن تُستعمل القديمة هذه، فنوعها جيد ولم تهترئ. إنها ملاءات أمك يا يحموس... نعم، ملاءات أمك!

- مَن قال إن بإمكانك أن تأخذيها؟

ضحكت حينيت وقالت: إمحوتب ترك كل شيء تحت تصرفي، ولذا فلست مضطرة لأن أستأذن. إنه يثق بحينيت المسكينة العجوز، وهو يعلم أنها تدير الأمور إدارة صحيحة. لقد اهتممت بمعظم الأمور في هذا المنزل فترة طويلة، وأظن أنه يجب أن أحصل على مكافأتي.

- يبدو كذلك يا حينيت، لقد قال والدي إن كل شيء يعتمد عليك.

- هل قال ذلك أخيراً؟ من اللطيف سماع ذلك، ولكن ربما لا تعتقد أنت ذلك يا يحموس.

قال يحموس وهو يراقبها باهتمام ولهجته ما زالت معتدلة: لست واثقاً تماماً.

- أرى أن من الأفضل أن تتفق مع رأي والدك يا يحموس؛ فنحن لا نريد مزيداً من المتاعب، أليس كذلك؟

- لا أفهم جيداً، أتعنين أننا لا نريد مزيداً من الوَفَيات؟

- ستكون مزيد من الوفيات يا يحموس. آه، نعم!

- ومَن سيموت تالياً يا حينيت؟

- لماذا تظن أنني يجب أن أعرف ذلك؟

- لأنك تعرفين كثيراً. عرفتِ في ذلك اليوم -مثلاً- أن آيبي سيموت! أنت ذكية جداً يا حينيت، أليس كذلك؟

شمخت حينيت بأنفها وقالت: إذن فقد بدأت تدرك ذلك الآن؟ إنني لست حينيت الغبية المسكونة بعد الآن، أنا الشخص الذي يعرف.

- ما الذي تعرفينه يا حينيت؟

تغير صوت حينيت الذي كان خافتاً وحاداً وهي تقول: أعرف أنني أستطيع أخيراً أن أفعل ما أريد في هذا المنزل. لن يوقفني أحد... إمحوتب يعتمد عليّ فعلاً، وأنت سوف تفعل الشيء نفسه يا يحموس. أليس كذلك؟

- ورينيسنب؟

ضحكت حينيت ضحكة سعيدة خبيثة وقالت: لن تكون رينيسنب هنا.

- أتظنين أن رينيسنب هي التي سوف تموت أولاً إذن؟

- ماذا تعتقد أنت يا يحموس؟

- إنني أنتظر سماع ما ستقولينه.

- ربما عنيتُ فقط أن رينيسنب سوف تتزوج وتذهب بعيداً.

- ولكن ما الذي عنيتِه فعلاً يا حينيت؟

ضحكت حينيت وقالت: قالت إيزا ذات يوم إن لساني خطير، ولعله كذلك.

ثم ضحكت بشدة وقالت: حسناً يا يحموس، ماذا تقول؟ هل سأفعل أخيراً ما أريد في هذا المنزل؟

تأملها يحموس لحظة قبل أن يقول: نعم يا حينيت؛ إنك ذكية، وسوف تفعلين ما تريدين.

ثم استدار ليلتقي بحوري الذي جاء من الصالة الرئيسية قائلاً: ها أنت يا يحموس. إمحوتب ينتظرك، حان الوقت لكي نصعد إلى الضريح.

أومأ يحموس قائلاً: أنا قادم.

ثم خفض صوته وهو يقول: حوري، أظن أن حينيت جُنّت؛ لقد تأثرت بالشياطين بلا شك، وقد بدأتُ أظن أنها هي المسؤولة عن كل ما حدث.

سكت حوري لحظة قبل أن يقول بصوته الهادئ اللامبالي: إنها امرأة غريبة، وأظنها امرأة شريرة.

خفض يحموس صوته أكثر وقال: حوري، أظن أن رينيسنب في خطر.

- من حينيت؟

- نعم، لقد ألمحَت الآن إلى أن رينيسنب ربما تكون التالية.

ثم سُمع صوت إمحوتب يقول باستياء: هل أنتظر طوال اليوم؟ ما هذا التصرف؟ لا أحد يهتم بي بعد الآن، لا أحد يعلم ما الذي أعانيه. أين حينيت؟ حينيت تفهم.

ومن غرفة المخازن جاءت ضحكة حينيت الحادة المعبرة عن الانتصار: هل تسمع هذا يا يحموس؟ حينيت هي الشخص المطلوب.

قال يحموس بهدوء: نعم يا حينيت؛ أفهم. أنت الشخص القوي، أنت ووالدي وأنا، نحن الثلاثة معاً.

ذهب حوري للبحث عن إمحوتب، وتحدث يحموس مع حينيت بضع كلمات وهي تهز رأسها موافِقةً ووجهها يلمع بانتصار خبيث، ثم انضم يحموس إلى حوري وإمحوتب وهو يعتذر عن التأخير وصعد الرجال الثلاثة إلى الضريح معاً.

-٣-

مر اليوم بطيئاً على رينيسنب. كانت قلقة تروح وتجيء من الشرفة وإليها، ثم إلى البحيرة، ثم تعود مرة أخرى إلى المنزل.

وعاد إمحوتب في منتصف النهار، وبعد أن قُدّمت له وجبة الطعام خرج إلى الشرفة، وانضمت رينيسنب إليه وجلست وقد أمسكت بركبتيها وهي تنظر إلى وجه والدها بين الحين والآخر.

ما زال يعتريه ذلك التعبير من الذهول والدهشة. تحدث إمحوتب قليلاً وتنهد أكثر من مرة بعمق، ونهض في إحدى المرات وطلب حينيت، لكن حينيت كانت قد ذهبت في ذلك الوقت بالذات لتقدم الملاءات الكتانية إلى المحنطين.

سألت رينيسنب والدَها عن مكان حوري ويحموس، فقال:

حوري خرج إلى حقول الكتان من أجل حسابات تجب مراجعتها هناك، ويحموس في المزرعة، فجميع الأعباء ملقاة على كاهله. واحسرتاه على سوبك وآيبي! ولديّ الوسيمين!

حاولت رينيسنب إشغاله بسرعة: ألا يستطيع كاميني الاهتمام بالعمال؟

- كاميني؟ مَن هو كاميني؟ ليس لدي ابن بهذا الاسم.

- كاميني الكاتب، كاميني الذي سيكون زوجي.

حدق إليها وقال بدهشة: أنت يا رينيسنب؟ لكنك سوف تتزوجين خاي.

تنهدت ولم تضف شيئاً. بدا من القسوة محاولة إرجاعه إلى الحاضر، ورغم ذلك فقد نهض بعد لحظات وهتف فجأة: بالطبع، كاميني! لقد ذهب يعطي التعليمات للمراقب في المعصرة، ويجب أن أذهب وأنضم إليه.

مشى مبتعداً وهو يهمس لنفسه وقد استعاد سلوكه الأول، فشعرت رينيسنب ببعض الابتهاج. ربما كانت هذه الغمامة التي خيمت على عقله مجرد أمر طارئ.

ونظرت رينيسنب حولها، وأحست بشيء مشؤوم يكتنف هذا الصمت الذي يلف المنزل والفناء؛ كان الأطفال عند الجانب البعيد من البحيرة ولم تكن كيت معهم، وتساءلت رينيسنب عن مكانها.

ثم خرجت حينيت إلى الشرفة فنظرت حولها، ثم أتت وقد

انحرفت بسيرها نحو رينيسنب. كانت قد استعادت سلوكها المتملق المتذلل وهي تقول: كنت أنتظر حتى أستطيع أن أجدك وحدك يا رينيسنب.

- لماذا يا حينيت؟

خفضت حينيت صوتها: لدي رسالة لك من حوري.

تلهفت رينيسنب وقالت: ماذا يقول؟

يطلب منك الصعود إلى الضريح.

- الآن؟

- لا، لكن كوني هناك قبل ساعة من غروب الشمس. هذه هي الرسالة، وإذا لم يكن هو هناك فإنه يطلب إليك أن تنتظريه حتى يأتي... إنه يقول إن الأمر مهم.

وسكتت حينيت ثم أضافت: كان عليّ أن أنتظر حتى أجدك وحدك لأقول لك هذا، إذ لم يكن ينبغي لأحد أن يسمعنا.

وانصرفت حينيت مبتعدة، فارتفعت معنويات رينيسنب قليلاً وشعرت بالسرور من فكرة الصعود إلى حيث السلام والهدوء المتوفران في الضريح، ولأنها سترى حوري وتتحدث معه بحرية. لكن أدهشها قليلاً أنه عَهِدَ بهذه الرسالة إلى حينيت... ورغم كراهية حينيت وخبثها فقد أوصلت إليها الرسالة بأمانة.

قالت ريتيسنب في نفسها: ولماذا يجب أن أخاف من حينيت في أي وقت؟ أنا أقوى منها.

ثم نهضت بفخر، وقد شعرت بالشباب والثقة والحيوية الفائقة.

-٤-

بعد أن سلمت حينيت الرسالة إلى رينيسنب عادت إلى مخزن الكتان مرة أخرى، وكانت تضحك سراً مع نفسها.

انحنت فوق كومة الملاءات المبعثرة وقالت لها بسرور: سوف نحتاج إليك مرة أخرى قريباً. أتسمعين يا آشايت؟ أنا السيدة هنا، وأنا أقول لك إن ملاءتك الكتانية سوف تحتضن جسداً آخر. ومَن تظنين أن هذا الجسد سيكون؟ أنت لم تستطيعي فعل أي شيء بشأن هذا الموضوع، أليس كذلك؟ أنت وشقيق أمك النومارتش حامي العدالة؟ أية عدالة يمكن لك تحقيقها في هذا العالم؟ أجيبيني عن ذلك.

بدت حركة من خلف رُزَم الكتان، واستدار رأس حينيت نصف استدارة.

عندها أُلقيت فوقها ملاءة عريضة من الكتان كتمت فمها وأنفها، ولفّت يدٌ لا ترحم القماشَ حول جسمها عدة مرات وعصبتها كجثة حتى توقفت مقاومتها.

* * *

سيل وشيعها ألفريد إلى الخارج، ثم رنّ الجرس فصعد ألفريد مصطحباً معه أمبيريوتيس ووجد الطبيب يغسل يديه وراء الباب بطريقة عادية. وهكذا دخل أمبيريوتيس إلى الغرفة فأجلستَه على الكرسي، وأشار إلى ضرسه الذي يؤلمه. تحدثتَ الحديث المعتاد وشرحتَ له قائلاً بأنه من الأفضل تخدير اللثة. البروكين والأدرينالين موجودان، وقد حقنتَه بكمية كبيرة كافية لأن تقتله، وفوق ذلك كانت الحقنة تضمن عدم شعوره بتواضع مواهبك في طب الأسنان! غادر أمبيريوتيس دون أي ارتياب، فأخرجت جثة مورلي ورتبت وضعها على الأرض، وقد تعيّن عليك الآن أن تجرها قليلاً على السجاد لأنك كنت وحدك. مسحت البصمات الموجودة على المسدس ووضعته في يده ومسحت مقبض الباب حتى لا تكون بصماتك هي آخر البصمات، أما الأدوات التي استخدمتَها فقد وضعتَها كلها في جهاز التعقيم. وأخيراً خرجتَ من الغرفة ونزلتَ الدرج وغادرتَ من الباب الخارجي للمبنى في لحظة مناسبة. وتلك كانت لحظة الخطر الوحيدة التي صادفتك.

كان يجب أن يمر كل شيء مرور الكرام! شخصان كانا يهددان سلامتك... كلاهما مات. ورجل ثالث قُتل أيضاً وهو مورلي، ولكن قتل الطبيب -من وجهه نظرك- لم يكن بالإمكان تجنبه. كل شيء يسهل تفسيره. يتم تبرير انتحار مورلي بالقول إنه أخطأ في علاج أمبيريوتيس، ثم تشطب الوفيتان على اعتبار أنه حادث من الحوادث المؤسفة.

ولكن لسوء حظك كنتُ أنا موجوداً على مسرح الأحداث. أنا الذي ارتبت وأنا الذي عارضت. ولم يجرِ كل شيء بسهولة كما كنت

تأمل، لذلك لا بد من وجود خط دفاع ثان؛ لا بد من وجود كبش فداء إن لزم الأمر. كنتَ قد درست -بعناية- أوضاع مَن يسكنون ويعملون مع مورلي، ووجدت أن هذا الرجل، فرانك كارتر، يمكن أن يفيدك. ولذلك عملت شريكتك على توظيفه بستانياً بطريقة غامضة، وإذا أذاع هذه القصة السخيفة بعد ذلك فلن يصدقه أحد. وفي الوقت المناسب ستظهر تلك الجثة في صندوق الفراء، وسوف يظنون في البداية أنها جثة الآنسة سينسبري سيل، ثم سيأخذون بشهادة طبيب الأسنان. ضجة كبيرة! قد يبدو كل ذلك تعقيداً لا ضرورة له، لكنه كان ضرورياً. أنت لا تريد أن يبحث الشرطة في إنكلترا عن امرأة مفقودة تدعى السيدة تشابمان. كلا، ولذلك فلتمت السيدة تشابمان هذه، ولتكن مابيل سينسبري سيل هي التي يبحث الشرطة عنها، طالما أن الشرطة لن يستطيعوا العثور عليها أبداً. كما أنك تستطيع -من خلال نفوذك- العمل على إسقاط القضية.

لقد فعلت ذلك فعلاً، ولكن بما أنه كان من الضروري لك أن تعرف ما كنت أفعله أنا، فقد أرسلت في طلبي وألححت علي بأن أجد لك تلك المرأة المفقودة، وواصلتَ باستمرار دسّ بطاقة الساحر المزيفة أمام عيني بغية تضليلي. اتصلت شريكتك بي تحذرني بأسلوب مثير... نفس الفكرة؛ التجسس... الاعتبار العام للقضية. إن زوجتك هذه ممثلة ذكية، ولكن حتى تغير صوتها كان الميل الطبيعي هو تقليد صوت آخر، وهكذا قامت زوجتك بتقليد نبرة صوت السيدة أوليفيرا، وأعترف بأن ذلك حيرني كثيراً.

ثم أخذتني معك إلى إيكسهام حيث تم تمثيل الدور الأخير. كم هو سهل وضع مسدس معبأ بين الأشجار فيأتي رجل يقلمها فتنطلق

منه رصاصة دون قصد منه، ويسقط المسدس تحت قدميه فيرفعه وهو ممتلئ رعباً. ما الذي تريده أكثر من ذلك؟ لقد أمسكت به متلبساً بالجريمة، وهو لا يملك غير قصة سخيفة لا تصدق، ومسدسه يشبه تماماً ذلك المسدس الذي قتل به مورلي. وكل ذلك كان فخاً نُصب لتنزلق فيه رجل هيركيول بوارو.

تململ أليستير بلانت على كرسيه. كان وجهه متجهماً وكئيباً، وقال: لا تسئ فهمي يا سيد بوارو. ما هو مدى التخمين في قصتك هذه، وما هو مدى المعرفة الحقيقية؟

- لديّ شهادة الزواج من مكتب تسجيل قرب أوكسفورد... زواج مارتن أليستير بلانت وغيردا غرانت. وفرانك كارتر شاهد رجلين يغادران عيادة مورلي بعد الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة. الأول كان رجلاً بديناً، وهو أمبيريوتيس، والثاني هو أنت بالطبع، وإن لم ينجح فرانك كارتر في تمييزك؛ فقد رآك من أعلى فقط.

- يا لإنصافك إذ تذكر ذلك!

- دخل العيادة فوجد جثة مورلي. كانت اليدان باردتين وكانت حول الجرح دماء جافة، وهذا يعني أن مورلي قد مات منذ وقت ليس بالقصير؛ ولذلك فإن الطبيب الذي عالج أمبيريوتيس لا يمكن أن يكون مورلي، بل لا بد أنه قاتل مورلي.

- هل بقي شيء آخر؟

- نعم. تم اعتقال هيلين مونترسور هذا المساء.

تحرك أليستير بلانت حركة قوية ثم جلس ساكناً. قال: هذا... يقضي على كل الآمال.

- نعم. إن هيلين مونترسور الحقيقية (ابنة عمك البعيدة) قد ماتت في كندا قبل سنوات. لقد أخفيت الحقيقة واستفدت منها.

ارتسمت على شفتي أليستير بلانت ابتسامة. كان يتكلم بأسلوب طبيعي واستمتاع صبياني: لقد وجدت غيردا متعة في هذا الأمر. أريدك أن تفهم؛ فأنت رجل ذكي. لقد تزوجتها دون معرفة أهلي، فقد كانت -في ذلك الوقت- تعمل ممثلة في أحد المسارح، وكان أقاربي متزمتين، وكنت سأدخل في الشركة. اتفقنا على كتمان الخبر. وقد استمرت هي في التمثيل، وكانت مابيل سينسبري سيل في الفرقة هي أيضاً فعرفت بأمرنا. ثم سافرت مابيل إلى الخارج مع شركة سياحية، وتلقت غيردا منها رسالة أو رسالتين من الهند، ثم لم تعد تكتب لها الرسائل، فقد تورطت -بعد ذلك- مع رجل هندي. كانت مابيل دائماً فتاة غبية ساذجة.

ليتني أستطيع إفهامك ملابسات التقائي مع ربيكا وزواجي بها. لقد تفهمت غيردا الأمر. إن أفضل ما يمكن أن أعبّر به عن تلك الفرصة هو أنها كانت أشبه بمملكة تفتح أمامي، فلقد أتيحت لي الفرصة لأن أتزوج ملكة وأن أقوم بدور الأمير، أو حتى الملك. كنت أنظر إلى زواجي بغيردا على أنه زواج غير متكافئ، ولكنني أحببتها وسار كل شيء بشكل رائع. نعم، أحببت ربيكا حباً كبيراً، وقد كانت امرأة ذات عقلية مالية من الطراز الأول، وكانت عقليتي المالية بنفس المستوى، وهكذا شكّلنا -معاً- فريق عمل رائعاً... كان ذلك مثيراً

إلى أبعد حد. كانت رفيقة ممتازة وأظن أنني جعلتها سعيدة، وقد شعرت بالحزن الحقيقي عند وفاتها.

والأمر الغريب هو أنني وغيردا قد بدأنا نستمتع بلقاءاتنا السرية، وكانت لنا طرق مبتكرة في التخفي أصبحنا نحبها. كانت ممثلة بحكم طبيعتها، وكان لديها مخزون من عددٍ من الشخصيات التي تستطيع تمثيلها في آن واحد، ولم تكن السيدة تشابمان سوى واحدة منها فحسب. وقد شملت الشخصيات الأخرى شخصية أرملة أمريكية تعيش في باريس التقيت بها عندما ذهبت في رحلة عمل هناك، وشخصية امرأة اعتادت على السفر إلى النرويج مع لوحاتها كونها رسامة، وقد التقيتها عندما ذهبت إلى هناك لصيد الأسماك ثم -بعد ذلك- قدمتها إلى الناس على أنها ابنة عمي، هيلين مونترسور.

كانت اللعبة متعة كبيرة لنا، وقد ساهمت في إبقاء جذوة الحب بيننا متقدة. كان باستطاعتنا الإعلان عن زواجنا بعد وفاة ربيكا، لكننا لم نرد ذلك؛ فقد كان من شأن غيردا أن تجد صعوبة في أن تعيش حياتي الرسمية، وبالطبع كان يمكن لشيء من الماضي أن ينبعث من جديد. لكنني أعتقد أن السبب الحقيقي الذي جعلنا نستمر في علاقتنا هذه وفي إخفاء زواجنا عن الناس أننا كنا نستمتع بهذا النمط من الحياة.

سكت بلانت قليلاً، ثم قال بصوت اختلفت نبرته وظهرت فيه القسوة: ثم جاءت تلك المرأة الغبية اللعينة وأفسدت كل شيء. عرفتني... بعد كل هذه السنين! وأخبرت أمبيريوتيس. يجب أن تفهم أنني كنت ملزماً بفعل شيء؛ فالأمر ليس أمري أنا فقط. ليس في الأمر

شيء من الأنانية، فإذا دُمرت حياتي ولحقني العار فإن بلدي سيتضرر أيضاً. لقد عملت أشياء مهمة لإنكلترا يا سيد بوارو، لقد ساهمت في إبقائها ثابتة مقتدرة مالياً وخالية من الاستبداد والفاشية والشيوعية. إنني لا أهتم حقاً للمال بصفته المجردة، ولكنني -فعلاً- أحب النفوذ، فهو محور حياتي، ولئن ذهبتُ فإنك تعرف ما يمكن أن يحدث.

إن بلدي يحتاجني يا سيد بوارو، وقد أراد شرير خائن مبتزٌ من اليونان أن يحطم إنجازات حياتي، فلم يكن بد من فعل شيء. وقد أدركت غيردا ذلك أيضاً. شعرنا بالأسف على تلك المرأة، سينسبري سيل، ولكن الأسف لم يكن ليجدي؛ فقد كان يجب أن نسكتها. لم يكن باستطاعتنا الثقة بأنها ستمسك لسانها. ذهبت غيردا لرؤيتها ودعتها لتناول الشاي مع السيدة تشابمان وقدمت لها العنوان، وهكذا جاءت مابيل سينسبري سيل إلى الشقة بمجمع الملك ليوبولد دون أي ارتياب. لم تكن تعرف أي شيء، وكانت حبوب الميدنال في الشاي... إنها لا تؤلم أبداً؛ ينام المرء أولاً ولا يستيقظ بعدها أبداً. ثم قمنا بتشويه الوجه فيما بعد. كان عملاً يثير الغثيان لكننا شعرنا بأنه ضروري؛ فقد كان يجب أن تذهب السيدة تشابمان إلى الأبد. وكنت قد أعطيت «ابنة عمي» هيلين كوخاً تعيش فيه، وقررنا أن نعلن زواجنا بعد فترة مناسبة، ولكن كان علينا -قبلها- أن نتخلص من أمبيريوتيس. سار العمل بشكل رائع؛ لم تداهمه أية شكوك بأنني لست طبيباً حقيقياً. وقمت باستخدام الحفارة اليدوية بطريقة جيدة، إذ لم أغامر باستخدام الحفارة الكهربائية. وبالطبع لم يكن بمقدوره -بعد الحقنة- أن يشعر بما أفعله، وكان هذا هو المطلوب أصلاً.

سأل بوارو: والمسدسان؟

- الواقع أنهما يعودان لسكرتير كان يعمل عندي في أميركا، وقد اشتراهما من الخارج، وعندما ترك العمل عندي نسي أن يأخذهما.

سكت أليستير بلانت قليلاً ثم سأل: هل بقي أي شيء آخر تريد معرفته؟

- ماذا عن مورلي؟

رد عليه بلانت ببساطة: لقد شعرت بالأسف عليه.

- نعم، فهمت...

ثم سكتا طويلاً. وبعدها قال بلانت: حسناً يا سيد بوارو، وماذا الآن؟

- لقد اعتُقلت هيلين مونترسور.

- والآن دوري، أليس كذلك؟

- هذا ما قصدته، بلى.

رد عليه بلانت بهدوء: لكنك لست سعيداً بهذا الخصوص، أليس كذلك؟

- نعم؛ لست سعيداً أبداً.

- لقد قتلتُ ثلاثة أشخاص، وهذا يستوجب أن أُعدم. لكنك سمعت دفاعي.

- وما هو... بالضبط؟

- أنني أعتقد -من كل قلبي- بأن وجودي ضروري لاستمرار الرفاهية والازدهار في هذا البلد.

- قد يكون هذا صحيحاً... نعم.

- أنت توافقني إذن؟

- نعم، أوافقك. إنك تمثل الأشياء التي أعتبرها مهمة؛ العقلانية والتوازن والاستقرار.

قال أليستير بلانت بهدوء: "أشكرك". ثم أضاف: حسناً، وماذا الآن؟

سأله بوارو: هل تقترح عليّ... أن أخرج من القضية؟

- نعم.

- وزوجتك؟

- إنني أملك نفوذاً كبيراً، وسنقول بأنه حصل التباس في الشخصية.

- وإذا رفضت أنا؟

- إذن فأنا لها.

ثم أكمل يقول: الأمر بيديك الآن يا بوارو. الأمر يرجع إليك، لكنني أريد أن أقول لك -وهذا ليس من باب حب البقاء- إن في هذا العالم حاجة إليّ. هل تعرف لماذا؟ لأنني صاحب فطرة سليمة وحصافة، وليست لديّ مصالح شخصية.

أومأ بوارو برأسه موافقاً. كان الغريب أنه يصدق ذلك كله، ولكنه قال: نعم، هذا جانب واحد. أنت الرجل المناسب في المكان المناسب... إنك تملك عقلاً سليماً وحكماً حصيفاً واتزاناً، ولكن يوجد جانب آخر؛ لقد مات ثلاثة من البشر.

- نعم، ولكن فكر فيهم: مابيل سينسبري سيل؟ أنت قلت بنفسك إنها امرأة بعقل دجاجة! أمبيريوتيس؟ رجل محتال ومبتز!

- ومورلي؟

- قلت لك من قبل إنني آسف على مورلي. لكن مع ذلك... رغم أنه كان رجلاً مهذباً وطبيباً جيداً في عمله، إلا أنه يوجد أطباء آخرون غيره.

- نعم، يوجد أطباء غيره. وفرانك كارتر؟ هل كنت ستدعه يموت دون ندم؟

- أنا لن أبدد أية شفقة عليه؛ فهو غير صالح، إنه شقي نتن.

- لكنه كائن... بشر.

- آه، حسناً، كلنا بشر.

- نعم، كلنا بشر، هذا ما لم تتذكره. لقد قلت بأن مابيل سينسبري سيل كانت امرأة حمقاء غبية وأن أمبيريوتيس شخص شرير وأن فرانك كارتر وغد، ومورلي... مورلي كان مجرد طبيب أسنان يوجد آخرون سواه. هنا في هذه النقطة أختلف معك يا سيد بلانت؛ لأن حياة هؤلاء الأربعة -بالنسبة لي- هي بنفس أهمية حياتك.

- أنت مخطئ.

- كلا، لست مخطئاً. أنت رجل صاحب أمانة ورأي سديد، ولقد انحرفت عن الخط المستقيم خطوة واحدة... ولم يؤثر ذلك عليك ظاهرياً. لقد واصلت التظاهر -أمام الناس- بنفس الاستقامة والأمانة، لكنك -في داخلك- ازددت حباً للسلطة إلى مستوىً أعماك عن الحقيقة، ولذلك فإنك تضحي بحياة أربعة من البشر وتعتبر أن لا أهمية لهم.

- ألا تدرك يا بوارو أنني مهم لسعادة الأمة؟

- لست معنياً بالأمم يا سيدي. إنني معني بحياة الأفراد والأشخاص ممن يمتلكون حقاً لا يجيز اغتيال حياتهم.

ثم نهض من مجلسه، فقال أليستير بلانت: إذن فهذا هو جوابك.

قال هيركيول بوارو بصوت متعب: نعم، هذا جوابي...

ذهب إلى الباب وفتحه، فدخل رجلان من الشرطة.

* * *

نزل هيركيول بوارو إلى حيث كانت فتاة تنتظر في الصالة.

كانت جين أوليفيرا تقف شاحبة الوجه أمام المدفأة، وإلى جانبها كان يقف هوارد رايكز. قالت: حسناً؟

رد عليها بوارو بلطف وهدوء: كل شيء قد انتهى.

قال رايكز بصوت أجش: ماذا تقصد؟

- لقد اعتقل السيد أليستير بلانت بتهمة القتل.

قال رايكز: كنت أظن أنه سيشتري سكوتك...

قالت جين: كلا، لم أحسب ذلك أبداً.

تنهد بوارو وقال: ها هو العالم أمامكما؛ السماء الجديدة والأرض الجديدة. كل ما أطلبه منكم -يا أولادي- أن تتركوا في عالمكم الجديد شيئاً من الحرية وشيئاً من الشفقة.

* * *

الفصل العاشر

سار بوارو إلى بيته في الشوارع المهجورة.

انضم إليه السيد بارنز بخفة وسأله: حسناً؟

ضم هيركيول بوارو كتفيه ورفع يديه في الهواء.

قال بارنز: ماذا كان موقفه؟

اعترف بكل شيء وطلب الأخذ بمبرراته، قال إن هذا البلد يحتاجه.

قال بارنز: "هذا صحيح". ثم أضاف بعد وقت قصير: ألا ترى ذلك أيضاً؟

- بلى، أرى ذلك.

-حسناً، إذن...

قال بوارو: ربما كنا مخطئين في رأينا هذا.

قال بارنز: لم أفكر في هذا أبداً، قد نكون مخطئين فعلاً.

سارا مسافة قصيرة فسأله بارنز بفضول: ما الذي تفكر فيه؟

قال بوارو: إن الكبرياء من الخطايا الكبرى يا صديقي.

- نعم، يمكنك قول ذلك بالفعل.

سارا مسافة أبعد، وأخيراً قال بارنز: سآخذ قطار النفق هنا. تصبح على خير يا بوارو.

سكت قليلاً ثم قال بسرعة: لديّ شيء أريد قوله لك.

- نعم يا صديقي؟

- شيء أشعر أنني مدين لك به. لقد ضلّلتك دون قصد مني، وأعني بذلك حقيقة ألبرت تشابمان المدعو «كيو اكس ٩١٢».

- نعم، ما به؟

- أنا ألبرت تشابمان. هذا هو السبب الذي جعلني مهتماً بالأمر؛ فقد كنت أعرف أنه لم تكن لي زوجة أبداً.

ثم أسرع ذاهباً وهو يضحك.

تجمد بوارو مكانه. فتح عينيه ورفع حاجبيه من الدهشة، ثم انطلق إلى بيته.

* * *

إعلان إلى قرّائنا الأعزاء

لقد حصل خطأ غير مقصود في طبعة عام ٢٠٠٢ من رواية «البيت المائل» مما أدى إلى سقوط آخر فصلين من عدد كبير من النسخ المطبوعة (وهما الفصلان الخامس والعشرون والسادس والعشرون).

إننا نعتذر عن هذا الخطأ الذي أبقى كثيراً من القراء متشوقين إلى معرفة خاتمة الرواية، وسنبذل كل ما في وسعنا لضمان عدم تكرّره في المستقبل إن شاء الله.

ونرجو أن يتكرم القراء الذين حصلوا على هذه النسخة الناقصة بزيارة موقعنا على الإنترنت (www.al-ajyal.com) لتحميل النص الناقص حيث سيبقى متوفراً لكل من يريد الحصول عليه حتى نهاية عام ٢٠٠٥ م.

إعلان إلى قرّائنا الأعزاء

نظراً لتوسع أعمالنا وإقدامنا على عدد من مشروعات النشر الجديدة فإننا نحتاج إلى عدد من المترجمين الأكفاء للعمل معنا في ترجمة روايات وكتب من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية.

وعلى ذلك فإننا نرحب بمن يأنس في نفسه التمكن من اللغة الإنكليزية والتمكن من اللغة العربية ويمتلك الأسلوب الأدبي الجميل ويرغب بالعمل بالترجمة معنا (بالقطعة)، وندعوه للاتصال بنا على العنوان التالي:

editor@al-ajyal.com

إبْزيم الحِذاء

عُثر على طبيب الأسنان ميتاً وقد أُلقي المسدس على الأرض بجوار يده اليمنى، وبعد ذلك عُثر على أحد مرضاه ميتاً بتأثير جرعة ضخمة من المخدِّر الذي يستعمله الطبيب. إنه سياق واضح لجريمة قتل ثم انتحار، ولكن لماذا يُقدِم الطبيب على قتل مريضه وسط نهار مزدحم بالمواعيد؟

إبزيمُ حذاءٍ يحمل المفتاحَ للحل؛ فهل سينجح بوارو في تجميع الخيوط وحلّ اللغز؟

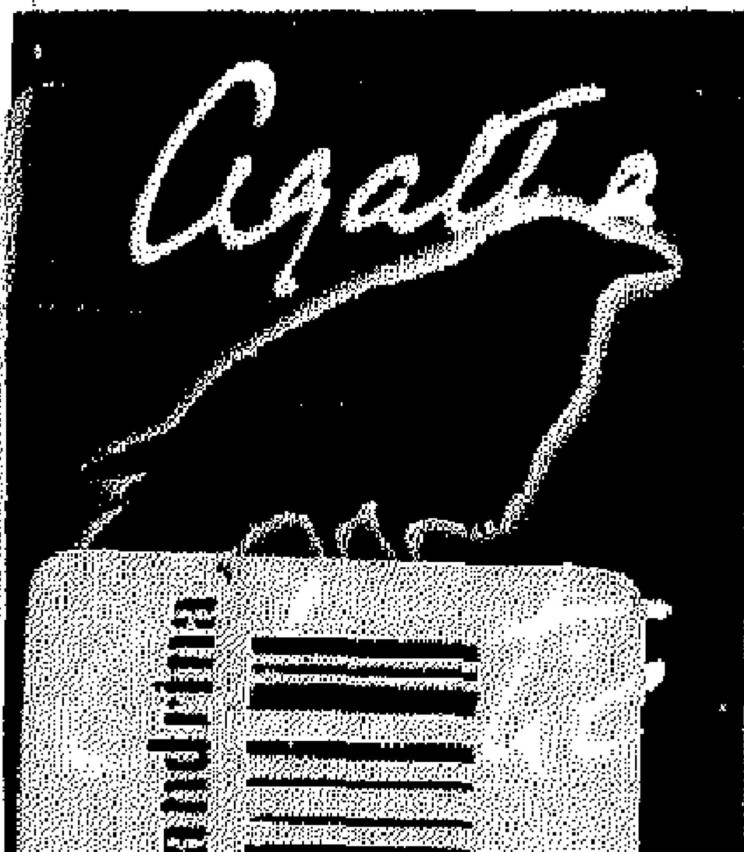
روايةٌ جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبَر أعظمَ مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بِيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَن كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبع منها ألفَي مليون نسخة!



One, Two,
Buckle My Shoe



هيركيول بوارو

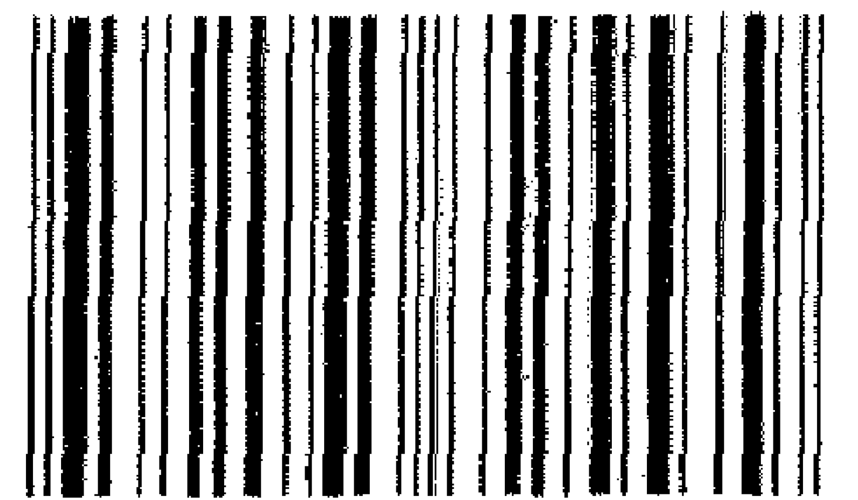




رقم هذه الرواية حسب تر
صدور الروايات بالإنكل

الناشر وصاحب
بالطبعة العربية في

ISBN 2-1957-2557-1



توزيع دار الأفق
٦ ش حسين فهمي من عباس العقاد
ت: ٢٧٢٥٣٣٥ موبايل: ٠١٢/١٠٣٣١٦٠



الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers